

حسن أنور أمين

السمسار البوسطجي

بريد كان مستعجل

رواية

الطبعة الأولى ٢٠١٩

رقم الإىءاع : ١٩٤٠٦ / ٢٠١٩

رءمك 978 - 977 - 6767-04-1

كل الءقوق محفوظة

- أول الكلام : السَّمْسَارُ البوسطَجي
الرسالة الأولى: الحب وتعدد الشخصيات
الرسالة الثانية: حتى الحياة بأوان !
الرسالة الثالثة: رسالة إلى معالجي النفسي
الرسالة الرابعة: الزوج الثاني منتصر مهزوم
الرسالة الخامسة: التفريط في أعلى الناس
الرسالة السادسة: المشكلة في الصالون
الرسالة السابعة: خطورة الانتظار في السيارة
الرسالة الثامنة: وسادة الطالب النجيب
الرسالة التاسعة: أشباه الحب كثيرة
الرسالة العاشرة: مسئول الامتداد العاطفي
الرسالة الحادية عشرة: تفادي اللقا و الفراق
الرسالة الثانية عشرة: صح متحف، مصطلح جديد
الرسالة الثالثة عشرة: طلب إعادة تسطيح
الرسالة الرابعة عشرة: مهر الزوجة الهاربة
الرسالة الخامسة عشرة: البائع ساو فاسو !
اخر الكلام : رسالة إلى نفسي

ءنوبه ...

ءمىع أءزاء هءا العمل بلا اسءءاء بما ىشمله من أءءاء؁ أسماء؁ روابط؁ شءصىاء و أماكن؁ هى من ءىال المؤلف؁ وأى ءشابه ءء ىكون بىنها وىىن ما ءء ىكون فى الواقع ما هو إلا مءض صءءة بءءة .

إهداء

إلي أصحاب الرسائل الواردة في تلك الصفحات ، بفرض وجودهم في الحياة الحقيقية هم وكل من تشابهت ظروفه معهم، شكراً جزيلاً لكم ؛ ذلك لأن ذبذبة الأحداث كانت عالية جداً مما مكنني مع علوها هذا من التقاطها بسهولة ونقلها من الأثير إلي الورق ، ولكن السؤال الذي لا بد وأن يتضمنه الأهداء ، إذا كانت ذبذباتكم بهذا العلو بحيث وصلت إلي رغم البعد عنكم ، فتري كيف كانت في المصدر إلي جواركم؟ أراهن علي أنها تسببت لكم بعطب في الحواس ؛ لذلك إهداء آخر لكل من أفقدتهم الحياة حواسهم بإرسالها أكثر مما يتحملون .

مقدمة وتمهيد .. و الذي منه

(وليست بمقدمة طويلة على أي حال).

أوقات، في بعض الأوقات أو ربما أغلبها، بتفرض علينا الحياة لعب أدواراً فيها غير أدوارنا ، ولكن السؤال الملح الواجب سؤاله لأنفسنا : هل كل إنسان منا يولد وهو علي دراية بدوره وكيفية لعبه أم انه شئ مكتسب مع الوقت ؟ في كلتا الحالتين و بغض النظر عن اجابة التساؤل السابق ، فإن بعض الناس ، ويعترف كوني أحدهم ، يحاولوا التملص والهروب مؤقتاً من دورهم الأساسي ، وتجريب ادورا أخرى علي سبيل التجديد والتغيير والمغامرة أحياناً ، و المسألة ليست مسألة إنعدام مسؤولية أو طيش أو هوي ، بقدر ما هي مسألة تشكك في ما إذا كنا علي دراية فعلية بدورنا في الحياة من عدمها ، ومدى اقتناعنا به ، ورغبتنا في الاستمرار فيه - وبعد المرور بالتجربة ، بنعود احياناً لقواعدنا سالمين ، لكن متغيرين ، لأن نظرنا لنفسنا وللحياة بتتغير تماماً ، وبنكتشف وقتها أن حدود المعرفة هي بذاتها حدود التجربة . ورغم أنني كأنسان بدعي كوني قارئ جيد ، إلا ان التجربة الحياتية اتضح أنها تفقد اجزاء من معانيها أثناء كتابتها ، لذلك مهما تصور القارئ أنه عايش التجربة بكل مفرداتها ، فهو مخطئ ؛ لأن أعمق الأحاسيس بطبيعتها لا تقبل الكتابة ، وإنما هناك تجارب لا بد و أن تعاش ولا يكتب عنها إلا اثناء معاشتها بالتوازي، وقلّة من الناس هي من كتبت عن تجربة أثناء معاشتها ، لا قبلها ولا بعدها ، والمقصود بهذة التجارب هي تلك المحتواة في هذا الكتاب . وأما تجربتي أنا الشخصية ، فكانت تجربة لعب دور مزدوج ، وهو السمسار البوسطجي ولكن مع اختلاف في طبيعة أداء الوظيفة إلي حدا ما، فأنا لم ألعب دور السمسار التقليدي ولم ألعب دور البوسطجي بالصورة المتعارف عليها ، وإنما لعبت كلاً منهما بطريقتي الخاصة ، بالتالي توصلت إلي نتائج أعتبرها غريبة ، نتيجة غرابة المقدمات المؤدية إليها طبعاً، و الأكثر أهمية أنني أكتب من منتصف التجربة مباشرة ، لا قبلها ولا بعدها ، فلا انطباعات مسبقة ولا تقييم لاحق ، بل نقل للأحداث كما هي بدون زيادة أو نقصان .

إذا كنت تري المقدمة غريبة بعض الشئ ، فربما هي كذلك فعلاً، ولكن علي كل حال تلك الرواية التي بين يديك قد خصصت بالكامل لشرح ما سبق بالتفصيل ، وهي رواية مثل مقدمتها ، ليست طويلة علي أي حال.

الفصل الأول : أول الكلام .. السمسار البوسطجي

اكتشافات شخصية جداً - كلام قبل التعارف - كلام بعد التعارف - تفاصيل فترة ركود - التفاجؤ علي مراحل .

* اكتشافات شخصية جداً

- الاكتشاف الأول :

التعامل مع مجموعة رسائل ومحاولة دمجها كلها في كتاب واحد مؤكد انه أمر صعب، لأن الرغبة الأولى دائماً ما تتمثل في التعامل مع الرسائل على أنها فصول في كتاب واحد يجمعها، لكن الحقيقة أن كل رسالة كانت بمثابة قصة أو حتى رواية لها شخصية مستقلة، ومستحيل معاملتها معاملة الفصل العابر في كتاب، بالتالي الرسائل المدمجة في شكل كتاب بين أيدي حضراتكم الآن هي قصص مجتمعة وليست فصول متتابعة .

- الاكتشاف الثاني :

قلة من كتاب الرسائل في الحياة الواقعية يختارون عناوين لرسائلهم، وبعد طلب مراجعة عشرات الرسائل المحتفظ بها كذكريات للعائلة والأقارب والأصدقاء، تم التأكد من أنها لا تحمل أي عنوان لموضوعها، وإنما عنوانها هو موضوعها ومحتواها ذاته، وبدون الدخول في جدوى فكرة العنونة من عدمها، فإن كتابة رسالة بدون عنوان وترك تحديد العنوان للمتلقي هي ممارسة فلسفية جداً غريبة على الحياة العامة، لكن اتضح أن الحياة العامة بكل تفاصيلها هي المادة الخام للفلسفة ، وذلك مجرد رأي .

- الاكتشاف الثالث :

فكرة إختيار عنوان لرسالة من قبل شخص غير كاتبها، سيكون وعكس المتوقع إختيار صادق جدًا، لأنه سيتم بدون أي أفكار مسبقة، وبموضوعية بتعمد على الكلمات المكتوبة فقط لا غير - ولا معاني في بطون الشعراء - و إختيار العنوان سيتم عبر إنتقاء أكثر الجمل الرنانة أو المحورية الواردة بالرسالة، المسألة أشبه بإعادة تسمية شخص بالغ عبر وصف ملامح اكتسبها من الحياة، بعيداً عن براءة ووداعة بيولد بها الجميع .

* كلام قبل التعارف

صباح الخير ، أو مساء الخير بالنسبة لقراء الليل، طبعاً معنى أن كلامي بيقراً حاليًا أن الكتاب تم نشره فعلاً، بالتالي فات أوان التراجع، والتردد لن يؤدي إلى شيء، وطالما أن الكتاب ظهر للنور، فمن الأفضل التعامل مع المسألة كحقيقة فرضت نفسها في لحظة اندفاع رغم التردد، خصوصاً أن الحديث عن أي إجراء لتلافي هذا الأندفاع أصبح متأخرًا ولا فائدة منه أو طائل من وراءه .

طيب، قبل أي شيء أحب أوضح بعض المسائل علشان نكون على نور من البداية، أنا لا كاتب ولا روائي ولا سيناريست ولا حد من هؤلاء السادة الأفاضل، وأظن أنها حقيقة واضحة من طريقة كلامي أو أسلوبني في الكتابة، لكن الموضوع وما فيه أني إنسان كنت ماشي طريقي في الحياة عادي جدًا، متوهم أن خط سيرني واضح، و مساري ثابت، و فجأة وجدت تحت أيدي ورق مكتوب عليه كلام لناس، فتحولت بدوري من إنسان فارغ إلى إنسان يتمتع بفائض كلام ، كلام كثير لازم أرويه، شأني شأن حضرات: الكاتب، والروائي، والسيناريست ومن غير المستبعد الشعراء بالمثل، كل الفارق بيني وبينهم أن خبرتهم الشعورية في الحياة كانت تراكمية، ولكن خبرتي أنا كانت جرعة واحدة مكثفة. وفي الحقيقة من الصعب على شخص يبتحم مجال الكتابة بالصورة سالفه الذكر أنه يتعهد بالالتزام بمستوى أو معيار أدبي معين، كل ما في مقدوري أن أحاول الألتزام بأشياء كانت محل اعتبار عندي أيام ما كنت قارئ نهم للأدب عمومًا وللروايات خصوصًا، أشياء كنت بتمني أقابل كاتبني المفضل مقابلة شخصية وأفصح له عنها بكل حب وتقدير، لكن الحياة ومشاعلها اضطررتني أن أنسى القراءة وحب الروايات مؤقتًا، ثم تحول مؤقتًا إلى حاليًا، ثم تحول حاليًا إلى دائمًا أبدًا. فاعتماداً على ذكرياتي كقارئ، سأحاول تخيل معايير وأجبر نفسي قدر المستطاع على الألتزام بها و كأني في لقاء مع كاتبني المفضل أخيرًا، وحظيت بفرصة مشاركته ملاحظاتي المتواضعة .

أولاً: تفادي الأصدقاء الثلاثة، الإطالة، الحشو و الملل!

أول ملحوظة كنت بتمنى أوصلها لكاتبتي المفضل، أن لو العلاقة بيننا قائمة على فكرة الاحترام المتبادل، وهي كذلك فعلاً، لا بد من أن حضرته يعذرني، ويعرف أنني استقطعت وقت من حياتي وأهتماماتي بهدف أنني أقرأ كتابه، حتى لو كان العذر هو أن الموضوع صعب ومحتاج تمهيد، أو أن التفاصيل جوهريّة ولا يجوز المرور عليها سريعاً، أو العذر الأخير المشهور وهو عذر أقبح من الذنب، وكان السبب في تخلي قراء كثيرين عن رغبتهم في القراءة، وهو أنه لا اهتمام يجب أن يعلو على الاهتمام بالقراءة، بالتالي لا تسأل عن الوقت بينما تقرأ! و لكن أثبتت الأيام أن الدخول لصلب الموضوع هو أكثر الطرق، صراحة ومباشرة ووضوح، على الأقل من وجهة نظري .

ثانياً: احترام المسافة بين الحدث و وجهة النظر!

حيث إنني كراوٍ للأحداث لست بصانعها، رغم أنه في روايات أخرى قد يكون راوي الأحداث هو الراوي وأيضاً أحد صانعها في نفس الوقت، لكن في حالتي أنا، لا بد من الاحتفاظ لنفسني بمسافة تبعدني وتفصلني عن أحداث ربما أجهل بعض أو حتى أغلب تفاصيلها، صحيح هي ليست كالمسافة بين القارئ والأحداث، وإنما على الأقل هي مسافة لا تجعلني شريكاً لصناع الحدث فيما يجري أو تجعلني حكماً عليهم ، ولكن وجهة نظري هي في حدود رؤيتي للأحداث لا أكثر ولا أقل، فأنا رأيت جزءاً من الشيء وليس الشيء كله .

ثالثاً: الإفصاح عن سبب تأليف الكتاب!

أوقات كنت أشاهد برامج بتستضيف الكاتب وتسأله سؤال مشهور، والسؤال هو: وما هو ما الذي دفعك لتأليف هذا الكتاب؟ وكان بيتبادر إلى ذهني وقتها ذات السؤال ولكن بصيغة مختلفة ، فبفرض أنني المحاور كنت أتمنى أسأل كاتبتي المفضل : ما السبب وراء تركك للحياة الاجتماعية واعتزالك لمدة أشهر لأسرتك وأصدقائك في سبيل إخراج كتاب قد يقرأ أو لا يقرأ؟ ما الدافع والمغزى؟

وبغض النظر عن صعوبة أستعراض الأسباب كلها؛ لأنها بتتدرج من مسألة مبدأ لدى الكاتب وصولاً إلى شعور مبهم وغامض يجبر الكاتب على الكتابة، فأنا على المستوى الشخصي بهتم بسبب وضع موضوع معين في كتاب ثم نشره، أكيد الكاتب كان يهدف لتحقيق هدف معين من وراء نشر الموضوع، بالتالي لازم أطالب نفسي بما كنت أطالب به الآخرين و أعلن بمنتهى الصراحة والوضوح هدفي من وراء كتابة هذا الكتاب .

كتابنا يا حضرات يتكون من مقدمة وخاتمة زائد خمس عشرة رسالة، كل رسالة منهم عبارة عن موضوع معين منفصل عن باقي الموضوعات، لكن العامل المشترك بين الخمس عشرة رسالة هو أنها مواضيع اعتقدت ولا أزال أعتقد أنها مسكوت عنها بغير قصد إلى حد كبير، هي مواضيع حياتية منسية! لكنها شديدة الأهمية لأنها بتحكم تفاصيل جوهرية في حياتنا، وهناك نموذج واحد على الأقل من نماذج الشخصيات الواردة بالرسائل ممكن نصادفه في الحياة ونسيء فهمه أو حتى نسيء تفسير تصرفاته، بالتالي أستطيع القول بأن الهدف من وراء هذا الكتاب هو تسليط الضوء على نماذج مجهولة التفسير لناس مشكلتهم في الحياة هي أنهم لا ينتبه إليهم أحد، ليس لضعف ملاحظة الناس، وإنما لأنهم بطبيعتهم ... لا يثيرون الأنتباه .

* كلام بعد التعارف

طبعاً أولى الكلمات في أي تعارف لازم تبدأ بسؤال: أنا مين؟ فكرت جدياً في عدم ذكر أسمى والأكتفاء بلقب السمسار البوسطجي بعد اكتسابه من خلال تجربة دراستي لمجموعة رسائل وقعت تحت يدي بالصدفة ، لكن بعض الأصدقاء حذروني من أن فكرة القراءة لكاتب مجهول عليها بعض الملاحظات، ولها بعض المحاذير، وكنت أتمنى أن أصارحهم بأن الإفصاح عن هويتي بالمثل لا يخلو من الملاحظات والمحاذير، لكن بعترف أن صوتهم كان أعلى من صوتي، وطبيعة شخصيتي في غير مجال عملي، يعني في حياتي الشخصية - للأسف - ميالة لإتباع الصوت العالي، وده بالتأكيد من عيوب الشخصية، لكنه أمر غير موضوعنا .

أنا اسمي فارس، مع أنني عمري ما ركبت حصان، شاب ثلاثيني لا أختلف شيئاً عن غيري ، لكن مساري في الحياة أوقات كثير الناس بتعتبره غريب ، ومع ذلك على المستوى الشخصي أنا عمري ما تخيلت نفسي في مسار غيره، بالتالي عشت سنين عمري الماضية غير قادر على فهم الناس، وكذلك الناس غير قادرة على فهمي، ومن غير الضروري أن يكون

طرف مخطئًا في حق الآخر، لكن كل حياة لها خصوصيتها إن صح التعبير، وكم الاستثناءات الناتجة عن فكرة خصوصية الحياة أو خصوصية ظروفها لا تعد ولا تحصى، يكفي أن أغلب إجابات أصعب الأسئلة بتكون كلمة واحدة فقط لا غير، وهي كلمة الظروف، سواء كان قائلها حاول استخدامها كشماعة أو حجة لتبرير أخطائه، وسواء اقتنع بها متلقي الإجابة أو لم يقتنع،حتظل كلمة- الظروف- تحمل قدرًا كبيرًا من الحقيقة وارد ألا تتمتع بها باقي الإجابات الأخرى على أسئلة الحياة بذات القدر من الحقيقة والمصادقية .

أنا بنتمي لعائلة بتجتهد في الحصول على الشهادة الجامعية وبأعلى تقدير، لكن الشهادة لا يتم التفاخر أو حتى العمل بها، وإنما بترمي في أحد أدراج المكتب، درج مظلم ومخيف، ويتكون آخر مرة الشهادة ترى فيها النور حتى لو كان نور مصباح، لأن أيًا كان المؤهل الدراسي وتخصصه وأيًا كان التقدير، فنحن عائلة من السماسرة بتمتهن السمسرة أبا عن جد، توارثنا المهنة بدون تفريط، وأول مرة أفرّج ناس على شقة وأحصل على عمولة كنت في ثانوية عامة وعمري تقريبًا كان ١٥ سنة، أنا حتى لسه فاكر اللحظة دي كويس، يومها وبعد ما البائع والمشتري اتفقوا، سألوني أومال فين السمسار الكبير اللي أنا مفروض أني بشتغل معاه عشان يستلم عمولته؟ ولما جاوبتهم بأني أنا السمسار، تبادلوا النظرات باستغراب واندهاش و لما تأكدوا من صدق كلامي عزموني على فنجان قهوة- زي الكبار - لحد ما جهزوا عمولتي و قبضتها و مشيت، حتى أني لسه فاكر طعم فنجان القهوة، عشان كانت أول مرة أشربها في حياتي، يومها البائع قال لمراته تعمل فنجان قهوة، ولما مراته سألته: لمين؟ شاور عليّ وقال لها: للأستاذ، قالت له: لكن ده لسه صغير! ضحك وقالها ده السمسار وإحنا اللي طلعتنا صغيرين، يومها رجعت للبيت وأنا طابير من الفرحة، وأبويا وأمي فرحوا لكن نصحوني بأني مبقاش إنسان هوائي وخفيف، وعشان النجاح يستمر لازم انسى اليوم ده، ومفكرش غير في بكرة، بالتالي عشت طفولتي و فترة المراهقة مبرمج عقلي على فكرة أن الماضي هو وقت وانتهى مهما كان جميل، لذلك أنا بعترف أنني إنسان بلا ذكريات والماضي ملوش أي مكان في حياتي .

حتي مكنش ليّ مصروف إيد زي باقي الأطفال، وعمري ما طلبت من أهلي فلوس إلا لو كنت عارف أني حردها الضعف، فترة المراهقة بالنسبة لي كانت شغل وتعليم واحتقار للحياة العاطفية عمومًا، كنت مسمي الأعبة والعشاق الناس اللي بتعيط، والحالة الوحيدة اللي ممكن عيني تنزل منها دموع هي أن سمسار زميل يكون سبقني على شقة لقطة، أو أن حد يكون بيقشر بصل جنبي، ولما كانوا المدرسين يسألونا في المدرسة: لما تكبروا يا ولاد نفسكم تطلعوا

إيه؟ كل زمايلي يتبدأ إجابتهم بـ"لما أكبر نفسي أكون"، ما عدا أنا، كنت بقول: أنا سمسار وحفضل سمسار، والأحلام المؤجلة ابعدها ما تكون عني .

دور السمسار أنا لعبته عددًا لا يحصى من المرات، ورغم ثبات الأدوار الموازية الرئيسية قصادي "البائع - المشتري"، والأدوار الهامشية: البواب، الجيران، التاكسي اللي ينقل الناس للبيت الجديد و أخيراً عربية نقل للمفروشات، فإن دور السمسار موقعه كان صعب التصنيف، السمسار أشبه بحلقة وسط . . جسر تواصل، يظهر وبسببه الناس بتتبدل مواقعها، بعدها مباشرة يختفي الجسر، لكن صعوبة تصنيف موقع و دور السمسار يظهر بصورة في منتهى الوضوح لما يتعلق الموضوع بالعاطفة، يعني السؤال: السمسار يقف على أي درجة من درجات السلم العاطفي بين البائع والمشتري كشخصيات أساسية، وغيرهم من الشخصيات الثانوية المشتركة في المشهد؟

فعلاً سؤال شغل بالي كتير، لكن إختيار الإجابة مستحيل لأن من الأساس مافيش إختيارات مطروحة، فالظاهر أنني لازم أخترع الإجابة بما أنني سبق واخترعت السؤال! موقع السمسار موجود في منطقة وسط بين كل الأحداث والأشخاص. موقع مميز لكن يميزه ويعيبه احتمالين، إما إن السمسار يكون في بؤرة الأحداث ومحط أنظار الجميع، وإما إنه في نقطة عمياء بالتالي لا يستحوذ على انتباه وتركيز الآخرين، لكن في الحالتين هو مركز محل جدل، وسبب الجدل هو الآتي :

بعض البائعين بيعتبروا أنني بتوسط في بيع منازلهم استثمرت حالة مؤقتة لتحقيق وضع دائم بالتالي حققت أقصى درجات الاستغلال! واسمحوا لي أوضح كلامي أكثر لنفسي وكأنني بفكر بصوت عالٍ، لأنني بمر بحالة بيمر بها كتاب الخواطر عموماً، ألا وهي اكتشاف الحقائق لأول مرة أثناء كتابتها على الورق! و قدرت أخيراً أستوعب مشاهد كنت بصادفها أثناء دراستي في الجامعة و أثناء المشي على كورنيش النيل، لما كنت بشوف شاب ماسك ورقة وقلم وسرحان، فهتمت أن أوقات كثير الكلام بيكون مش جاهز رغم أنه جواك، وأنك بتكتشف حقيقة نفسك والدنيا أثناء ما أنت بتكتب .

المهم نرجع لموضوعنا، طبعي يمر على الإنسان لحظة يزهق ويمل من سكنه وشارعه وجيرانه، حتى إنه ممكن يمل ويزهق من نفسه وشكله ساعات، لكنها كلها أحوال مؤقتة بطبيعتها ممكن تمر بهدوء وسلام، ولكن فكرة وجود إنسان

يستغل ويستثمر الحالة المؤقتة ويحولها لقرار ببيع ووضع مستقر من سنين ، يصنع حالة من عدم الحب لمستثمر الفرصة، ومستثمر الفرصة بطبيعة الحال هو ... أنا ! - ورغم كثرة المواقف إلا أنني محال أنسى مجموعة منها، اتضح لي من خلالها حقيقة الصورة وتفصيلها، لكن اتضح لي بالمثل أن في بعض الأحوال دور الوسيط سيكون مقسوم بيني وبين شخص ثاني، شخص سيكون هو الجاني الحقيقي في استثمار الحالة المؤقتة عند البائع أو المشتري ويقوم بتوريطي. سيكون في الغالب شخص من أقارب أو أصدقاء البائع أو المشتري اتسرع واتصل بي متطوعاً بالنيابة عن قريبه، والمواقف مقسمة على النحو التالي:

- موقفين مع البائعين

الموقف الأول: بائع ييلوم قريبه على الاتصال بي، و كان واضح عليه الأنفعال وكان يتكلم بسرعة، وسمعت جملة أفهمتنى محور الحديث، سمعت البائع يقول لقريبه:

”مكانوش كلمتين قولناهم على القهوة“

الموقف الثاني: سيدة فاضلة مفروض أنها موافقة على عرض بيع بسبب أنها على وشك الطلاق بعد فترة خلافات زوجية منقطعة، بتلوم صديقتها على الاتصال بسمسار وتعتبره إجراء متسرع ينهي العلاقة الزوجية من أساسها، فتقول لصديقتها:

”هو أنتِ طلقيني منه خلاص؟“

- موقفين مع المشتريين

الموقف الأول: في إحدى المرات كنت راكب سيارة أحد المشتريين ويقوم بجولة مشاهدة لبعض الشقق المعروضة للبيع في منقطة ما في القاهرة ، وفي الحقيقة المشتري كان يبدو أنه لجأ لي كسمسار مضطر و على مضض؛ لأنه كان

حابب يوفّر أجرة السمسرة، فبدأت مع كل مرور على شقة أنا عندي معلومات أنها معروضة للبيع. نقف قصادها، وأبدأ أشرح له تفاصيلها وسبب عرضها للبيع بحسب ما قيل من صاحبها الحالي، وأناقشه في سعرها ومتوسط سعر السوق وسعر المتر في المنطقة، والفارق بين المبلغ المطلوب من صاحبها وسعرها الحقيقي، ومرة واحدة وبدون سابق إنذار، وقفنا قصاد شقة وفوجئت بالمشتري يكاد يكون حيشتبتك معايا بالأيدي! فقلت له: خير يا أستاذ، هو أنا زعلت حضرتك في حاجة؟! فقال لي بنظرة مليئة بالكراهية: بأننا تجولنا نفس الجولة الأسبوع الفائت والشقة دي مكانتش معروضة للبيع! فضحكت، وقلت له بأن كل أسبوع ممكن شقق تتعرض للبيع ويتم شراؤها خلال نفس الأسبوع كمان... السوق عرض وطلب! فين المشكلة؟

حب يستفسر مني عن سبب إختياري ليومها تحديداً وكان يوم خميس على ما أتذكر، فأجبتُه بأنها ثالث جولة نزلها في نفس المنطقة بدون التوصل لشيء، وأنني اخترت يوماً أكون قادرًا على التفرغ فيه لحضرته! فوجئت به بيقول لي، يعني أنت اخترت يوم الخميس نزل فيه سوا، وأنت عارف أن بكرة صابح الجمعة اجازتي وأنا مبنزلش الجمعة، والشقة دي اتعرضت للبيع من يدوب يومين بالعدد ده إذا مكنش يوم واحد، يعني أنت اخترت يوم الخميس عشان تكون رؤيتي ومعرفتي بعرض بيع الشقة عن طريقك أنت وبالشكل ده تبقى أنت صاحب الفضل اللي دلتنى عليها ويبقى لك نصيب! لكن لو أنا كنت اتمشيت في الشارع لوحدي ولاقيتها كانت تبقى حلال عليّ وكان زمني وفرت ثمن عمولة السمسرة، إنما التجارة بقت في المعلومة، اللي توصله المعلومة أسرع لازم يلحق يبيعه لغيره ويكسب منها، مش كده يا خويا؟

فما كان مني إلا أنني ابتسمت باستهزاء، وقلت له بالحرف: بعد إذنك نزلني هنا معلش، ونزلت فعلاً من عربيتي، وقلت له من شباكها: الشقة قدامك اطلع اشترىها من صاحبها وحلال عليك من غير سمسرة! وبعدها قلت له بتحدي بعد ما صعبت عليّ نفسي: وابقى وربي حتعرف تخلصها لوحدهك إزاي! الراجل اندهش لكن فضل معتقد أنه انتصر عليّ لما أدرك لعبة لا وجود لها سوى في خياله الشخصي فقط لا غير، والحقيقة يا سادة أعرب من الغرابة، الحقيقة أن هذه الشقة اللي أنا متهم بكوني أخفيت عرضها للبيع ليوم يناسبني ويضيع على المشتري فرصة إيجادها منفرداً، هي شقة مملوكة لرجل فاضل وحيد بيعاني من بعض الاضطرابات النفسية الناتجة عن الوحدة، وهذا الرجل صاحب الشقة لما بتزداد عليه الأزمة النفسية نتيجة الوحدة يعمل إعلان مزيف يعرض فيه الشقة للبيع ويكتب عليه بأن السعر قابل للتفاوض، وبيستقبل عدد لا محدود من الناس في شقته، ويضايقهم ويعمل لهم شاي وقهوة، ويستقبل منهم تليفونات

يحاول تحويل مسار موضوعاتها لمواضيع عامة وعلاقات شخصية مع المشترين، وبعد ما يحدث له إشباع عاطفي يدخل البلاكونة يزيل لافتة الإعلان ، و يقول لهم بصراحة إنه غير رأيه ، وإن الشقة لم تعد معروضة للبيع ! ويكرر هذا الموضوع من مرة لمرتين كل سنة .

الموقف الثاني : مشتري كان ييلح عليّ في الاتصال بصورة غير طبيعية، وبعد ما قدرت أوفر له شقة فيها مواصفاته وبتلبي طلباته اتقابلنا عشان نمضي العقد مع صاحبها، وفتحت الباب بمفتاح صاحب الشقة كان سايبه معايا أمانة عشان أفرج المشترين عليها، وأثناء انتظارنا صاحب الشقة دخل ولدين و بنت و معاهم ست سنها كبير نسبيًا، فهمت أنها أم مع أولادها، الباب كان مفتوح وكنا منتظرين صاحب الشقة يوصل، لاقيتهم دخلوا بوس وحضن في الرجل، واللي بيوس إيده واللي بيوس رجله. وكلهم يقولوا - حقك علينا يا بابا - والست أمهم حضنته أو بمعنى أصح رمت نفسها في حضنه، بعدها عيطوا شوية بما فيهم الرجل اللي كان مفروض مشتري، وفهمت أن كان فيه خلاف عائلي وبلاعتذار اتحل الخلاف وخلص الموضوع، وقبل ما المشتري بيتسم ويعتذر لي سبقتة أنا وقلت له: "ألف مبروك رجوعك لأسرتك." " أنا أصلاً معنديش شقق للبيع. وبومها ضحكنا كلنا سوا .

وبعد ما استعرضت مواقف مع الشخصيات الرئيسية، البائع والمشتري. نستعرض مواقف مع الأدوار الثانوية، صحيح بيكونوا أشبه بكمومبارس صامت، إلا أن نظرات عيونهم حادة جدًا، تفهم بدون احتياج لكلام، والوضع معهم بيكون أصعب ، لأن بدون توجيه كلام يبقى عايز أقول لهم : خلاص يا جماعة، أنا فهمت والرسالة وصلت ، أذكر منهم الجيران ، شيء غريب أن يبقى الجار كاره جاره وخلافات ومشادات ومشاحنات على مدى سنين، وأول ما جار يشوف جاره معزل وحينقل مكان ثاني بعيد لازم الجملة المشهورة تنقل، وبتكون على هيئة سؤال بنبرة خوف وتردد :

- ماشين خلاص؟ أو حتسبوننا؟ أو الجملتين

طبعًا لما كان والدي وأعمامي في سني كانت كلمات مختلفة بتتردد، وإن كان لها نفس المعنى، مثل :

- يعز علينا فراقكم، حتقطعوا بينا، غيا بكم حيحز فينا ... إلخ

في اعتقادي الشخصي أن الإنسان سيكون اعتاد على عشرة إنسان آخر مهم كانوا مختلفين في الطباع، لدرجة أن لما شخص منهم سيكون على وشك الانتقال من مكانه ويحل محله شخص جديد، سيكون مستوى الخوف عند الشخص الباقي مرتفع جداً لأسباب عديدة، يمكن إجمالها في عدة أفكار :

- منها أن الشخص المتبقي سيكون اعتاد وجود جاره بكل مميزاته وعيوبه ومتخوف من قدوم شخص جديد ممكن تكون العشرة معه مستحيلة أو يكون سيئ الطباع أو سيئ الأخلاق والسمعة ... إلخ، وطبعاً مبدأ اللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش سيكون هو سيد الموقف بلا منازع.

- و منها أن طبيعة الإنسان الميالة للاستقرار بتنزعج من أي تغيير في المحيط الاجتماعي من حولها، لذلك فيه ناس بترفض تغيير محلات اعتادات التعامل معها حتى لو كانت طلباتهم غير متوفرة فيها: بقالة، مكوى، تصليح ساعات، ودائماً سيكون الدافع العشرة والتعود، ويتم ترديد كلمات على شاكلة:

-بنتعامل معه من أول ما فتح .

وهي حجة بتفيد طول مدة التعامل واستقراره و بالتالي عدم الرغبة في التغيير .

- حتى لو طلبي مش موجود، الصبر طيب والناس لبعضها، الدنيا مطارتش .

حجة إنسانية بتشمل التضحية بالتجارة في سبيل الإنسانية، وفي المقابل قد يكون

المحل أو الدكان بيتبع نظام الدفع بالتقسيط المريح معهم كزبائن .

- ده إحنا جينا سكننا لاقيناه .

- تعتبر أخت الحجة الأولى، لأنها بتدل على رصيد قديم للعلاقة يؤهلها للأستمرار

- دول ولاد الحاج فلان أو الأستاذ فلان، صاحب المحل، وأتولدوا على إيدينا وإحنا اللي مريينهم

وهي حجة يبلغ بها الذكاء الأجماعي أقصاه، ويتم تحويل العلاقة التجارية إلى إنسانية لتشمل أجيال .

- و من أغرب الأسباب اللي كنت معاصر لها في رفض الجار التخلي عن جاره ، سبب نفسي بحت، يجعل رجل يتمسك بجاره مهما كان هذا الجار، والسبب هو انه رافض مبدأ - الحركة . يعني في ناس بتعتبر الوضع الحالي لحياتها وضع ثابت غير قابل للتغيير و مستمر حتى النهاية، بما فيه الجيران، فانتقال جار واحد وتغييره لمسكنه يبجبر الشخص على الدخول في إعادة النظر في حسابات حياتية هو في غنى عنها، بالتالي كلما كان الجيران عنصرًا ثابتًا في المعادلة بلا تغيير، كانت الحياة أكثر هدوءًا واستقراراً .

ومع ذلك ، المواقف السابقة هي مواقف طبيعية إذا ما قورنت بمواقف اخري تدرج تحت بند "الوسطاء يمتنعون " ، علاقات محظور السمسرة فيها، عروض ملتعبة لا تقبل دخول وسيط أو طرف ثالث، شعور غريب أنك تمتهن وظيفة وتتفاجأ بإعلان كاتب بعد أسم وظيفتك محظور أو ممنوع! لكن أولاً و أخيراً، المسألة حرية شخصية، ولذلك كان لا بد من أنني أتحول لمشتري أو بائع، ويختفي دور الوسيط على الأقل مؤقتًا، لذلك أصبحت أشتري الشقة ثم أبيعها مرة اخري، يعني أصبحت بلعب الثلاثة ادوار مش فقط دور السمسار ، و كنت كل ما أشعر أنني مضايق وعايز أرجع سمسار زي ما كنت ، أصبر نفسي بجملة معرفش مدي كذبها من صدقها، جملة : " السوق عايز كده " ، وطبعًا كل السوق ما يتغير لازم أنا أتغير معاه .

المهم أنني مع الوقت كبرت في عالم السمسرة شوية، صحيح مش لدرجة أنني أفتح شركة وأجيب سكرتيرة حسنة المظهر ترد على التليفون وتقول مستر فارس عنده اجتماع .. لكن خيلنا نقول إنني وصلت في مهنتي لمرحلة يعرفها التجار كويس أسمها -بشتغل بفلوسي- وهي مخاطرة بيرفضها ناس كثير، لكن خوفهم مردود عليه بأن الدنيا كلها بتطور بما فيها مهنتنا .

لكن كنتيجة منطقية اكتشفت أنني أصبحت على علاقة ببيوت كثيرة كمالك مؤقت لها، على الأقل لحد ما ألقى فرصة بيع محترمة تعوض مبلغ شرائي لها - صحيح كل بيت دخلته يجد أنه فارغ وفاضي ومافيش حتى كرسي أقعد عليه ، لكن كنت دايماً حاسس أن السؤال عن أحوال مساكن بعد غياب أهلها هو سؤال متأخر، وبعد الأوان بكثير، ممكن أطلع أفق في بلاكونة وأشوف نفس المنظر اللي كان سكان المكان بيشفوفوه. لكن مستحيل أقدر أستحضر نفس الأحاسيس والمشاعر، خصوصاً لو حتكلم عن ناس عاشوا سنين في نفس المكان لحد ما دارت الأيام وقرروا لسبب أو آخر أنهم يعزلوا لمكان ثاني، شافوا المنطقة وهي لسه صحراء وبتتبني ، ناس كانت ساكنة ومشيت .. لكن أنا فوت الفيلم كله ومطلوب أتخيل كل الأحداث من خلال المشهد الأخير ، العرف يقول إنني من حقي أسأل عن سبب رغبة الشخص في بيع بيته ، لكنه بيكون سؤال غير ملزم وممكن يترد عليه بكلمة واحدة “ظروف”، وقتها ليس من حقي إطلاقاً إعادة السؤال حتى لو غيرت في شكله طالما أن مضمونه ثابت، طبعاً ده في حالة استبعاد فكرة الكذب في الإجابة ، وأغلب الإجابات الكاذبة بتعتمد على جملة : السفر لقريب، لكن السؤال الموجه مني وإلي نفسي ، أنا ليه تحولت فجأة لشخص مهتم بقصص وحكايات بيوت سابها أصحابها إلا لو كنت بدأت أتحول إلى شخصية عاطفية؟ والعاطفة لو تدخلت في الشغل وبالذات التجارة، معناها أن التاجر انتهى، وهذا يعني أن شخصيتي المتجمدة على وشك النهاية، وشخصيتي العاطفية على وشك الميلاد !

* تفاصيل فترة ركود

الركود، كلمة السر في تبدل الأحوال، بغض النظر عن صورته وأشكاله إلا أن مضمون الركود هو أن لا بيع ولا شراء، إدخال رأس مالي الشخصي في التجارة كان مخاطرة بطبيعة الحال، صحيح المال في أمان لأنه مجمد في شقق، لكن فشلت جميع محاولاتي في الحصول على أي سيولة نقدية، بكل أسف فشلت في بيع أي شقة، ولو حاولت أتساهل في

سعر بيع المتر، حفشل في الحصول على مبلغ يمكنني من إعادة عملية الشراء ثم البيع من جديد. لكن لحسن الحظ الركود بطبعه مؤقت، لكن ما الحياة نفسها مؤقتة! بالتالي كنت في احتياج لحل ايضاً مؤقت، بحيث إنه بمجرد ما تنتهي فترة الركود أرجع صاحب تصرف في البيوت، وكانت النتيجة أنني عرضت الشقق للإيجار، وبالفعل تلقيت عروض تعتبر مقبولة، بين عيادة دكتور ومكتب محامي ومركز تعليم موسيقي، و خلال أسبوع واحد مضيت أغلب عقود الشقق، لكن كل فترة كان يوصلني اتصال من مستأجر يطلب مني مقابلة سريعة ضروري! ولما كنت بعرف السبب كنت باستغرب، السبب كان أنهم عايزين يسلموني جوابات كانت موجودة في صناديق بريد البيوت المؤجرة، عايزين صندوق البريد فارغ وجاهز لاستقبال رسائلهم الخاصة، أكيد حقهم، لكن بيدوا و الظاهر والله أعلم أنني كنت مشغول ببيع الشقق أو تأجيرها لدرجة أنني نسيت أنها بيوت وكان لها سكان ولها صناديق بريد، ونسيت لعبتي القديمة، أنني أدخل كل بيت فارغ من محتوياته وسكانه، وأحاول إيجاد أي شيء منسي، كلمة مكتوبة، خريشة، وأنخيل القصة وراء وجودها عبر التخمين، لكن سرعة الإيقاع كانت هي السبب في أنني أفقد السيطرة على مسار الأحداث؛ لأنني في كل خطوة كنت بلاقي نفسي متورط أكثر في وضع غريب وجديد أول مرة أصادفه .

أولاً : البريد يخص أصحاب البيوت القدامى! والمستأجرين حيسلموني الجوابات ظناً منهم أنها تخصني أنا .

ثانياً: بعترف أنني أجهل العناوين الجديدة لأصحاب الشقق الأوائل، وبصراحة كانت آخر اهتماماتي أنني أسألهم عن عناوينهم الجديدة، بالتالي عملية إرجاع الجوابات لأصحابها تقريباً شبه مستحيلة .

ثالثاً: الخطأ بالتدريج ، أنا كإنسان طالما اعتبرت نفسي أجهل الكثير عن الحياة بالتالي سولت لي نفسي الاطلاع على شئون الآخرين بهدف معرفة ما يدور في الجوار ومعرفة تفاصيل حياة ناس لم تتسن لي فرصة معرفتهم عن قرب، ولكني بعترف وسأظل أعترف بأنها حجج واهية وأسباب مختلقة، وحق كان يراد به باطل. اكتشفت أخيراً أن الفضول الجامح أحد عيوبى، وبدل من اتخاذ موقف جاد وصارم مع النفس، تعاونت مع فضولي لإشباعه في مقابل توريطي في شئون كانت أبعد ما يكون عني .

فتحت الرسائل وقرأتها، وهنا اكتملت أركان الخطأ، وأصبحت متورطاً بالفعل . لكن الغريب أنني بدل ما أبحث عن مخرج لتورطي، كنت بشتغل ضد نفسي وبعمل على توريط نفسي في الموضوع أكثر وأكثر؛ لأن بسبب محدودية الشقق المملوكة لي، وبسبب غرابة الموضوعات الموجودة في رسائل البريد، وحيث إنني ببنمي لعائلة كلها بتمتهن السمسة، فتطوعت لعمل خدمة لأفراد عائلتي وهي الذهاب والاطمئنان على شققهم المغلقة. وهو شيء كنت بشوفه مرهق وممل، وفوق كل شيء مجاني! يعني قريب يروح يشتري شقة في آخر الدنيا، ويطلب مني الأطمئنان عليها رغم طول المشوار ، فيفاجئ برغبتي في القيام بالمهمة طواعية ! و طبعاً هدفني كان أبعد ما يكون عن تقديم خدمة عائلية، و إنما هدفني كان سرقة ما تحويه صناديق بريد تلك الشقق المهجورة من بريد مهجور ! وهو ما قد كان ، و سمحت لي الحياة أعيش أغرب تجربة في حياتي . وهي أن أشاهد نفسي السوية تتحول إلى الإدمان ! إدمان جمع البريد المهجور، المنسي، بما يحويه من قصص مهجورة ومنسية .

* التفاجؤ على مراحل

المفترض أنه تقسيم المفاجأة و التفاجؤ بها على مراحل يفقدها معناها كمفاجأة، لكن إذا بلغت حتى أدق التفاصيل في التجربة حداً من الغرابة لدرجة أنني أقرأ لغتي العربية بمعاني وموضوعات لم أتعرض لها طوال حياتي، كان سبباً في تفاجؤ لا ينقطع، و كالعادة اتحولت لغريق في بحر الأسئلة، هل الناس أصبحت بعيدة في تفكيرها ومشاعرها لدرجة أن لغتهم اختلفت عن لغتي؟ هل أنا كنت منهمك في شغلي أزيد من اللازم لدرجة أنني فقدت التواصل مع الناس؟ كل شيء جائز، لكن المؤكد أن هذه الرسائل مستحيل تكون ملك لأصحابها فقط أو حكر عليهم . لأنني بتهمهم في المقابل بأنهم أخفوا وتعمدوا إخفاء أسرار وتفاسير لمشاكل كانت السبب في إعاقه سير حياة كثير من الناس. بالتالي سولت لي نفسي وضع الرسائل بين أيدي حضراتكم، ولو تسمعون لي بتعليق بسيط بعد كل رسالة، لأنني صادفت بعض أشخاص هذه الرسائل على الحقيقة حتى ولو للحظات، وعندني قدرة على تخيل كيف سارت الأمور، و بدمج مشاهداتي مع النصوص أعتقد حنقدر نعيد الكشف عن الجزء الأكبر من الصورة حتى وإن لم تكن متوفرة كلها.

الرسالة الأولى :

الحب وتعدد الشخصيات

المرسل : سهام

المرسل إليه : ضياء

تصدق أنني عارفة ومتأكدة من رد فعلك أول ما تعرف أن في رسالة وصلتك مني! صحيح أنه مرت ٣ أو ٤ سنين ، لكن أنا وأنت أكثر ناس عارفين أن مافيش حاجة بتتغير، ولا عمر حد بيتغير، التغيير ده بيكون مجرد مظهر مضطرين إليه عشان الحياة تستمر، والحياة عبارة عن حفلة، مهرجان، كرنفال، الانتظار لآخر فقرة فيهم إجباري، فمبيكونش قصادنا حل تاني غير أننا نعمل نفسنا اتغيرنا، أصلها بتبقى حفلة لمرة واحدة في العمر، يعني بنعيشها مرة واحدة، وكمان دافعين في تذكرتها ثمن غالي، سنين عمرنا، وأظن مافيش أغلى منه ثمن .

حرجع تاني لرد فعلك لما تعرف موضوع الجواب، متخيلة أنك حتبقى داخل من باب بيتكم، و والدك أو والدتك حيلغوك بوصول جواب باسمك من بلاد بره ولفظ بلاد بره حيتنتقل حرفياً من لسان البوسطجي لحد ما يوصلك أنت، عن طريق أونكل وطنط، اللي بدعي ربنا أنهم يكونوا في أحسن حال ، حتمسك الجواب وتبص له شذراً وأنت رافع حاجب ومنزل التاني وكأن الجواب متهم وأنت بتستجوبه، أو حد خبط على باب بيتكم بالغلط، وده في الغالب ومن واقع خبرتي بيبقى يومه مش فايث ويستحق اللي يجرى له، وبمجرد ما تتسأل من والدك أو والدتك عن مصدر الرسالة، حتقول بالكذب أنها من واحد صاحبك مهاجر أو شركة أجنبية كنت مقدم على وظيفة فيها، وتجري بسرعة تدخل أوضتك وتقفل بابك عليك. على فكرة، هما عارفين أنك كذاب، لكن يبحبوا يسيبوك على راحتك ، باباك وماماتك ناس طيبين قوي يا ضياء، المرة دي بقولها وأنا مش خايفة تعتبرها مجاملة، لأنك عارف أنها متكسبنيش شيء ولا منتظرة منها شيء .

وبعد ما خلصت تخيلي لوصفك، دوري أوصف نفسي وحالي، فكرة أن سيدة متزوجة تكتب جواب لشخص من وراء زوجها، من وجهة نظري هو تصرف خاطئ بكل المقاييس، ولكن حيث إنه فات أوان التراجع بالنسبة لي، فأنا مضطرة أكمل شيء بدأته، ويقول فات الأوان لأن ورق كثير، اكتب، واتقطع، واترمى في عملية أصبحت شبه روتينية، فأنا حتمت على فكرة تخفيف العقاب لقوة أسبابي بدل ما أجادل في فكرة الفعل نفسه، لأنني حكون بجادل نفسي فقط لا غير، بالتالي أنت كمان لازم تكون إنسان عاقل، ومتنتظرش مني أبداً كلمات اشتياق زي وحشتني أو أن الأيام صعبة من غيرك أو حتى أنني نفسي الزمن يرجع ولو لحظة .

أجمل ما في جوابي ليك أن عنوان المرسل محذوف، أخيراً ولأول مرة عندي فرصة أنني أتكلم وأنت تسمع، عمرك ما تقدر ترد على جوابي بجواب، يعني بكتب لك ومش منتظرة منك رد، ومهما اجتهدت تبعت رد، أنا واثقة أنه عمره ما حيوصلني - عارفة أنك حتنفعل داخلياً وتسألني رغم غيابي قصادك، أومال كاتبة الرسالة ليه؟ حسناً ذك نأجل إجابة السؤال رغم وجاهته لأنني أنا شخصياً مش متأكدة من السبب تحديداً، لكن خلينا نعتبرها أنها أسباب مختلفة تماماً عن أي ظنون ممكن تكون في بالك .

الجواب بعد غياب بيبكون كأنه معاد، بنتقابل ونسلم على بعض، بنطمئن على أحوالنا ونبدأ الدخول في الموضوع، وعشان أقدر أدخل في الموضوع، لازم أربط الأحداث ببعضها، ومع الأسف ربط الأحداث بيتطلب أفكر نفسي وأفكرك بأخر موقف كان ما بينا، لما أنا كنت لسه في مصر وآخر كلمة منك في آخر مكالمة بيني وبينك لما عرفت بوجود عريس حيتقدم لي وأبدت أسرتي عليه موافقة شبه مبدئية، لما قلت لي بالحرف الواحد : إن آخر ما يلزمك هي واحدة تقبل القسمة على اثنين، المفروض أنها جملة جارحة، لكن بالنسبة لمريض تعدد الشخصيات هي جملة منزوعة التأثير، واحدة تقبل القسمة على اثنين، أنت افترضت أنها واحدة يا ضياء، افتراض كان غلطه عمرك، وغلطه عمري يوم ما سمحت لك تفترضه .

مش حسمح لك وأنا بكلمك عن تعدد شخصياتي أنك تقول جملتك المشهورة -كلام فارغ- ، وبصفة عامة سواء زمان أو حالياً في لحظة كتابتي ليك، لما أكلم عن نفسي وحياتي وتفصيلها المتشابكة متقاش كلام فارغ ولا فاضي، وإنما كان نوع من الثقة أنت مقدرتش تعترض بيها، للأسف، وحتى بعد سفري وبداية حياة جديدة، بقول لك تعدد شخصياتي،

لازم تعترف أن مشكلتي كانت أكبر مني ومنك. حتى لو كنت صدقتني وحاولت مساعدني مكنتش حتقدر تعمل حاجة .. و تعدد الشخصيات، هو .. ! قبل ما أضيف لك معلومة جديدة لازم أمسح أختها القديمة وده الجزء الأصعب، لأن بالنسبة للمدرسين وأنا حاليًا واحدة منهم، أني أتعامل مع شخص عمره ما أتعلم في حياته أسهل ألف مرة من أني أتعامل مع شخص أتعلم غلط وتعليمه كان خاطئ، لأنني بضطر أمر على كل معلومة اكتسبها وأصلحها على حدة، تعدد الشخصيات مختلف عن انفصام الشخصية، ولو عايز تعرف الفارق بينهم، حفرك بالفارق بين دور البرد والأنفلوانزا، ناس كتير بتخلط ما بينهم بسبب تشابه الأعراض، مضبوط؟

لما حكيت لك أني متعددة الشخصيات، بعيدًا عن رد فعلك وأنت أكيد متذكره وأدرى الناس بيه، فوجئت أن عليّ عبء تعريف الحالة قبل ما يكون لي الحق ألومك على عدم تعاطفك، لأن بصورة أو أخرى شرح المشكلة جزء من حلها. أولاً أحب أقول لك أني واعية أنا مين، مدركة تمامًا حياتي وتفاصيلها، معنديش شك ولو ضئيل في هويتي ومعرفتي بالمحيطين بيّ، لا أنفصل عن الواقع ولو للحظة واحدة. ثانيًا، أظن بعد توضيحي المختصر لحالتي تقدر نتكلم كلام مقدرناش عليه في وقته، لكن زي ما يقولوا أن تصل متأخرًا خير من ألا تصل.

تعدد الشخصيات، وأنا ضد وصفه بالمرض، هو حيلة أو وسيلة بترفع من مستواك من ناحية تعقيدك وتركيبك عشان تصبح كفو لمواجهة ظروفك المعقدة والمركبة، بصراحة واختصار، الحياة أصبحت أصعب وأعقد وأكثر تركيبًا من أن تعاش بشخصية واحدة. تعدد الشخصيات هو المساحة ما بين اختيار واختيار ثاني، نعمتين متباعدتين على طرفي السلم الموسيقي الواحد، لو كنت بتحب الموسيقى وبتحب استخدامها تعبيراتها، هو المسافة متدرجة اللون بين ألوان القوس قزح.

ما فيش صراع شخصيات، وما فيش انفصال ما بينهم، لكن لما المسائل بتتعلق بحلول لمشكلة ما، أو تقديم فرضيات أو حتى التفكير في موضوع، الحلول المطروحة بتكون متنوعة لدرجة بيشعر معها متعدد الشخصيات أنه أكثر من مجرد شخص واحد، باختصار بتكون حلول متنوعة لدرجة أنها مستحيل تصدر عن شخص واحد - وأنا حبيتك. حبيتك من كل قلبي. وبكل شخصياتي. لكن فيه شخصية سواء وجدت وحيدة أو مع شخصيات غيرها، الحب بالنسبة لها لغة غير مفهومة، أغنية نعمها جميل لكن كلماتها غامضة، حقول لك عليها وأنا واثقة أنك حتوافقني الرأي، أنا بتكلم عن

الشخصية الفضولية، اسمع مني، الفضولي ميقدرش يحب؛ لأنه في سبيل المعلومة ممكن يخسر حتى نفسه، فما بالك بأقرب الناس إليه، كل ما في حياة الفضولي مرشح ييقي ثمن يدفعه قصاد إشباع فضوله.

الفضول بيوهم صاحبه أنه بيحميه. حقول لك إزاي. الفضول بيوجه لك إشارة إلى أن الدنيا من حواليك ماشية بقانون، كل الناس عارفاه إلا أنت، وأنت لازم تعرف القانون ده عشان تقدر تعيش زيهم، وطبعًا المعرفة عمرها ما كانت ببلاش، فيبدفعك تخوض التجربة وأنت عارف أن فيه مقابل لازم حتدفعه لكن، بتكون غير قادر على تحديده والفضول بيطمناك أن الثمن مؤجل، وهي دي حكايتي. حكايتي معاك يا ضياء .

و دلوقتي حكيت لك أهم سطور جوابي. سطور كنت بحاول أأجل كتابتها قدر المستطاع تمام زي ما كنت بحاول أأجل وضع نهاية لعلاقتنا زمان أيام ما كنا مع بعض، عشت عمري كله بحاول أتفادي المواجهة، لكن دايمًا بيتم إجباري عليها بشكل أو آخر، ضياء. أنا عارفة أن حياتك مش ماشية - بكرها، ضياء أنا عارفة أن حياتك مش ماشية. وعارفة أنك مستحيل تكون بتتحرك لقدام، وعارفة أنني لو رجعت مصر تاني بكرة الصبح حلافك واقف عند آخر مرحلة كنا فيها مع بعض قبل ما نتفارق، وعشان القلوب تبقي صافية ، أنا كمان حياتي لا ماشية ولا بتتحرك، ممكن تستغرب اعترافي ليك، ويمكن ده يكون الدافع لأنني أكلمك شوية عن شكل حياتي الحالي.

أولاً وقبل أي حاجة، عايزاك تعرف أنني بحب ويقدر ويحترم ويعتز بجوزي جدًا، وفوق ما أي إنسان ممكن يتصور، ولو مكنتش يستفكز أنني أقول أنني اتمنيت أكون قابلته من زمان. أرجوك متزعلش. تجربتنا واللي مرينا بيه خلوني أتمنى أكون متولدتش وجيت الدنيا ولا أننا كنا نعيش إلى عشناه سوا .

أنا كمان حياتي مش ماشية ؛ لأن الحياة وإحنا متفقين على أنها عبارة عن امتحان واختبار، مبتسمحش لنا أننا نتجاوز مرحلة أو فترة منها إلا لما نجابو على الأسئلة المطروحة خلالها، وأنا وأنت كطلاب في امتحان الحياة، بقولها وبكل أسف، سبنا الورقة فاضية، ولو تفتكر زمان في امتحانات الحساب والرياضيات كنا بنقدر نغش نتيجة المسألة، لكن عمرنا ما قدرنا نغش خطوات الوصول إليها، وبالشكل ده كان المصححين بيقدروا يميزوا الغشاش من المجتهد، وميعترفوش أبدًا

بنتيجة كانت بدون خطوات تسبقها حتى لو كانت نتيجة صحيحة، وإحنا مش حنقدر نعيش إلى جي من حياتنا وإحنا معدناش تفسير أو أدنى فكرة، ماضيها اتشكل على أي أساس !

ضياء .. أنا حثبت لك أنني صح. ضياء .. ممكن أسألك سؤال. هو إحنا سبنا بعض ليه؟ المشكلة كانت فين؟ طب أفترقنا امتي؟ طب تعرف تاريخ انفصالنا الحقيقي؟ أتحدك لو قدرت تجاوب أي سؤال منهم، وأنا مش أحسن منك، أنا كمان عجزت عن أي أجاب أي سؤال منهم، وبمجرد ما عرفت الإجابة، كتبت لك أول وآخر جواب حيوصلك مني، جوابي اللي أنت ماسكه دلوقتي بين إيديك و على المستوى الشخصي، أنا كزوجة مرشحة في أي وقت أكون أم، بسأل نفسي يا تري إيه هو الدرس إلى مفروض أعلمه لبتتي ويخليها تنفادي خطئي بإرتباطي بيبك أو بحد عنده صفاتك؟ كان إيه هو ذنبك الذي لا يغتفر في الحياة؟ المشكلة أنني كنت شاهدة أنك كنت أحسن واحد في كل حاجة، ومع ذلك مقدرتش توصل لأي حاجة، يا ترى خلاص دلوقتي أخيراً فهمت أنا كنت شيفاك إزاي؟ هل فيه أم في الدنيا حتعلم بنتها أنها تتخلى عن إنسان حبه لمجرد أن ظروفه صعبة؟ ولا لمجرد أن حياته مش ماشيه رغم أنه عامل كل اللي عليه وزيادة؟ هل فيه أم في الدنيا حتكون نصيحتها لبتتها أن التقدم في الحياة مبدي على كل شيء حتى ولو على حساب فراق إلى بنحبهم؟ تفتكر فيه أم في الدنيا حتعلم بنتها الوضاعة؟

أهلاً وسهلاً بيبك في أكبر معضلة في حياتي. وحياة ناس كتير غيري وإن كانوا شافوها أكبر من أن يجوز الكلام عنها، متستغربش، أوقات لما الإنسان منا يبجس أن إحساسه أكبر من أنه يتوصف، بيبكون السكوت والاستمرار بهدوء في الحياة هو البديل التلقائي . كنت حكتب وأقول إني محتارة أبدأ كلامي منين، لكن اكتشفت أنني بدأتها فعلاً . و بعد ما وضحت لك كل إلى فات، خليني أبدأ كلامي بأني أحكي لك عن الجزء الخفي عنك في علاقتنا رغم طول سنينها، جزء استمر بمعزل عن أي مصارحة بيني وبينك، لكن حاليًا أنا على يقين بأن من حقتك تعرفه ، ولو عايز تعرف ليه من حقتك تعرفه وتطلع عليه، فالحقيقة لوجود سببين :

الأول: أنها أحداث كان سببها المباشر هو وجودك في حياتي، وطبعًا حتسألني طالما معياري واضح و شفاف بالشكل ده، ليه أحتفظت بيها لنفسي من زمان؟ الإجابة: لأنها كانت أحداث لا تقدم ولا تأخر، لكن حاليًا، أقدر أقول لك أنها كانت من أكثر أحداث علاقتنا أهمية .

الثاني: لأننا كنا شركاء في شركة، هي دي الحقيقة، شركة حب وهوي وسنين عمر، بمعنى أن مواقف حياتنا طول السنين إلى فاتت، ملك لبنا إحنا الاتنين بالتساوي، سواء مر بها كل واحد فينا لوحده وعلى حدة، أو مرينا بها سوا، وبعد ما انفضت الشركة، وكل واحد فينا راح لحاله، معملناش كشف حساب، لكن لم راجعت أفكارى اكتشفت أنني مديونة لك بدين، أنت شخصيًا متعرفش عنه حاجة .

ضياء، تعالى نرفع مستوى الصراحة ونشوف نقدر نتحمل لحد أي مستوى، وأنا حبدأ بسؤال مش غريب عنك، لكن إجابته أكيد حتستغربها، هو إحنا انفصلنا ليه، وإزاي، وامتى؟ مؤكد أنك حتحاول تسترجع من الذاكرة أي صورة لمواقف مزعجة ، مشكلة .. خناقة بسبب عريس كان متقدم لي، يعني أفهم من كده أنك بمجرد ما تفتكر الموقف حيكون معاك التاريخ الحقيقي لانفصالنا عن بعض، مضبوط؟ طب تقدر تقولي تاريخ انفصالنا كان امتى؟ خصوصًا أننا مش من نوعية الناس إلى احتفظت بوجود الحبيب السابق في حياتها على هيئة صديق حتى ولو لفترة مؤقتة، فترة بتكون تمهيدية عشان الاتنين يتقبلوا حقيقة رجوعهم لحياة الوحدة بالتدريج لكن طبعًا أنا وأنت، فكرة التدريج في أي شيء كانت بالنسبة لنا حلم، يلا ما علينا خليني أصارحك بالي أنت متعرفوش ..

في أواخر علاقتنا، وفي أعلى مستوى ضغط مرينا بيه في حياتنا، أنت فشلت أنك تلاقي وظيفة، وأنا موقفي كان محرج في البيت وعلاقتي بأهلي اتأثرت بسبب تمسكي بيك سنين ورفضى لأي حد بيحاول يتقدم، وقتها بلغ بيك مستوى الأكتئاب أنك كنت بتنام ١٢ ساعة في اليوم، أغلبهم بالنهار، وتصحى بعد الظهر عشان تنزل بليل تقعد على القهوة، و ياريتك كنت مبسوط، لكنك كنت بتراجع كل يوم بخناقة شكل، وعلى أسباب أتفه من أنني أضيع حبر قلمي في ذكرها، ومع ناس كانوا أبعد بكثير عن أن أي معرفة أو علاقة تربطك بيهم ، بعدها بشوية، بدأت الحياة الطبيعية تاخذ مجراها، والحياة الطبيعية هي أصعب شيء على اتنين وضعهم عمره ما كان طبيعي بالمرة، ومع ذلك استحملنا لحد ما حصل موقف نقل مستوى الضغط لمستوي تاني أعلى، موقف لسه فكره زي ما يكون امبارح، جواز شهاب وريهام، ومش حسألك أنت فاكره ولا نسيتته، لأنني متأكدة أنه محفور جواك زي ما هو محفور جوايا .

لما شهاب صاحبك اتجوز ريهام صاحبتني وجارتني، كانت مفاجأة أعلى من مستوى التوقع، وأعلى من مستوى التعليق عليها كمان، شهاب صاحبك إلى أنت كنت بتنزل تجيبه من الشارع بناء على طلب أهله لما يتصلوا بيك في البيت وتنزل تدور عليه وترجعه بيته عشان يذاكر وينجح، تجيبه مرة من على القهوة، ومرة من السايبر، ومرة واقف على ناصية الشارع مع الشلة بعد نصف الليل، وكنت أنا أسألك هو أنت خلفته ونسيته ولا إيه؟ ترد تقولي أنه هو وأهله بيعتبروك أخوه الكبير، صحيح فارق السن كان سنة، لكنك كنت فارق عنه في حاجات كثير، وريهام صحبتي. ممكن اختزل نصائحي وكلامي معها في كلمة، كلمة "كويس" كنت دايمًا أقولها يا بنتي. اتكلمي كويس، اسمعي كويس، اتعاملي كويس، ردي كويس، و مش حقول لك أنني كنت بلعب معها دور الأخت الكبيرة، لأنه كان دور صغير بالمقارنة مع دوري في حياتها، أنا بالنسبة لها كنت في مقام أمها، لدرجة أن والدها قال لها مرة بهزار أنه يفكر يتجوزني لأنني حكون زوجة أب شاطرة.

أنا و أنت جمعنا موقفين بالعدد فقط لا غير مع شهاب وريهام اتجمعنا فيهم كلنا، الموقف الثاني والأخير كان موقف الفرح، يوم فرحهم، لما أنا وأنت بصينا لبعض لأول مرة ومكناش عارفين نتكلم، ومكناش عارفين نضحك من قلبنا رغم فرحتنا ليهم، لأننا حاسين أن فيه حاجة غلط، وأنا وأنت ثبتنا الضحكة على وشنا عشان لو الضحكة كانت هربت مكناش حنعرف نرجعها ثاني، وكنا حنخلي الناس تتكلم عنا كلام إحنا كنا في غني عنه، أبسط حاجة حيقولوا غيرانيين منهم، ويعني أنت أكيد عارف أنهم مكنوش حيقولوا غلطوا قوي ولا ظلمونا قوي. الموقف الأول، أول مرة شهاب وريهام يتقابلوا، كنت أنت وهو خارجين من امتحان، ورغم أنك غششته الامتحان كله، إلا أن شهاب مكتبش أي كلمة من كلامك! والعدر كان أقبح من الذنب، كان أنه مقدرش - يتذكر - أنت قلت له إيه بالضبط بحسب تعبيره، يعني لحق ينسي الإجابة خلال دقيقة أو اثنين بالكثير، ويومها ريهام علقته عليه بعد ما مشينا وسبناكم، وقالت أنها أول مرة كانت تشوف إنسان - أهطل - منها! حتى كلمة أهطل كانت أول مرة ريهام تقولها أو أسمعها منها في حياتي كلها ومن يوم ما عرفتها، وبعدين سكتت ريهام وقالت إنها بتتمنى ولد يكون زيك أنت يا ضياء، ساعتها كنت عايزة أرجعلك وأخبيك من كل الدنيا من كتر خوفاي عليك، يومها وقبل ما اروح البيت اشتقت اسمع صوتك، فروحت أنا وريهام على أقرب تليفون وقبل ما نوصل البيت أكلمك، ألاقيك بتردد تقول لي إن شهاب عازمك على كافيته تشربوا حاجة عشان تعبك معه في الامتحان والمذاكرة! شهاب إلى منتظر نتيجة حيثكتب فيها راسب علنا قصاد الكل، هو اللي عازمك على عصير عشان تعبك معه مش أنت إلى عازمه عشان تهديه! يعني مرواح الكافية كان أصلا فكرته هو مش أنت! وكمان هو خلص كوباية

العصير بتاعته وطلب واحدة تانية وأنت من كتر تأثرك من فشله مشربتش الكوباية بتاعتك! كنت بقى عايزة أسألك لكن خائفة. هي الحياة فعلاً بتتعاش كده؟!!

و تدور الأيام، وكانت بتدور بسرعة على فكرة، ونلاقي نفسنا قصاد تحدي جديد،تحديدًا لما شهاب اثبت نظريته اللي كانت حجته في البلادة والفشل الدراسي، نظريته أن النجاح في الدراسة ملوش علاقة بالنجاح في الحياة العملية، واتصل بيلغك بقرارات اتخذها منفرد لأول مرة في حياته، شهاب اللي مع كامل احترامي ليه، لما كان حتى بيحب يشتري هدموم نفسه كان لازم ياخذك معه! اتوظف - بدون شهادة - بياع في محل مفروشات، وبلغك يومها أنه قدم اعتذار عن دخول الامتحانات وحيكرر الاعتذارات أكثر من سنة، ولما اشتد الجدل ما بينكم قال لك بصراحة،أنه طالما مشكلة الشباب هي الوظيفة، وطالما أن التخرج من الجامعة أمره سهل بدليل كثرة عدد الخريجين، بالتالي الاهتمام لازم ينصب على الوظيفة قبل الشهادة طالما إنكم متفقين أن نادرا ما خريج بيشتغل في نفس مجال دراسته! وأصبح شهاب بيتكلم. عن ترتيب الأولويات! واللي زاد وغطى، أنه بعدها بشهرين يمسك مدير فرع. ويتقدم لريهام رسمي. ويطلب إيدها. ويكدب ويقول لها إنه اتغير عشان خاطرها وأنه حبه من أول نظرة . كنت عايزة أصرخ. عايزة أقول أن حبيبي أنا الأولى بالوظيفة دي، وأنا أولى بالفرحة دي بعد ما استنيت وصبرت سنين لكن أغرب ما في الموضوع، أنني حاولت أصرخ صوتي مطلعش. حاولت أعيط دموعي منزلتش، لأول مرة تعدد الشخصيات يبدأ يطلب حقه في التحكم في حواسي و ردود فعلي و تتفاسمها شخصياتي مع الشخصية الغالبة .

أنت طبعا عارف أنني فيّ طبع، لما كنت بسمع صوت خناقة في الشارع كنت بطلع الفراندا اتفرج. في الأول كنت بعملها عشان بخاف تكون أنت في الخناقة حيث إننا ساكنين في شارع واحد، وبما أنني معنديش إخوات ولاد، كان قلقي عليك هو شغلي الشاغل، لكن مع الوقت وحتى لما كنت بكون متأكدة من أنك في مكان بعيد عن الخناقة، استمر طلوعي للفراندا، الفضول وحب الاستطلاع كانوا بيظهروا، والشخصية الفضولية جوايا اكتشفت ظاهرة أو ملحوظة على خناقات ومعارك الشوارع مفتكرش حد أهتم يقف قصادها قبل كده .

بداية الخناقة دايمًا غير نهايتها. وأرجوك قبل ما تتسرع وتقول في عقلك أن ده شيء طبيعي. أصبر وأفهم أنا قصدي إيه، في بداية الخناقة الأطراف بتكون متساوية. كل واحد بيبقي راسم دور القوة، نافخ صدره ونافش ريشه، لكن في نهايتها ولما بيكون طرف انتصر على الثاني، المنتصر دايمًا بيتعمد إهانة المهزوم، يعني المنتصر ممكن كان داخل الخناقة

بلكمة قوية، ركلة، دفعة، يبقي إلى حدا ما عامل اعتبار للخصم، لكن بعد الانتصار، يبقي صفقة، بثقة، أو إشارة سافلة باليد أو حتى لفظ بديء خادش للحياء. وكأن المنتصر بيتعمد إعلان انتصاره بلغة لا يختلف على تفسيرها اثنين، مافيش شك أنه سلوك منحط .. لكن في أواخر علاقتنا، الظروف كانت بتتعمد إهانتنا بلغة لا يختلف على تفسيرها اثنين، تمام زي ما بيعمل المنتصر مع المهزوم في خناقات الشوارع ..

يعني مثلاً، واحد نعرفه يفوق من غيبوبة استمرت أربع سنين، يرجع مكان شغله يلاقي وظيفته مستنياه . واحد تاني جار لينا سرق من عهدته واختلس، يقدم جواب اعتذار فيرجعوه الشغل تاني، مع أن المفروض يوظفوا غيره ويكون عنده أمانة . أي حد بيتوظف ويقدر يستقر في حياته حتى لو كان متغيب لسنوات أو حتى حرامي، لكن إحنا. لا ...

أنت عارف إنني إنسانة محدودة الإمكانيات. يعني مافيش موهبة ظهرت في الصغر، ولا تفوق أو كفاءة في مجال معين، وأنا باعتبار نفسي إنسانة قدراتي العقلية عادية جداً وأقل من العادية كمان، لكن كنت بعوض افتقاد سرعة البديهة بطول مدة التفكير في الموضوع، يعني مثلاً، لو فرضنا أننا في امتحان حساب ورياضيات، وأنا وأنت قصاد مسألة حسابية معقدة، أنت حتجاوبها خلال خمس دقائق وأنا حتجاوبها خلال نص ساعة، لكن حيث إن مدة الامتحان ساعة، فأنا و أنت حننجح وبنفس المجموع والدرجات، فهمت؟

ومع ذلك، تفسير وضعنا كان بالنسبة لي عملية مستحيلة، و معتقدش أن فيه بنت في مكاني وسني وظروفي وقتها ممكن تدعي لنفسها قدرة التفسير، لكن كلمة - الظروف - بتريح من عبء تفسير الشخص لحقيقة وضعه سواء لنفسه أو للغير، ورد المحيطين على كلمة الظروف بيكون - بالصبر - لكن الصبر بالنسبة لهم مش هو الصبر بمعناه الحقيقي، وكلمة الظروف أساساً في نظرهم ملهاش مدلول واضح، الظروف هي كل ما يستعصي على الحل .. والصبر هو تأجيل التفكير لوقت تاني، ثنائية الصبر والظروف خلت عقلي اتشل. و فعلاً تفكيري وقف. و توقف التفكير معناه أن عقلك يصارحك بمنتهى الوضوح بأن حل مشكلتك مش عنده، وكأنه يقول لك من فضلك متجيش هنا تاني! حتعيش حياتك طبيعي بتاكل وتشرب وتنام، لكن الأوقات ما بين أفعالك الاعتيادية بتبقي عبارة عن فراغ ليس إلا، ضيف على كلامي فكرة أنني كنبت تهمة الخيانة محوطاني من كل جانب، يعني لو قطعت علاقتي بيبك وقبلت أي عريس تاني حقيقي خاينة لبيك، ولو

فضلت مستمرة في تمسكي بيك حقيقي خائبة لأهلي لأنني حرمتهم من الطمأنينة على مستقبل بنتهم الوحيدة، طب كنت أعمل إيه؟

أنا سألت نفسي سؤال طب أعمل إيه؟ والظاهر أنني متبهتتش أنني سألته قبل ما أنام بخمس دقائق، سألته ونمت وكأنني سألته لحد غيري، ثاني يوم ومش حقول، الصبح لأنني نمت حوالي ١٥ ساعة، صحيت الظهر لاقيت راجل قاعد على سريري عرفت بعد كده أنه الدكتور وكل العائلة حوالي، أوضة نومي اتحولت محطة أوتوبيس في مشهد بشوفه لأول مرة في حياتي، صحيت بقولهم في فزع صباح الخير! فمحدث رد!، فروحت طايحة فيهم بقي. أنتوا إزاي تدخلوا أوضتي وأنا نايمة!! لاقيت بنت خالتي جابت ساعة المنبه وحطتها قدامي، أيوه.. بجد نمت ١٥ ساعة ولاقيتهم كلهم بدأوا يشرحوا أن أمي دخلت تصحيني الصبح زي كل يوم وفتحت الشباك عشان الشمس تدخل، ومهما تتكلم أو تعمل مكنش فيه أي استجابة مني! المهم أنها اتصلت بأبوي يرجع من شغله بسرعة وجاب معاه الدكتور وهي كلمت العائلة كلها اعتقادًا منها أن تقريبًا بنتها جرى لها حاجة. أستأذنتهم يتفضلوا يخرجوا برة أوضتي، وبالفعل كلهم استجابوا، وسمعت من وراء الباب أن الدكتور بياكد لبابا أنه يستحيل الجزم بمعرفة أو تفسير حالتي إلا بعد إجراء تحاليل وفحوصات، وكتب ورقة طويلة عريضة وأداها لبابا، وقرائنا مشيووا عشان يسبوني أرتاح، طلعت لهم الصالة وأنا بضحك، وبابا يبص لي بعيون مافيش أحسن منها، فقلت له :

- بقي كده يا حاج تدخل الناس عليّ أوضتي وأنا نايمة؟

- قال لي : يا بنتي أمك هي اللي خضتني عليك، حد ينم ١٥ ساعة يا سهام؟

- قلت له: افرض سهرت شوية ولا شغل البيت تعبني. مش من حقي يا بابا؟

حضني وباسني وحلفته بحياتي أنه لازم يرجع شغله و يكمل باقي اليوم لو بيعبني. وفعلاً خليته يطبق وردية زيادة في اليوم ده، بمجرد بابا ما خرج من باب البيت، مسكت ورقة التحاليل والفحوصات اللي كتبها الدكتور وقطعتها ١٠٠ حنة، كنت حاسة أن النتائج حتكون غير طبيعية لأنني أساسًا عايشة وضع غير طبيعي، ولما ماما زعقت واعترضت، قلت لها جملة أنا شخصيًا حسيت أنها اتحطت على لساني ومش ممكن تكون طلعت مني أبدًا، قلت لها : بس بلاش كلام فارغ ! والغريب أنها سكتت !

محبش المبالغات، لكن أنا فعلاً اتحولت لواحدة تانية، ١٥ ساعة كانوا كفاية تتشكل خلالهم معادلة واحدة ملهاش ثاني، وهي اني لو أنا بحبك بجد، وبحب أسرتي بجد وبحب نفسي بجد، أدور على حل لمشكلتنا وأقدمه ليك على طبق من فضة، الحب هات وخذ طالما أنه مش من طرف واحد، وأنا طول عمري باخد و عمري ما فكرت أديك حاجة، يمكن عشان كنت فاكرة أن معنديش اللي أقدمه ليك، بنت بسيطة من أسرة بسيطة، حتملك تفيدك بإيه غير أنها تستني جنبك؟ يعني أنا مطلعتش ضحية بقدر ما طلعت مشتركة معاك في الجرم، بس هو أنت جرمك إيه أصلاً؟ يعني أنت ليه فشلت تلاقي نفسك أساساً وأنت عمرك ما كنت مقصر والناس كلها تشهد؟ طب ما هو أنا لو مقدرتش أساعد في حل اللغز ده وإجابة سؤال أشك في وجود إجابة عليه عندك أنت شخصياً، يبقى أنا حكمت على نفسي أتحوّل من إنسان لجماد، والجماد مش من حقه يسأل عن الوقت لأن إحساسه بالوقت معدوم، في اللحظة دي، أنا أدركت أننا ماشيين في طريق اخرته نهايتنا، اتولدت عندي قناعة بأن الانعطاف مهما كان حاد حيكون في مصلحتنا طالما حيمنع قصتنا تكون زي ملايين قصص الحب منتهية الصلاحية، صلاحية الاستمرار طبعاً، صحيح أن في الآخر مقدرتش أمنع نهاية علاقتنا، لكن قدرت أغير شكلها. الشخصية الفضولية جوايا اتملكتني، ووجهت لي أمر، بأني لو بجد بحبك لازم أعرف مكمّن المشكلة فين، يمكن أقدر أساعدك تقف على أرض صلبة، وساعتها حكون أنا كمان واقفة جنبك. عارف يا ضياء، أنت الناس كانت بتضرب بيك المثل من وراك، مكنتش برضى أحكي لك عشان بغير عليك لما أعيد كلامهم عنك حتى ولو بيني وبين نفسي وكمان عشان منتغرش وتتكبر عليّ، لكن بعد ما خلصنا دراسة، نفس الناس وفي نفس المجالس اللي كانت بتشكر فيك وملهاش سيرة غيرك، بقوا يسألوني عنك بنبرة عطف وشفقة عليّ كوني مرتبطة بيك! فبدأت أنا أتخلى عن خوفني وحذري وأذكر مميزاتك قدامهم، فأتفاجئ بعدم اقتناع، الظاهر أني مكنتش متمرسة في فن الكذب كفاية، مع أني مكنتش بكذب.

وخرجت ثاني وأقول لك، أنا شاهدة أنك عمرك ما كنت مقصر، عامل إلى عليك وزيادة عشان تقدر تلاقي وظيفة وتفتح بيت، أنا شاهدة على كل محاولاتك سواء اللي كلمتني عنها أو محاولاتك إلى خبثها عني، أنا عارفة أنك كنت بتابع إعلانات الوظائف وبعث سيرتك الذاتية لأكثر من مكان في الداخل والخارج و عارفة أنك رجعت علاقتك بتامر جوز أختك رغم عدم تقبلك لشخصيته يمكن يساعدك وتلاقي وظيفة معه في الخارج، واللي أنت متعرفوش أني أنا كمان بعث سيرتك الذاتية من غير ما أنت تعرف ومن وراك لأكثر من مكان، صحيح كنت عارفة أنك حتزعل لو عرفت أني اتصرفت من ورا ظهرك، لكن أنا حسبتها كالاتي، لو جت الوظيفة أنت حتكون ناسي بعث سيرتك لمين بسبب تكرار المسألة

وكثرتها، ولو الوظيفة مجتث أنت كده كده مش حتعرف أن سيرتك اتبعنت من الأصل ولو حصل وكنت قبلت في وظيفة وأنا اعترفت لك أنني أنا اللي بعث لهم ملفك، أنا متأكدة أنك كنت حتسامحني، مش كنت حتسامحني يا ضياء عشان أنت عارف أنني عملت كده عشان تقدر نتجمع في بيت واحد أنا وأنت؟

وأنا عمالة أبعث سيرتك الذاتية لكل مكان، يمين وشمال، كنت بقراها وبسأل نفسي سؤال واحد، إزاي شاب بالمؤهلات دي يترفض؟ طب إيه كان مفروض يتعمل زيادة ومتعملش؟ لكن في الحقيقة، مقدرتش وقتها اعرف إجابة السؤال ده. وسواء ملفك اتبعث لوظائف منك أو مني فالنتيجة كانت صفر والمحصلة لا شيء .

مع الوقت تحولنا لكائنات عدائية. بقينا نبص على الناجح في أي مجال وكأنه حد " خائن " لنا، لدرجة أننا حصرنا نفسنا في خانة معينة ومقدرناش نخرج منها والمشكلة أن الناس بدلوا نظرتهم لنا من نظرة لعصفورين يبجبوا بعض لنظرة مختلفة شيفانا اثنين عمرنا ما بنحب الخير لحد، والسبب هو أنه في وجهة نظرنا وقتها، أي حد نجح يبقى أهله كانوا السبب مش اجتهاده الشخصي، أي بنت بتتجوز تبقى في نظرك رضيت بأي حد وخلاص واختارت الحل السهل، أي راجل بينجح يبقى أونطجي وحلانجي .

في الوقت ده وتحت مستويات الضغط، شخصيتك القديمة اتفتت، تقريبًا عرفت أن مبقالهاش مكان في الدنيا دي، كنت بحاول أجمع الفتات عشان أقدر استمر أشوفك بالصورة اللي أنا حبتها أول مرة، لكنها كانت مهمة فوق طاقتي، أنت أهملت في مظهرك وفي اهتمامك بيّ، أسلوبك اتحول من حنين - تلقائي إلى حاد - مصطنع، انشغالك بلا شيء عني كان واضح، انخفضت مكالمتنا من مرتين في اليوم صبح وليل، إلى مكالمة واحدة في الأسبوع لعدم وجود أي جديد من أي نوع، مكالمة يوم الخميس، وإختيار يوم الخميس كان له دلالة، أولًا لأن الخميس دم يوم سهرتك إلح بترجع منها وش الفجر، ثانيًا ده يوم الزيارات العائلية وزيارات العرسان وجواز الصالونات، بالتالي كنت بتتكلم تطمئن على وجود - الفازة - بتاعتك على التراييزة مطرح ما سبتها، حقك . لكن ده معناه أنك لو كنت ضامن أن مافيش جديد. حتى مكالمة مرة واحدة في الأسبوع كانت حتبقي كتير عليّ، صح؟ ماشي.

انعطاف مفاجئ. نزلت مع واحدة صحبتي أخذ دبلومة، أنا دبلومة إنجليزي وهي كورس جرافيك، في مركز تعليم وتدريب فتح جنبنا جديد، أظنك كده عرفت مين صحبتي وعرفت المركز كمان. نزلت اثبت لنفسي أن المشكلة مشكلة جيل وظروف مش مشكلة الراجل إلى حبيته، خصوصًا أن علاقتنا وعلى عكس علاقات تانية كتير، كنت أنت الذكي المتفوق دراسياً مش أنا، رغم أن معروف أن البنات بيحبوا المذاكرة، بالتالي كانت مسألة محسومة أن استحالة أقدر أوصل لحاجة أنت فشلت فيها، كان فيه صعوبات من نوع مختلف، منها أنها كانت أول مرة اخبي عليك و كنت خائفة جداً تعرف موضوع الدبلومة والمركز، لأن رد فعلك حقيقي مبالغ فيه وحتعتبرها إهانة شخصية ليك! لكن المفاجأة كانت عدد المتعاونين معايا في أنني اخبي عليك لما طلبت منهم يحفظوا موضوع الدبلومة ك سر لأنك غيور، تقريبًا يا ضياء، كل المحيطين بينا، حتى إلى كنت فكراهم زمان بيغيروا من وجودنا مع بعض، نفس المجموعة من الناس كانت من سنة واحدة فاتت، بتفتاني في خدمتك لدرجهم أنهم كانوا ممكن يراقبوني ويتأكدوا من حسن سلوكي مجاملة ليك! كان منهم إلى شاييفينك قدوتهم، ومنهم اللي كانوا عايزين يجوزك بناتهم، وناس كانوا بيحبوك من غير سبب واضح، طب جري إيه؟ لدرجة أنني بقيت عايزة اعرف سري حيتكشف بعد قد إيه؟ ضميرهم حيصحى امتى ويبلغوك أنك نايم على ودانك؟ تتصور صاحب سر بيحلم بسره ينكشف؟ شوفت كنت واصله لإيه؟ دي مش بس شخصيات متعددة، لا وكمان مصالح متضاربة، ساعتها حسيت بإحساس غريب قوي وعمري ما حسني لحظة إحساسي به، حسيت أن صورتك اختلفت في عين الناس، مبقتش أنت بتاع زمان.

ومع ذلك، عاهدت نفسي أنك لو اتصلت بيّ اكثر من مرة في الأسبوع، حقولك موضوع الدبلومة وساعتها تبقي تعمل إلى أنت عايزة. لكن الوضع استمر على نفس الإيقاع لحد ما خلصت الدبلومة وطلعت الأولى على المركز بسبب طاقة الفراغ والكبت المختزنة جوايا، واللي الظاهر أن مش كتير قدروا ينافسوني فيها، يوم ما روحت مركز التدريب أنا وصاحبتي نستلم الشهادات، عشان إما تتحط في برواز في بيوتنا أو تترمي في أدراج مكاتبنا كعادة أي شهادة، لاقيت المركز عامل إعلان طالب مساعدين لطاقم مدرسين المركز، وطبعًا من ضمنهم اللغة الإنجليزية، لكن صيغة كتابة الإعلان كان مفترض أنها واضحة وصریحة، مطلوب مساعد مدرس ويشترط الخبرة، يعني مساعد مذكر وكمان شرط الخبرة، بالتالي أنا آخر شخص ممكن اتقدم أو من باب أولى يتم قبولي.

ضياء أنا عارفة أنك شكاك والشك بيجري في دمك، فاستبقاً لأي ظنون ممكن تخطر على بالك، أظنك عارف أنني على مستوى الشكل عمري ما كنت جميلة لدرجة حد يجاملني عشان مظهري، أنا زي ما بيقولوا - سمحه - أنا قلت بس أفكرك عشان متفسرش الأمور على هواك وأتفاجئ أنني زرعت الشك في قلبك بدون قصد، ولونه أساساً مش محتاج حد يزرعه هو مزروع وطارح كده من نفسه . وإحنا خارجين من المركز بعد ما تسلمنا الشهادات، سمعت صوت بنت وإحنا ماشيين وسط الجموع، بنت صوتها خشن وشبه صوتك، حتى أنني لسه فكراه، البنت بتسأل بتقول، إعلان الوظيفة طالب مساعد .. بشنب؟ تقصد مساعد راجل يعني .. صدقني يا ضياء، الفضول ولا شيء سوى الفضول أو الشخصية الفضولية أو الفضول ومشتقاته كانوا السبب الوحيد أنني أقول لصدقيتي تنتظرنني وأروح لمقابلة صاحب المركز للأستفسار عن الوظيفة ! لاقيت الباب موارب خبطت وسمعت صوت راجل في سن والدي بيقول ادخل، دخلت لاقيته شخص شكله محترم واعتقد أنه كان أكبر من والدي بكام سنة ..

قلت له: حضرتك أنا بستفسر بخصوص وظيفة مساعد مدرس إنجليزي!

قال لي: إحنا شغلنا 3 أيام في الأسبوع، وتجاهل تماماً فكرة أنني بنت، وأكيد مش بشنب .

سألني عن مؤهلاتي: قلت له إني خريجة معهد بس بعرف كومبيوتر، وطلعت الأولى على دبلومة الترجمة عندهم ..

قال لي بتلقائية: حتبقي دعاية حلوة للمركز أن مساعدة المدرس كانت طالبة في أول دفعاتنا، تعالي بكرة قابلي الأستاذ عشان تعرفيه بنفسك وتستلمي الشغل .

خرجت لصاحبتني وأنا مذهولة. مش مصدقة نفسي. ولا متوقعة أنها تصدق اللي جري .

قالت لي: خلاص سألتني؟

قلت لها بذهول: أنا اتوظفت. عينوني مساعد مدرس إنجليزي !

باركت لي، ولما قلت لها تروح تتقدم هي كمان لأستاذ كورس الجرافيك، قالت لي أن طموحها أعلى من كده بكثير، طريقة كلامها فكرتني في اللحظة دي بيك، وأول ما جيت في بالي يا ضياء، طلعت اجري وامد في الخطوة زي المجنونة، اللعبة قلبت جد، رجعت البيت مش عارفة حصارحك إزاي بالموضوع كله، وتفصييلة صغيرة غيرت مجرى الأحداث كلها، تفصييلة مضمونها أنه كان يوم الخميس. يعني كنت عارفة أنك أكيد حتتصل وتتكلم عشان تتأكد من - ثبات الوضع - وبعدها تعيش حياتك لمدة أسبوع معرفش عنك حاجة ..

وأنت فعلاً اتصلت، وكانت أغرب مكالمة اتكلمناها. يومها كان صوتك متغير وقلت إنك مسافر البحر الأحمر تأخذ كورس غطس عشان أنت حابب المهنة و كمان فلوسها كويسة. وبتطلب مني أني أختصر في كلامي وأوفر أي لوم أو عتاب أو حتى أخبار جديدة لمدة شهر لحد ما ترجع - فرحت شوية في الأول. لأنك أخيراً لاقيت وظيفة ولأن عبء مصارحتك بمستجدات حياتي في غيابك عني حشأجل. لكن، لكن زعلي لسفرك وبعدهك عني أكثر ما أنت كنت أساساً بعيد نساني أسألك حتتعلم غطس إزاي وأنت أساساً مبتعرفش تعوم؟

وبسبب التوتر. والرغبة في التخلص من التوتر. وبسبب طول انتظار الفرصة خدعت نفسي وضحكت عليها، وافترضت من تلقاء نفسي أن حيكون فيه كورس تمهيدي لتعليم السباحة مضاف لكورس تعليم الغطس، ما أنا بقيت خبرة في الكورسات. وبقيت خبرة في الكذب على نفسي كمان .

بعد سفرك بحوالي أسبوعين. مكالمتك الأسبوعية اتحولت لمكالمة كل أسبوعين والسبب كان أنك مشغول. صحيح سبب غير مقنع. لكن ما هو أنا لو كنت قدرت أفسر سر مكالمة واحدة أسبوعياً في القاهرة، كنت حقدت أفسر سر مكالمة كل أسبوعين وأنت في البحر الأحمر، لكن أصعب موقف كان لما واحدة معرفة طلبت تقابلني لأنها عارفة أني مرتبطة بيك، وورثني صور وصلت لها عن طريق واحد صاحبك من الناس إلى أنت كنت مسافر معاهم - صورتك وأنت واقف فوق يخت. مع مجموعة ولاد وبنات، ولافف إيدك حوالين وسط واحدة منهم شكلها أجنيبة. أقول لك سر؟ أنا عارفة أنك مش خاين، وعارفة أن ضحكتك في الصورة كانت مصطنعة، مش هي دي ضحكتك وأنت مبسوط وفرحان من قلبك، لكن كانت ضحكتك بعد ما بتفوز في تحدي، وكأنك بتاخذ صورة تنتقم بيها وفيها من الظروف وفترات الحياة الصعبة، صورة تمثيلية ومصطنعة لكنها في نفس الوقت حقيقية لأنكم مش ممثلين ولا بتصوروا فيلم. طبعا دي كانت اللحظة إلى لازم اطلب فيها الانفصال، ولو سألتني عن السبب رغم أني عارفة أنك مش خاين، فرغم صعوبة السؤال إلا

أني أملك إجابته - أنا زي أي واحدة شافت حبييها من غيرها، مريت بأيام صعبة مش لاقية كلام أوصفها بيه، لكن في نفس الوقت أنا أعلى من أني أقارن نفسي بواحدة غيري. كان ممكن أحط سنين عمري معاك في كفة ميزان، ولحظة صورتك مع غيري في الكفة الثانية، وأكديت أنت عارف أن كفتك كانت حتكون الراجحة، أكيد كان ليك عندي مخزون يخليني أسامح في نزوة، لكنها مكانتش نزوة يا ضياء، دي كانت النهاية بالنسبة لك، كانت حالة من الانفصال عن الواقع بتضمن لك قدر من الإشباع، أنت شاب مقدرش يلاقي وظيفة ويتجاوز، لكن قدر يأخذ صورة وهو على يخت يسوي ملايين وحاضن واحدة جمالها برضوا يسوي ملايين. وبالشكل ده، أنت فقدت آخر دافع كان ممكن يحركك لقدام. شبعت يا ضياء. والشبعان محدش يستنى منه سعي .

بعد ما بعثك صورتك، اتكلمنا وكان سكوتي بيستفك، حسيت أنك عايزها تيجي مني وأقول لك نتفارق، فكنت مستني مني كلام، وأنا كنت مستنية منك كلام، لكن محدش آخذ الكلام إلى كان مستني ه يا ضياء، كنت مستنياك تقولي أن دي مجاملات اجتماعية عشان الشغل يمشي، أو أنك مستعد تقطع الكورس وترجع على القاهرة على طول، أو أنها حتى مجرد صديقة وأنت مستعد تثبت لي الكذبة البيضاء لكنك كنت واضح وصريح ومباشر، في الأول اتهمتني بالغيرة، وبعدها قلت لي أنك مش مسئول عن أوهامي، ولما قلت لك كل واحد فينا من سكة، لاقيتك سكت، اللحظة اللي كنا خافين منها من زمان جت، لكن جت بصورة عمرنا ما اتوقعناها .

بالصدفة اترقيت في شغلي، الأستاذ الكبير جاله عقد عمل يدرس إنجليزي برة، وأنا حدرس مكانه كأستاذة أولى وبقي من حقي أعين مساعد تحت أيدي، لكن حجم الفراغ اللي جوايا خلاني اتولي المهمة كلها لوحدي، يمكن عشان ميتقاش مكان في يشتاق لأيامي معاك، بعد كام أسبوع، حصل موقف يعتبر نقلة في حياتي كلها، نقلة كل شخصياتي وقفت عاجزة عن تفسيرها، قابلت شخص يعتبر مزيج من القوة والضعف، والغرابة .

في يوم وأنا في مكتبي بشتغل، سمعت صوت زعيق وخناق لأول مرة في مركز التدريب، طلعت أشوف في إيه فوجئت بشاب طايح في زملائي، ادخلت وسألته عن سبب المشكلة، لكنه رفض، وقال أن مشكلته مع الأستاذ الأول للإنجليزي، اللي أنا اخدت مكانه، بصراحة خفت. أنا معرفش الأستاذ ده كان متورط في إيه، ولا إيه طبيعة العلاقة اللي ما بينهم، فمكنش قدامي حل غير أني أصارحه بأن الأستاذ سافر وساب المركز ومش حيرجع لأنه جاله عقد عمل خارج مصر - مرة

واحدة. الشاب الغضبان اتحول لهادئ، لمحت دموع في عينيه، ومشى وهو ييمد في الخطوة وتقريبًا كمل باقي الطريق جري لحد ما خرج برة المركز - الشخصية الفضولية خلتنى امشي وراه زي المنومة مغناطيسيا، نفسي أعرف الأستاذ الأولاني عمل إيه خلي الشاب ده في الحالة دي ! ، خرجت وأنا عاملة حسابي أنني أناادي عليه، لكن فوجئت أنه قاعد على الأرض يمين باب المركز وييعيط لدرجة أنه مسمعينش. كررت النداء أكثر من مرة، رد عليّ أخيرًا، وحكى لي على اللي كنت عايزة أعرفه :

قال لي إنه خريج علوم حاسب، والأستاذ الأول في مركزنا كان بيدرس له أيام المدرسة، الخلاصة أنه اتقدم بمشروع برمجة وعايز يراسل بيه شركات في الخارج لكن لازم مشروعه المكون من حوالي ألف صفحة يترجم الأول، والأستاذ الأول كان عرض عليه يترجم له المشروع كله بدون مقابل كامتداد لعلاقة الأستاذ بتلميذه . أنا فكرت أو بمعنى أصح إرتجلت حل للموقف المعقد ده، بأني عرضت عليه يتفضل يدور على ملف المشروع الخاص به لأنه اتضح كمان أنه مكنش عنده نسخة احتياطية، فالمشكلة بالنسبة له كانت مضاعفة - وإحنا داخلين مركز التدريب تاني، اتضح لي جزء من شخصيته الحقيقية، لأنه بدأ في توزيع الاعتذارات على كل شخص كان انفعل عليه وصولاً لمكتبي، كان بيعتذر للناس وكأنه بيشفهم لأول مرة، فتحت دولا ب الأوراق والملفات وبدأت أدور معه على مشروعه، وبالفعل لاقيناه، لاقينا ملف أقل ما يمكن وصفه به أنه لم يمس - الظاهر الأستاذ كان بسبب انشغاله بتحضيرات السفر نسي حتى وعوده اللي متوقف عليها مستقبل تلاميذه بتوع زمان، بمجرد ما الشاب إلی بكلمك عنه مسك الملف وبقي بين إيديه، دخل في حالة أنا عارفاها ومقدراها كويس.

سألته: متبقي من المهلة قد إيه؟

جاوب: شهر

قلت له : خلال أسبوع واحد حكون مخلصه ترجمة الملف ترجمة علمية معتمدة، وبنفس عرض الأستاذ السابق - يعني مجانًا- .

فضل مندهش شوية و مش مصداق نفسه، وبعدها سألني عن الدافع اللي ممكن يخليني أكرس نفسي لتصليح غلط غيري وأترجم ألف صفحة مجانًا !!

جاوبت: تهمني صورة أستاذاي السابق، وكمان عشان تفتكره بالخير ..

فوجئت به أخرج واتكسف من نفسه وإنفعاله، والظاهر ده كان الدافع أن يبوح بكلام مكنش مفروض يتقال .. و بدأ
كلام بضمير مخاطب جمع: أنتم !

” أنتم بتشتغلوا في الترجمة كل يوم ولا ألف ورقة، لكن ورقة واحدة ممكن تكون شهادة ميلاد جديدة لبني آدم، أنا عارف أن شعار المركز أن كل ورقة مهمة مهما كان محتواها، لكن صدقيني أهمية الملف ده عندي هي نفس أهمية حياتي، ولو كان فيه إمكانية أعمل نسخة ثانية منه كنت عملت، ولو كان فيه إمكانية أبعث أكثر من نسخة لأكثر من مكتب ترجمة كنت بعث، لكن زي ما يقولوا العين بصيرة واليد قصيرة، وحضرتك عارفة تكلفة الطباعة والترجمة قد إيه “

هزيت رأسي بأني متفهمة الوضع. وتعمدت أقصر في الكلام وبدل ما يكون رد فعلي هو نهاية النقاش ، لاقبته قال كلمة أجبرتني أسمع كل كلمة بعدها

قال : " أصل أنا يا آنسة معنديش حياة " !

اتلفت وبصيت له .. وطبعًا هو عارف أنني حسأل عن معنى الجملة فقال : أنا مقدرتش أشغل أو أرتبط أو حتى يكون لي أصحاب لأنني ساعتها حبقي كداب ومنافق، عمري شخصيتي الحقيقية ما حتظهر إلا لو الناس عرفت أنا مين و عمر الناس ما حتعرف أنا مين إلا لو مشروعني شاف النور !

قلت: على كده فاتك كتير

ضحك وقال: أبدأ، أنا عندي القدرة أوقف سير أحداث حياة الناس اللي تخصني، لحد ما أنا وهما نتقابل في ظروف أفضل

سألته باستغراب يعني إيه ؟ قال: لما أستلم ترجمة الملف حقول لك

قلت: مقايضة؟

قال: العفو. بس مش مرتب كلامي وأعتقد لو اتكلمت حيكون غير مفهوم .

أنجزت الترجمة في أسبوع، والفضول أو شخصيتي الفضولية كانت ممكن تكون الدافع أنني مسلموش الملف غير لما أعرف يعني إيه عنده القدرة يوقف سير أحداث حياة الناس اللي تخصه، اعتبرت خوض نقاش من النوع ده ثمن كافي لمجهودي في ترجمة قرابة الألف صفحة كانت بالنسبة لي أشبه بالغاز؛ لأنها متعلقة بتكنولوجيا الحاسبات والمعلومات، وبينني وبين نفسي سألت، مستحيل يكون إنسان حاول ينجز عمل بالحجم ده وهو مجرد إنسان موهوم، فعلاً كان عندي فضول أعرف مين البني آدم ده وبعد أسبوع اتقابلنا، جالي المركز وبسبب تغيير شكله معرفتوش، سلم عليّ وسلمته الترجمة وقلت له بالتوفيق، سألتني ما إذا كنت مصرة أعرف معنى كلامه جاوبته: بالتأكيد، طلب مني نخرج الكافية اللي قدام مركز الترجمة، رفضت، وبعد إصراره اتفقنا على أن نقعد أقل من 5 دقائق، وكمان منطليش حاجة، والغريب أنه وافق، مكنتش حاسة أنه يحاول يستدرجني لميعاد، كنت حاسة أن محتاج يشارك فكرته مع حد وأنه أخيراً لقي مبرر رد الخدمة بخدمة زيها عشان يقدر يتكلم في أمور على درجة عالية من الخصوصية، وطالما وصلنا للمرحلة دي، يبقى حنختصر لك الأحداث في نقاط موجزة لأنني مقدره تأثير الحديث على أعصابك وأعصابي :

قلت له : إن ده حيكون أول وآخر ميعاد

- صارحني مباشرة برغبته في أنه يتقدم لي

بدأت أتكلم وأحكى له عنك أنت. وتقريبًا حكيت على كل حاجة عشان نبقى على نور من الأول، وفي الحقيقة كنت بحس براحة لما أجيب سيرتك في كلامي بمناسبة أو بدون مناسبة فوجئت برد غريب ومريب منه، بص لي بمنتهي الشفقة والأسى وقال: أنا آسف ولما سألته آسف على إيه؟ قال لي: أنا السبب. أنا السبب في فشل ارتباطك وعلاقتك السابقة - سواء كنت متعددة الشخصيات أو أحادية الشخصية، حالة الخوف إلى حسيت بيها كانت هي المسيطرة على الموقف، لاقيته بيقول لي: مش قلتني أنه حيكون آخر ميعاد. يبقى على الأقل من حقني تسمعييني . والشخصية الفضولية

رجعت تظهر ثاني، وقعدت، وسمعت أغرب كلام ممكن كنت أتخيل أنني أسمع في حياتي، وحنقل لك الكلام زي ما سمعته، عشان مبقاش بضيف أو أحذف من عندي .

الحب بيخلينا نتحمل فوق طاقتنا، نتغاضى عن عيوب أحبابنا ونتجاهل مميزات غيرهم، بنكدب على نفسنا ونخدع اللي حوالينا عشان نظهر حبايبنا في أحسن صورة، بنبني أمل كداب ونصدق، بالشكل ده المعجزة فعلاً هي أن الحب كان يستمر والتوازن والعدالة هي أنه ينتهي وفي أقرب فرصة، وعشان نثبت أن الحب أناني. كفاية أنك تحاول تغيير طبيعة الدنيا كلها عشان خاطر شخص واحد ..

بدأ يفسر لي كلامه الغامض، بأن البشر عكس الجمادات، لأن في الجمادات الأقطاب المتنافرة تتجاذب، والأقطاب المتشابهة تتنافر، لكن في البشر الموضوع مختلف، كل إنسان لازم يضيع ألف فرصة لحد ما يوصل للفرصة المناسبة، وتعريف الفرصة المناسبة هي أنك تعيش حياتك مع حد شبهك في الأفكار .. الأفكار اللي ممكن أقرب الناس إليك يرفضوا يسمعوها، ولذلك هو مكنش قلقان من فكرة أنني أكون لحد غيره، لأنه رابط الموضوع وفقاً لمعتقداته الشخصية أو تجربته في الحياة، بأني كان لازم علاقتي السابقة معاك تتدهور تدريجياً كل ما كان هو يقرب من الوصول لهدفه ورسم مشروعه الخاص، المشروع اللي أنا توليت ترجمته بعد كده .

واتجوزنا، اعذرني لو حكيت قصة جوازي بالطريقة دي. وأنا مقدرة إحساسك وشعورك وأوعدك حنهي رسالتي في أقرب سطر ممكن، لكن الصبر يا ضياء الصبر، فات الكثير وما بقي إلا القليل، عايزاك تحسبها حسبة عقل ولو مرة واحدة في حياتك، وجاوبني سؤالي. مش كان الحل الأسهل أنني أنساك، وخصوصاً أنني بدأت حياة جديدة في مكان جديد؟ لكن عارف ليه بعترف لك بأسرار لو كنت سكت كان زمانها غايبة عنك لحد النهارده؟

بدون حاجة لذكر تفاصيل عن وظيفة زوجي أو حياتنا الشخصية، الغربة علمتني أن النجاح له ألف أب، ولما وصلت البلد هنا، فوجئت أن مع ظهور أي اكتشاف أو اختراع جديد بيتزامن ظهور أشخاص يدعوا ملكيتهم أو مساهمتهم في خروج الاكتشاف للنور - زيادة وضوح. لو عامل مصنع اكتشف اكتشاف له علاقة بزيادة أو تحسين الإنتاج، بيدعي المصنع ممثل في المدراء أنه صاحب الفضل، لأنهم دربو العامل ومرنوه على أساليب العمل، ولولا التدريب والتعليم ما كان الاكتشاف شاف النور، فهتم النظرية؟

وبالمثل، لولا وجودك في حياتي مكنتش قدرت أتوصل لحل مشكلتنا ومشكلة ناس كثير غيرنا، هما ٣ خطوات، أو ٣ أخطاء. لو كنا مشيناهم صح كان زمان كل حاجة اتغيرت

الخطوة الأولى: حرافية الحياة لا حرفيتها

الحرافية أو الاحترافية من الأحتراف. وحرفية بمعنى الالتزام بنص وشكل الأشياء الخارجي. مستغرب كلامي صح؟ وأنا كمان مستغربة، لأن رغم تشابه حروف الكلمتين إلا أنهم نقيضين، وكل كلمة منهم لها معنى عكس الثاني. وطبعًا أنت ادري بحالك من غيرك، وادري بمدى اهتمامك بحرفية الأشياء. وعشان اتفادي جملتك المشهورة - كلام مرسل - حفرك بمواقف من حياتنا تثبت لك صدق كلامي .

فاكر يوم ما عزميني على حفلة في فندق خمس نجوم وصفته بأنه - عمر ما حد من معارفنا ما راحوه - على حسب تعبيرك؟ يومها دخلنا وإحنا بنحاول نسيطر على الذهول من الناس والمكان وكل المحيط، وقدردنا نتحكم في نفسنا إلى حدا ما لكن لما جت لحظة اختيار الترابيزة. سألتني أحب تقعد فين وسبت لي حرية اختيار الترابيزة، وأنا كانت إجابتي واضحة بأني عابزة تقعد جنب البيانو، أولاً لأنها كانت أول مرة في حياتي أشوف عزف بيانو حقيقي مش تلفزيون، وثانيا لأنني رفضت نكون جنب شباك عشان كان نفسي انسي الواقع ولو لدقائق، كان نفسي اعتبر العشاء ده لحظة حنفضل معانا لآخر العمر - ولما قربنا من الترابيزة وعازف البيانو ضحك لنا وبدأ يعزف مقطوعة رومانسية فوجئنا بأن الترابيزة عليها ورقة مكتوب عليها - الطاولة محجوزة - ساعتها حسينا بإحساس غريب، وكأننا تماديننا في السعادة وإن آن أوان الرجوع للمجريات المعتادة، وقعدنا جنب الشباك. وصوت البيانو بقي بعيد لدرجة أنني كنت شايفة العازف بيحرك إيداه لكن مش سامعه نغم. ساعتها دخل اتنين من سننا، واحد وواحدة، مخطوبين ولا متجوزين. الله أعلم، ومروا بنفس الموقف ونفس جملة - الطاولة محجوزة - أنا لسه فاكره رد فعل الولد بالتفصيل، ساعتها البنت اترسمت على ملامحها إحساس بخيبة الأمل وكسرة النفس وكأنها نسخة مكررة مني ومن الموقف اللي يدوب لسه ما فتش عليه كام دقيقة. كانت واقفة لوحدها والولد اختفي تمامًا من المشهد، ساعتها أنا وأنت حسينا بنوع من - التعويض - لأن الفرح اتحول من إحساسنا بالسعادة لإحساسنا بوجود غيرنا معانا في المشكلة أو الورطة لكن المفاجأة أن الولد رجع و وراه مدير مطعم الفندق، الولد بيضحك لحبيبتيه وكان حلم حياتهم اتحقق، يقوم المدير رافع ورقة - الطاولة محجوزة - ويوجه لوم للجرسون بضرورة سرعة

رفع الورقة من أي ترابيزة يتلغى حجزها أو يتأخر أصحابها عن معاد وصولهم عشان تكون متاحة لباقي الرواد .. طبعاً أنت كالعادة كنت خارج نطاق الأحداث الجارية حوالينا، وسرحان وغرقان في دنيا أبعد ما تكون عنا، لدرجة أنني كنت متأكدة أنني الشاهدة الوحيدة على موقف الولد والبنت. ولما وقتها سألتني مالك؟ كنت سرحانة في ألف سؤال وسؤال، لكن ممكن دمجهم في سؤال واحد، مضمونه جوهر الفارق ما بينا، وما بين الولد والبنت كثنائي ..

باختصار الولد نجح في تحقيق هدفه لأنه لم يلتزم بحرفية ورقة مكتوب عليها -الطاولة محجوزة - وسواء كان استنتج إلغاء الحجز عن طريق الشك، أو بسبب تأخر الوقت وتوقعه عدم مجيء الحاجزين أو مجرد رغبته في المحاولة وتجاهل الواقع ولو لثوانٍ، فجميع الدوافع والأسباب تندرج تحت بند - احترافية الحياة لا حرفيتها. إعلانات الوظائف هي مجرد - فعل - يستقبل رد فعل - المتقدمين للوظيفة - والمتلقي معدوم الأثر، امتى بيتحول المتقدم لفاعل؟ عن طريق احترافية الحياة. عدم الاعتراف بشروط الوظيفة وهي دائماً أبداً وكأنها مفصلة على مقاس شخص واحد! إعادة التفاوض على الشروط. تقديم المهارات الشخصية وكأنها بديل عن شروط غير متوفرة في المتقدم، فاهمني يا ضياء؟ كم شاب اتقبل في وظيفة وهو غير مستوفي شروطها لأنه مميز في جانب اكتشف أصحاب الوظيفة أنهم في احتياج إليه في لحظة الاختبار؟ شخصيته قوية متعدد المهارات، حسن المظهر والأسلوب، الاستعداد للتعلم ... إلخ

الخطوة الثانية: (التواريخ فواصل وهمية) عمر الفكرة طارح عمرك الزمني

كل إنسان منا له تاريخ ميلاد، وكل إنسان منا ييفكر وله أفكار، لكن الفكرة منفصلة عن صاحبها، وعمرها مختلف عن عمره، الفكرة عبارة عن كائن، بيتولد بتاريخ، ويعيش لتاريخ، وينتهي إما بتحقق الفكرة أو فشلها، يعني الفكرة بتمر بمراحل الإنسان، بداية ووسط ونهاية. أخطر لعبة في الوجود هي الدمج بين عمر الفكرة وعمر الإنسان نفسه صاحب الفكرة، بمعنى: الخطأ أن يتصور إنسان أن فكرة واحدة حتلازمه طوال حياته، أو أنه يكرس عمره كله لفكرة واحدة، لأنه سيكون قبل احتمالية أنه يقضي حياته منتظر شيء احتمالي، بالتالي التواريخ فواصل: وهمية، بنسمع كلام كثير بكلمات دلالية على شاكلة :

-لما يبقى عندي ... سنة حعمل

- أنا فاضل كام شهر وأتم سن معين

وبالتالي التواريخ محل الاعتبار فعلاً هما تاريخين بالعدد، تاريخ ميلادك وتاريخ ميلاد الفكرة، اطرح العددين من بعض حتفاجئ بأن الفكرة هي دخيلة على حياتك لكن فيه أفكار من كثر حبنا لها وتمنينا لها بيتهياً لنا أنها اتولدت معانا، بعترف أن حبي ليك وحلمي بأننا نكون لبعض كان واحدة منهم. وحذاري ثم حذارٍ ثم حذارٍ من فكرة تنسيك نفسك أو الشعور بالوقت، علاقتنا كمثال للمرة الثانية .

الخطوة الثالثة والأخيرة: الخروج بالمشكلة عكس الخروج عن المشكلة

حنعتبر مؤقتاً المشكلة هي كيان ييلتحم مع كيان الإنسان لفترة مؤقتة، تعب فريق المواجهة والتحدي بيستنزف مجهوده وقوته في حرب وارد تنتهي في غير صالحه، بالتالي يعرض نفسه لاحتمال الاستسلام، ويصبر نفسه بأنه على الأقل عمل اللي يقدر عليه، طبغاً ليس إلا كلام حق يراد به باطل لتبرير الوصول لنتيجة معينة . وفريق الاستسلام والإلهاء، اتهزم قبل ما المباراة تبدأ، بالتالي وضعه معروف من البداية.

اعتبر المشكلة شيء قابل للحمل، شنطة، صينية، كرسي، واخرج من بيتك وأنت شايلها بين إيديك - معنوياً ومجازياً - خليها شغلك الشاغل في كلامك مع الناس، تجاهلها يأخر حلها، والاصطدام بها له نفس النتيجة، المثل يقول مافيش مشكلة ملهاش حل، لكن المثل الدقيق يقول، مافيش مشكل تقدر تستعصي على عدد غير نهائي من الحلول، بالتالي كل شخص حيسمع منك مشكلتك هو بمثابة حل يعرض وجود المشكلة للزوال، المشاكل غدها هو السكوت عنها، والهروب منها يقويها عشان بيعلمها زي تجري وراك، أوعى تمل من أن تحكي مشكلتك، لو خبيت مشكلتك بتحميها ولو أظهرتها حتتهيها .

طبغاً عشرتي لك سنين علمتني أقرأ أفكارك وأسمع صوتها. ومع الأسف خوفك صحيح وفي محله. عالم البساطة انتهى وانتهت معه فرصة التقدم بأدوات بسيطة ، الابتكار والتجديد أصبح مطلوب حتى على ابسط مستويات الحياة، وأنت

ضحية يا ضياء، ضحية الرغبة في النجاح بالوسائل التقليدية، و المبالغة في سماع نصائح الأكبر منك ونقلها حرفيًا لا احترافيًا خلتنك محل احترام وتقدير صحيح لكنها فصلتك عن عالم اتحول فيه عدم الإبداع لجريمة، وأنت لا تزال شايف نفسك بريء مش مذنب، وجدي وجدك كان تفاصيل حياتهم وزمانهم أسهل وأوضح وأبسط .

بتربط الأحلام بتوقيت مبهم اسمه مجازًا بكرة، وإحنا صغيرين لما كان الكبار يأجلوا طلباتنا منهم بكلمة بكرة كنا وقتها نسألهم بالتحديد: بكرة الساعة كام؟ كانوا يضحكوا ويسكتوا، إحنا كنا صح يا ضياء رغم صغر سننا، ولما كبرنا بقينا زيهم، اتعودنا نقول بكرة عشان ننسى به النهارده، وبعد بكرة عشان ننسى به بكرة والنهارده في وقت واحد ..

نصيبنا في الحب كان أغرب نصيب، قلوبنا كانت مناديل نظفت عدسات عيوننا عشان نقدر نشوف كويس، نشوف صح، نشوف الدنيا زي ما هي مش زي ما كان نفسنا أنها تكون، نصيب حبنا من كتر ما كان حقيقي أن يبقى آخر كلام في قصته كشف لحقيقة دنيا وحياة عايشينها .. آسفة على الإطالة، بس مش بإيدي وأنا عارفة أن كلام رسالتي هو آخر كلام بيني وبينك، لكن اطمئن. خلصت كلمات جوابي وانتهى معها أول وآخر مبرر بأني اكتب لك جواب، انتهى الدافع وحييداً تأنيب ضمير مستمر إلى ما لا نهاية، متخيلة نفسي بعد سنين بصارح الإنسان إلى أتمني على نفسه وبيته بأني بعث لك جواب. أتمنى وقتها تكون سنين عمري معه شافعة لي عنده وتخليه يسامحني ..

أنا مسمحاك على أي حاجة، وياريت أنت كمان تكون مسامحني، أنا بتمني لك الخير من كل قلبي، يا ريت لو تقدر أنت كمان تتمني لي الخير، لو عايز تعرف قد إيه الإنسان بيكون ضعيف قصاد ماضيه، أنا بتحداك لو تقدر تقطع أو تحرق جوابي ده ! حتقدر يا ضياء؟ وضعفي أنا، له صور كثير، منها حلم بيتكرر يوميًا، حلم أنني واقفة في الفراندا في شارع جانبي بالقاهرة، في آخر الشارع وعلى ناصيته ورشة تصليح سيارات، وظل يبظهر من آخر الشارع ويفضل يقرب يقرب يقرب وبعدين يختفي. يقوم من النوم مفزوعة وأقول إنه كابوس، رغم أنني عارفة تفسير الحلم وعارفة أنه مش كابوس، أصله أحلى حلم في حياتي ويفكرني بأجمل أيام عمري، الشارع الجانبي شارعنا والورشة هي اللي كانت في عمارتنا يا ضياء، والفراندا دي بيتتنا لما كنت بقف بالساعات استناك فيها لحد ما توصل بالسلامة، والظل ده ظلك وظل سنين الانتظار اللي راحت من عمرنا، ظلها لساه طارح على أيامنا مهما نعمل نفسنا نسيين، وبصحي من النوم والصورة

تختفي، زي زمان لما صحيت في يوم ولاقيت كل حاجة اختفت، وملحقتش أشوفك، لا في الحقيقة ولا حتى في الحلم ...

أنا بقول لك الكلام ده عشان بعزك وبقدرك. ولو أنت كمان بتعزني وتقدرني اوعدني متحاولش تدور علي ولا تخليني هدف تحاول توصل له في حياتك، المرة دي مش بس حنظلم نفسنا لكن حنظلم معانا ناس ملهاش ادني ذنب، أنا بطلبها منك بصراحة لأن لفت نظري أن طابع البريد ممكن يدللك على الدولة وبالتالي مكان وجودي، أو يمكن بقول الكلام ده عشان الفت نظرك لطريق ممكن توصل لي منه وتدور عليا وتلاقيني وأشوفك حتى لو من بعيد - خلي بالك من نفسك. عشان نفسك مافيش منها كثير .

سهام .

تعليق السمسار البوسطجي على رسالة الحب وتعدد الشخصيات

في الحقيقة، تعليقي حيكون مجزاً بنفس أسلوب الأستاذة سهام كاتبة الرسالة لمحتوى رسالتها؛ لأنني لاحظت أنها بتعتمد على تجزئة فقرات كلامها كنوع من ضبط الإيقاع الداخلي لنفسها، وهو إما يدل على ثبات شديد أو محاولة لإخفاء ارتباك شديد .

أولاً .. أنا أكملت قراءة الرسالة في حوالي خمس أيام، وفي حدود ما استطعت التوصل إليه بالبحث اتضح بالفعل وجود شيء اسمه تعدد الشخصيات، لكنني لاحظت أيضاً أن مهارة تعدد الشخصيات في توصيف حالته كما في حالة الأخت سهام كانت مبالغ فيها، خصوصاً أنها بتتحول لطرف مستفيد من فكرة كونها متعددة الشخصيات، واستفادة الشخص من عيوب شخصيته على حساب طرف آخر، من وجهة نظري المتواضعة، هو خطأ ونوع من استغلال الموقف أو فرض الأمر الواقع .

أنا قابلت الأخ ضياء على الحقيقة، و عارف سهام تقصد أنهى شارع وأنهى ورشة وأنهى فراندا، حتى مركز التدريب والكورسات اللي راحتته عارف هو فين ، وغريب أن يكون بداخل دائرة مغلقة زي حياتها منفذ أو مخرج ممكن يرميها على حياة ثانية موازية لكن لسوء حظ ضياء، كان ما كان، لكنه مش موضوعنا - ضياء يا حضرات هو شاب في سني تقريبًا يعني ثلاثيني، وتصادف مقابلتي له مرتين بالعدد، مرة لما فتح لي الباب يوم ما كنت رايح أقابل والده لما عرفت أنهم عارضين شقتهم للبيع. وصادقت سهام لما ذكرت في رسالتها أنه صاحب نظرة حادة للأغراب، وقابلته مرة ثانية وهو شايل شنطة هدمه وبيلتفت لبيتهم كنظرة أخيرة يوم ما كانوا بيسيوا الشقة، الراجل كانت نظراته مش حزن صافي، لكنها كانت أشبه بحيرة في ترتيب أولويات اللحظة وتوديع المكان، توديع مكان عاش فيه طفولته، توديع شارع شهد على قصة حبه مع سهام، لكن الأصعب أنه حغير العنوان وحقطع كل صلة تربطه بالماضي، يعني أي محاولة رجوع من سهام أو أي تراجع في موقفها أو حتى فكرة سؤالها عنه والتواصل معه عمومًا أصبحت مستحيلة، دلوقت أنا فهمت ضياء كان يفكر في إيه وقتها. فعلاً الواحد لازم ميتسرعش في الحكم على الناس، والدليل أن أهم جواب في حياة ضياء كلها موصلش لضياء، لكنه في إيدي أنا، وأنا مين؟ أنا الغريب، رغم أن سهام بالنسبة لي شخصية مجهولة، إلا أنني حاسس أنها أصبحت تخصني بقدر ما تخص ضياء. بمعنى أن رسالتها بتتضمن معاني تشمل ضياء وغيره بما فيهم أنا شخصيًا، رغم أنني محبتش ولا قدرت أتقبل طريقتها في الكلام، حسيت في أسلوبها بنبرة تعالي أو يمكن انتصار أو عطف وشفقة، أو كلام أستاذة لتلميذها وأنا أشك في إمكانية تقبل حبيب من حبيبة كلام بهذا الأسلوب .

أنا أفضل تقسيم رسالة سهام إلى أجزاء، نستعرض منهم بإيجاز الجزء الأول وهو عبارة عن الاعتراف بحقيقة تعدد شخصياتها وأنا اعتقد أنه شيء لا يخص ولا يعني أحد سواها، وجزء ثاني بتطلب من ضياء يسمع وهو ساكت، ورغم اعتراضه على الأسلوب إلا أنه كان يحمل شيء من الوعد بالكشف عن مفاجأة، وده شيء ممكن يخلي القارئ أو المتلقي عنده شوية صبر على أسلوبها، والظاهر رغم ألم الفراق بين الأحبة السابقين إلا أن ضياء مكنش مستمع جيد أو منصت على القدر المطلوب، لأن أوقات كنت بحس بسهام بتنسي حزنها وتفرح بفكرة أنها تقدر تتكلم كما تشاء، فتسهب في الحديث، وده معناه أنها كانت بتفتقد حرية التعبير عن نفسها في علاقتها وارتباطها بضياء.

الجزء الثالث : وهو الأصعب أو يمكن الأكثر مكرًا ودهاءً، هي، أقصد سهام، بتعيد الكشف لضياء عن جزء خفي في حياته هو الشخصية، ومفترض أنه شأن أي بني آدم، يكون هو أدرى الناس بحياته من غيره، واعتقد أنني كشفت جزء من

أسلوب تلاعبها بعقله، أما إذا كانت هناك أحداث خفية على الشخص في حياته، فهذا له معنى واحد فقط بأن شريك حياته كان له مواءمات وحسابات مختلفة فيما يكشف ولا يكشف عنه - مثلاً ، المفترض أن ضياء ارتكب خيانة في حق حبيبته سهام لما شافت صورته مع واحدة ثانية، إلا أن سهام بتنفي تهمة الخيانة عن ضياء وبترجع تفسير سلوكه إلى الرغبة في التعويض النفسي عن الأيام الصعبة! كان نفسي أسألها سؤال لو أتيتحت لي الفرصة، هل فعلاً أنتِ وقتها كان اعتقادك أنه غير خائن، وأنه ضحية ظروفه الصعبة؟ طب بفرض صدق كلامك، هل انفصاله عن الواقع كان سبب كاف لانفصالك عن حب عمرك؟ طب هل إذا استبعدنا فكرة الخيانة، هل من العدل أنه يتحمل تعدد شخصياتك وهو عرض دائم، وأنتِ تتخلي عنه بسبب انفصاله المؤقت عن الواقع في لحظة تعويض نفسي على حد كلامك؟

الجزء الرابع، أكاد أكون على يقين تام بأن سهام أخذت فرصتها في ترتيب كلامها وتنسيقه، وخصوصاً أنها اعترفت أنها كتبت الرسالة وقطعتها أكثر من مرة في لحظات ترددها، إذن إحنا قصاد كلمات - معدة مسبقاً - كلام لا هو تلقائي ولا من القلب للقلب، وجزء من فكرة الاقتناع مرتبطة بحسن تنسيق الكلام بغض النظر عن مضمونه - للأسف - لكن الخط العام لرسالة سهام يعتمد على نظرية حسميها - الناصح المتبرع - بمعنى، أنك بتقول لشخص كانت تربطك به علاقة - أي علاقة من أي نوع - بأن رغم انتهاء العلاقة ما بينكم وانتفاء المصلحة إلا أنك لازم تصارحه بأشياء معينة تحتمها الأمانة أو الصدق أو أي أخلاقيات أخرى! الناصح متبرع بنصيحته وغير مستفيد منها شيء! ومع الأسف، لما فكرت مع نفسي وصلت لدليل في صالح سهام مش ضدها، تحديداً لما سألت نفسي امتي يا فارس ممكن تستخدم نظرية الناصح المتبرع مع غيرك؟ كانت الإجابة أن في دنيا التجارة كل شيء له ثمن حتى النصيحة! لكن استثناءً في حالة وحيدة ممكن تجبرني على لعب دور الناصح المتبرع، لما الطرف الآخر يستفزني بغبائه. أعتقد سهام ملت وزهقت من فكرة أن ضياء حياته مش ماشية، على حد تعبيرها، وجزء من الدافع النفسي عندها كان أن غبائه استفزها، والله أعلم .

الجزء الخامس: جريمة، من وجهة نظري سهام ارتكبت خطيئة لا تغتفر، وهي تفسير الصدفة على أنها اجتهاد عبر علم الاحتمالات، بمعنى:

- ضياء كان متفوقاً دراسياً ويحاول البحث عن وظيفة. اجتهاد ويحترم
-زوج سهام عمل بحث عدد صفحاته كانت حوالي ألف ورقة. اجتهاد ويحترم

-سهام نزلت تأخذ كورس ترجمة إنجليزي بهدف النهوض بنفسها. اجتهاد ويحترم

لكن فكرة توظيفها كانت بالصدفة لما ترآى لصاحب المركز أن تعيين مساعد من الحاصلين على الكورس سيكون دعاية للمركز، صدفة! صدفة بحته ولا يمكن دعوة الآخرين للاستفادة من تجربة سهام عبر حثهم على أن يكونوا فضوليين. الصدفة غير الفرصة، الصدفة هي حالة بتكون من تزامن عوامل كثير لا تتزامن في العادة، بينما الفرصة هي وضع قائم مؤقت يجب إنتهازه قبل فوات الأوان .

الجزء السادس: وهو أصعب الأجزاء، وفي جوهره سؤال بسيط، هل تقبل - النصيحة له علاقة بشخصية الناصح؟ بمعنى أن الأستاذة الفاضلة سهام بتكلم الأخ ضياء بلهجة أقرب إلى فكرة الأستاذة وتلميذها، أضف إلى ذلك أنها لا تجد حرج في رواية قصة زواجها وسفرها وزوجها ومكانته المرموقة كباحث وعالم، هل ضياء مؤهل نفسياً لتقبل نصيحة مصدرها حياة حب عمره سهام مع آخر؟ أعتقد وحيث إن سهام تؤمن بحرافية الحياة أن مستحيل ضياء يتقبل نصيحة نشأت في ظروف من الطبيعي يعتبرها ضياء مأساة حياته .

الجزء السابع والأخير، بوجهه لنفسه ولحضرته، أنا اكتشفت حسن حظي بأني لا اعمل في مجال وضع أسئلة الامتحانات، لأن وضع السؤال بدون امتلاك إجابة ولوحتى نصف نموذجية أمر مخجل، والحيرة هدف غير مطلوب في حد ذاته، ومع ذلك سؤاليين :

الأول: هل فعلاً ضياء حيثحسن بوصول رسالة سهام له ؟

الثاني: هل حياة سهام حثتأثر بوصول أو عدم صول رد على رسالتها من ضياء ؟

هل هي أصلاً منتظرة رد؟ آخر كلمات رسالتها كانت هي الأغرأ والأكثر ربية لأن ترجمتي الشخصية، أنها لو منتظرة رد بتجاهل ذكر عنوان المرسل واكتشافها طابع بريد يبظهر دولة وجودها، فإن الرد المرضي لسهام هو رحلة يخوضها ضياء نفسه وصولاً إليها، وطبعاً مستحيل ضياء يفكر في خوض التجربة وهو في نفس الوضع إلى كان عليه أيام سهام لما كانت

السماار البوسطجى - برىء كان مسءعءل

فى مصر؁ بالءالى ءىضطر ىسءءءم قوانىن سهام الءلالءة وىكون ءرىص على النءاء فى اسرع وءء لآن الءءوءة الءالىة ءءكون سفره لسهام؁ وارد ىكون اسءءءاىى ىكون لا علاقة له بالواقع؁ وءكون رسالة سهام مجرد رسالة وءاع ونصء .

الرسالة الثانية :

حتي الحياة بأوان !

المرسل : يوسف

المرسل إليه : ياسمين

إزيك يا ياسمين. أيوه أنا يوسف، وده فعلا جواب مني، وده حقيقي خط إيدي اللي رغم عشرة السنين إلا أنني عارف أنك بتشوفيه لأول مرة وصعب عليك تميزيه، محتاجة أمانة تأكد لك أنني يوسف؟ حاجة محدش يعرفها غيري أنا وأنتِ وبس؟ طب سبيني أفكر شوية، أصل صعب الأقي حاجة مواصفاتها في منتهى الخصوصية في علاقة كانت مستباحة من القاصي والداني وحقل تجارب لأفكار كل من هدب ودب .

بس خلاص لاقيتها . موقف كنا فيه لوحدا .. موقف وداعنا لما كل اللي كانوا بيتحكموا فينا سابونا نغرق لوحدا ورفعوا إيديهم أخيراً عن الموضوع، آخر جملة بيني وبينك لما قلت لي : "يا ريتني كنت توهدت في صحراء و لا أنني كنت أتوه معاك". يا ترى إيه الرابط المشترك بين علاقتنا والصحراء ؟ الإجابة: الأثنين ميرووش عطشان. صح؟

ما علينا، قبل ما تستغربي فكرة الجواب، أحب أسبق وأقول لك أنها كانت الطريقة الوحيدة المتاحة قصادي وتخلييني أوصل لك، وفي نفس الوقت أحافظ على وعدي لوالدك الله يرحمه، يا ترى فاكرة الوعد اللي وعدته وأنا مجبر عليه؟ لما وعدته بأني عمري ما أخليك تشوفيني ولا تسمعي صوتي تاني، مرت سنين وأنا محافظ على وعدي، صحيح بدفع ثمن حفاظي عليه من أعصابي إلا أنني مستعد ادفع عمري كله ولا أن صورتي قدامك تتشوه. ولا أن صورتي قدامك تتشوه أكثر ما اتشوهت زمان، في غيابك أنا أصبحت بتبني شعار، إنقاذ ما يمكن إنقاذه، حتى ولو كان بعد الأوان، وهو ده تفسير سر السكوت والعقل والرزانة اللي التزمت بيهم على مدى سنين رغم أنها أبعد الصفات عني . ولأن الحقيقة بتفضل حقيقة مهما أنكرناها، فالحقيقة هي أنني مليش غيرك والحقيقة هي أنك أول وآخر حب في حياتي، بالتالي صعب قوي أنني أتكلم وأفكر نفسي بالماضي وأنتِ مش- معايا- لكن- يا ياسمين- كلمة السر- ومفتاح اللغز- أن عشانه قصة حب

تتحول لماضي وذكريات، لازم على الأقل يبقى فيه طرف ظالم وطرف مظلوم، لكن أنا وأنتِ كنا ورقة يطيرها الهواء مكان ما يحب. ظلمنا و انظلمنا بنفس المقدار .

اكتشفت في أول جواب بكتبه في حياتي - جوابي ليك - حرية غريبة بيحس بها الإنسان في كتابة الجوابات، إحساس كأني بتكلم وبجبر الكون كله يسمعني، أخيراً ارتحت من انتقادات الدائم لتعبيري عن مشاعري، لو نزلت مني دموع تزعقي بأعلى صوتك : "مافيش راجل بيعيط"، ولو قلت كلمة فيها ضعف، تردي تقولي : مافيش راجل يقول كده، مافيش راجل يعمل كده، مافيش راجل يتصرف كده. لدرجة أنني حسيت أن استخدامك لجملة "مافيش راجل" كرابط بين الكلمات مرتبط بوجودي قدامك! كان ناقص تقولي مافيش راجل بيتنفس، مافيش راجل بيتألم. والغريب أن كلمة جارحة تنفي رجولتي تصدر من الوحيدة اللي مستعد أني أضحي بنفسي في خناقة وأنا بدافع عنها! واستكمالاً لتعليقي على مسألة- مافيش راجل- وكأنك حولتي الراجل إلى جماد لا عنده إحساس ولا شعور، فأحب أقول لك يا ياسمين بعلو صوتي على الورق، بمنتهي الصراحة والوضوح رغم اشتياقي الجنوني ليك .. أنا حر يا ياسمين، سمعاني! أنا حر- أعمل ما بدا لي ووقت ما أحب ولا معقب على إحساسي ومشاعري ولا وسائل تعبيري عنهم إلا ضميري. ولو مش عاجبك كلامي قطعي رسالتي ألف حنة وحنة وارميها من الشباك. مش حتقدري تعملها صح؟! أضعف من أنك تقاومي فضولك؟

سبحان الله، ومكالماتي ورسائل المحمول وكل وسيلة حاولت أوصل بها صوتي ليك كان بيتم تجاهلها زمان، مين كان يقول أن الحل اللي يخليك تسمعيني مش محتاج أكثر من ورقة وقلم!

أنا مش راجل ضعيف الشخصية، لكني رفضت أستقوى عليك، وكنت شايف علاقتنا أعلى من أنها تكون مسرح استعراض للعضلات أو مسرح لأي أداء مصطنع من أي نوع، ومن عشقي ليك رفضت المخاطرة والتزمت بطريق الأمان، لأن كمية قصص الحب ذات النهايات المأساوية خلتنني أحاول أمشي في كل وأي طريق يكون مختلف، عشان نوصل لنتيجة مختلفة، بر الأمان يا ياسمين، لكن مع الأسف، طريق الأمان اتضح أنه كان أكبر خطر في حين أن المخاطرة كانت هي طوق النجاة، وبالرغم من كل شيء، أنا على أتم الاستعداد للاعتراف بكوني ضعيف، رغم أن ضعفي قصادك بيقويني، إلا أنني عمري ما حقبل ولا أسمح لنفسني أكون غبي أو جاهل أو ساذج.

لأن حتم الأيام. والسنين. وحتقولي لأولادك أن في يوم كنت بتحبي بني آدم. كان فيه عيوب الدنيا كلها، لكنه كان صادق. شكرًا جزيلًا لا أطمح فيما هو أكثر، أنا بكتب لك جوابي عشان أعرفك أنني فهمت كل حاجة وعرفت كل حاجة، طعم الحقيقة وعكس ناس كثير ما ممكن تتصور مش مر، لكنه كمان مش حلو، هو طعم غريب يمكن بنذوقه كل كام سنة وبيبقي واحشنا، وده طبعًا دليل على أننا مبنصافش الحقائق كثير في حياتنا سواء اليومية أو المرحلية، وعشان تطمئنني أنا لا أزال بصفتي راجل أتحمّل الجانب الأكبر من مسئولية فشل علاقتنا، وتقدرني تعتبرني اعترافي - المتأخر - دليل على حسن نيتي، لا هو مقدمات ولا مجاملات ولا ضمانة لحسن تركيزك في كلامي، بكل اسف أصبحت ناضج كفاية لاكتشاف أن رجوع عقارب الساعة للوراء مستحيل لأن معنى رجوعها توقف الزمن والزمن لا يتوقف أبدًا، إلا في ألبومات الصور والذكريات الحلوة في القلوب، هي دي فعلاً اللي بتعيش طول العمر، وكمان أحب أبدًا كلامي بوعده، أو تجديد للوعده، لا تحاول أشوفك ولا اسمع صوتك، زي ما وعدت والدك، وأنا لا أجد شيء في الحياة أفضل من الحفاظ على وعودي .. نيجي للمهم بالنسبة لك، لأن السابق، كان مهم بالنسبة لي أنا، والتفرقة ما بين المهم عندي و المهم عندك إشارة واضحة وقوية جدًا لفكرة اختلاف الأولويات ما بين اثنين كانوا في يوم من المفترض أنهم واحد .

ياسمين، اتضح أنني ربان سفينة متهم بقيادتها في الاتجاه الخاطي! اتجاه الأعاصير والدوامات. ويقال إنني كمان "أفأق" لكن لا أزال غير متأكد من الكلمة الأخيرة ومدى انطباق معناها عليّ، طلعت ظالم أكثر من كوني مظلوم، ولذلك في بعض الأحيان يصعب إيجاد المخطئ عمومًا لأن المخطئ ما هو إلا إنسان يبيحث عن نفسه! كان رغبتي في توجيه اللوم لأي طرف عمياني عن حقيقة أنني طرف من ضمن المشتبه فيهم، استثنيت نفسي فضاعت الحقيقة، لكن اكتشفت أنني كنت الطرف الخاطي في المعادلة .

إحنا اتولدنا جيران في شارع واحد، ولد و بنت أبناء لأسرتين كل أسرة منهم قصة انتقال من الريف للقاهرة، صحيح أنا وأنت قاهريين لدرجة أننا عمرنا ما زورنا أهاليينا في الريف، إلا إن آبائنا وأمهاتنا كانوا متمسكين بعبادات وتقاليدهم يمكن لو كانوا عاشوا مكان ما اتولدوا مكنش حيكون حفاظهم عليها بالصورة الحادة اللي شوفناها، والدي ووالدك قصتين نجاح وبداية من الصفر، قصتين كانوا السبب في تعليم أصحابهم أن كل ما في الحياة ما هو إلا سلم للصعود لمستوى أعلى، في كافة مناحي الحياة، فكرة التلقائية في الحياة، وحب الشيء لذاته، وفعل الشيء لمجرد الرغبة في فعله. هي محرمات

غير قابلة للنقاش. ومستحيل تحاول تقنع إنسان ناجح أن أساس نظرية نجاحه يحتاج لتعديل، لأن نشوة الانتصار بتعطل حاسة الإدراك في أغلب الحالات، بالإضافة إلى أن فكرة الابن يصلح أو يعدل مسار والده، هي فكرة غير مقبولة اجتماعياً، فالمساندة حتكون صفر ولما العائلات تعارفت واختلطت، وبدأت نظرات الإعجاب مني وقبول الإعجاب منك تلاحظ من الأسترين، فوجئنا بتشجيع غير متوقع، رغم أن الخجل كان سيد الموقف لأننا كنا لسه صغيرين، كنا تقريباً في أولى ثانوي. آه. كنا مخلصين. إعدادية وبنستعد لأول سنة في موال الثانوية العامة، فجأة. وبدون سابق إنذار. يتغير الشكل الاجتماعي لعلاقتنا، من أسترين كانوا على وشك أن ينصهروا ويكونوا أسرة واحدة بسبب كثر الاختلاط والزيارات، إلى معاملات رسمية وحادرة جداً بيني وبينك! أنا افتكرت أن ممكن يكون فيه خلاف لا قدر الله -بين الأسترين، لكن كنت بسمع مكالمات والدي ووالدك، باعتبارهم أصدقاء، ووالدتي ووالدتك باعتبارهم صديقات وصداقتهم تسبق صداقة والدينا، ولاقيت شيء عجيب! الود والألفة اتحولوا إلى مجاملات وتملق يغلب عليهم الزيف!

ولما سألت عن سبب التغيير، اتضح أن إحنا السبب، أنا وأنت! أصل إحنا ومن غير ما نشعر اتضح أننا - كبرنا - ومش دريانيين، وكمان مصريين نفضل نتعامل وكأننا لسه أطفال. وقتها عرفت أن إجازة الصيف الفاصلة بين المرحلة الإعدادية وثانوي، هي ذاتها المرحلة الفاصلة بين الطفولة والشباب. أو هكذا يفترض يعني. طيب، أنا اتربيت على أنك من نصيبي، والعكس صحيح، من أول ما كان كلام بهزار بين والدتي ووالدتك وإحنا صغيرين وبنلعب قدامهم على الأرض، وصولاً لكلام والدي ووالدك أن أجمل وأحلى نصيب أن اثنين - عصاميين - زيهم، بنوا وكونوا نفسهم بنفسهم، يناسبوا بعض. مش إحنا اتربينا على الحلم ده؟ أو اتصدر لنا الحلم ده؟ ولا حتقولي أنها كانت تهيئات وأني كنت بتوهم! تملليها يا ياسمين، ماشي، أنا شخصياً كطفل أو مراهق أو شاب صغير وقتها، أكيد كان عندي براءة وسداجة وعدم خبرة في الحياة، وبالرغم من ذلك لأني وحيد أبويا وأمي، كنت بقدر أمارس نوع من الضغط، أو بمعنى أصح الابتزاز العاطفي بيمكني من الوصول لهدفي، فأذعت في البيت بصراحة أنني غير مقتنع بتمثيلية - أن إحنا كبرنا - لأنها غير مقنعة ومخاوفهم غير مبررة، خصوصاً أن حجم الرقابة الأسرية علينا مستحيل يترك مجال لأي خطأ من أي نوع.

و بطالهم بإظهار السبب الحقيقي لاختلاف علاقتنا مع أسرتك، خصوصاً أنني كنت اتعودت على وجودكم في بيتنا والعكس.. للأسف. لما عرفت السبب اتضح لي أن أنا وأنت عبارة عن ترسين في ماكينة، عارفة يعني إيه ترس؟ ترس وجمعها تروس، دوائر معدنية بتدور بصورة معينة وبينتج عن دورانها تشغيل الماكينات. وحقول لك سبب اختلاف العلاقة

حالا .. المسألة ملهاش ادني علاقة بأصولنا الريفية ولا حياتنا في القاهرة ولا أي أوهام كانت بتصدر لنا ويحاولوا يقنعونا بيها، المسألة أعقد وأصعب من أنها تتشرح لأطفال أو شباب في مقتبل العمر. وحتى لما كبرنا لا يزال صعب نتقبلها. ببساطة شديدة. إحنا أسرتين متشابتهين إلى حد التطابق في رحلة الصعود من القاع للقمّة .. ممكن نختلف في التفاصيل وتبقي الدخليات واحدة بلا تغيير. على سبيل المثال جوابات أعمامي وأعمامك اللي كانت بتوصل لوالدي ووالدك ويطلبوا فيها مساعدة نظراً لصعوبة ظروف الحياة، كانت بتقطع وتترمي. أقول أكثر ولا كفاية؟ أعتقد كفاية عشان الاستفزاز ميشتتش تركيزك ..

بعد وصول والدي ووالدك للقاهرة. اعتبروا أول فترة تعقب وصولهم أشبه باستراحة محارب. وهي مرحلة معروفة في حياة المكافحين والعصاميين لأنها بتكون مرحلة بعد أول إنجاز وكفاحهم لسنين، وفي استراحة المحارب بيعيشوا حياتهم بشيء من الحرية. يعني اختلاط وتعارف ويكونوا مقبلين على الحياة. وأهالينا تصادفت معرفتهم في استراحة المحارب ، الاستراحة انتهت. ورفعوا شعار هيا إلى العمل، أو هيا إلى العودة للعمل علاقة بعض الأسر العصامية مثل أسرتنا ببعضها كانت في منتهى الغرابة، صداقة قائمة على التنافس! وصداقة المنافسة لها نهايتان، إما انتهاء الصداقة وانقطاع العلاقة بين الأصدقاء بسبب تفوق طرف واتساع الهوة أو الفجوة بحيث لا يمكن تداركها، أو اندماج جبهتي الصداقة في جبهة واحدة، بمعنى أنهم لو أصحاب يتشاركوا، ولو أسرتين يتصاهروا بالتالي مصير حبنا مرتبط باحتمال من اثنين، إما أن التنافس يظل قائم ثم ينتهي بزواجنا وأن الأسرتين يتحولوا لأسرة واحدة بالمصاهرة، أو أن أسرة تتفوق على الأسرة الثانية وتبعد المسافة ويتحول الفرق إلى شاسع وتنتهي قصة حبنا تماماً! والاحتمال الثاني وهو الأسوأ بطبيعة الحال، يشمل فكرة أن شاب من أسرة أعلى يتقدم للارتباط بيك. وأصبحت أنا الحبيب في حالة صراع ومنافسة مع حبيبتني ومن أجلها في نفس الوقت، يعني مفروض أنني أتفوق ويكون الدافع لتفوقي مزدوج :

أولاً ، لأنك بنت راجل عصامي متفوق ومجتهد رفض يعيش الحياة ببساطة بالتالي مستحيل تقبلي بعريس أو أهلك يوافقوا على عريس أقل منك تفوقاً ، وإلا حيشدك وينزل بيك لتحت. وأعتقد أنك عارفة أنني استعرت العبارة حرفياً من والدك .

ثانياً: لازم اجتهد عشان أتفادي ظهور شاب أكثر اجتهداً وتفوق مني يستحوذ عليك ويكون محل إعجاب والدك .

أما ردي على فكرة أنني كنت بنجح وأجتهد لنفسي وده المفروض، رغم أنها فكرة مضحكة إلا أنني أحبك تعرفي، أو أعتقد أنك عارفة من غير ما أقول، أن طموحاتي في الحياة كانت أبسط من كده بكثير. أنتِ يا ياسمين الهدف اللي عشت أكافح عشان أوصل له، وأنت أكثر حد عارف الحقيقة دي حتى لو رفض يعترف بيها، من حسن الحظ، أن مبدأ تفضيل المعارف "اللي نعرفه أحسن ملي منعرفوش" كان هو سيد الموقف بين أسرتي واسرتك، كل أسرة كانت بتعتبر الثانية أنسب اختيار، والمعرفة والضمان والأمان هي الضالة المفقودة في حياة كل إنسان عصامي. لأنه بيكون مغامر وذاق طعم المخاطرة، بالتالي بيعتبر الأمان والثقة كنز لا يقدر بثمن. وبعض الأسر العصامية بتعتبر كل خطوة في الحياة درجة من درجات السلم الاجتماعي. بالتالي كل علاقة لا بد أن ينتج عنها استفادة حتى ولو مستقبلية، أصدقائنا في المدرسة لازم يتعمل لنا تحقيق عن وظائف أهاليهم، والأنسب لشغل آبائنا يكونوا أصدقاءنا المقربين. ووالدتي ووالدتك لما كانوا بيروحوا للكوافير. صديقاتهم المقربات أزواجهم كان لازم يكون لهم علاقة بفائدة شغل والدينا. بالتالي أنا وأنتِ كانت طفولتنا مقيدة - عمرنا ما كنا أحرار يا ياسمين - وحتى في الجواز وتكوين الأسرة، حياتنا اترسمت لنا من قبل ما نتولد. إحنا كنا مجرد أدوات في إيد غيرنا مع كامل احترامي لغيرنا؛ لأنهم أهالينا وكانوا عايزين يصدروا لنا امتداد قصة النجاح، مع أن النجاح غير قابل للتكرار بنفس الطريقة! بدأ نظام منع وحظر التواصل بيني وبينك مع أول يوم دراسة في أولى ثانوي وانتهى في أول يوم دراسة من الفصل الدراسي الثاني في آخر سنة في الجامعة حوالي 6 سنين ونصف، لكنهم كانوا أهم سنين في حياة أي إنسان، سنين تكوين الشخصية، اتحررنا من بعض في أكثر فترة كان مفروض نكون فيها مع بعض! والسبب... اعتبارات اجتماعية!

طبعا كان فيه تشجيع من الأهل على استمرار الانفصال، أو عدم الدخول في علاقة بيني وبينك. والتشجيع كان بيعتمد على فكرة الاحتمال المطلوب تجنبه، بمعنى أنني كان بيتم تحفيزي على المذاكرة والشغل والاهتمام بنفسي على أساس لما تيجي اللحظة المناسبة ونتقابل أنا وأنتِ تاني، تقومي أنت تندهشي بي بقي! شوف إزاي!

و زي ما أنتِ حكيتي لي لما اتخطبنا أن والدك ووالدتك قالوا لك إنك حتفقدني صورتك المحترمة قصادي لو استجيتي لأي محاولة تقارب مني، وساعتها حروح أدور على إنسانة محترمة أرتبط بيها. شوفي إزاي ثاني برضوا؟! بالتالي تم استخدامي من قبل أهلك واستخدامك من قبل أهلي كعامل محفز و عامل رهبة في نفس الوقت. بحبك وبخاف منك، وبتحبيني وبتخافي مني. لكن لغة العيون كانت هي اللغة الوحيدة المسموح لنا نتكلم بيها. عارف مواعيد خروجك

ورجوعك وعارف الشوارع اللي بتمشي فيها. فبقيت صياد فرص. وصياد شاطر كمان، واعترفت لك قبل كده بمدى اعتبارك ساذجة لو كنت صدقتي أن كل المرات اللي اتقابلنا فيها خلال فترة الحظر كان ممكن تبقى صدفة. وأنت مش غبية يا ياسمين.

سنة ثانية جامعة .. رقم ٢ اتضح أنه رقم سحري. بأعتبرها سنة اضمحلال توهان، ضياع. يمكن نكون زهقنا أو ملينا من لعبة الإنتظار. حتى كانت بتعدي عليا أوقات أسأل نفسي، هل أنت فعلاً مدركة حقيقة أنك محسوبة عليا واني محسوب عليك ولا لأ؟ ولا نسييتي؟ ولا عايشة حياتك ومأجلة موضوعنا لوقتته؟! طبعا كنت براقبك في الجامعة. كنت تحت نظري باستمرار. صديقاتك أعرفهم بالأسم وكمان زملاء الدراسة. لحد ما جه يوم فوجئت فيه بشاب في سني زميلك يحاول يتقرب منك. بعدها عرفت أنه قريب زميلتك. تمام! طبعا افنكرتني بتكلم عن مين. يومها روجت البيت وأنا بشتكي لنفسي من نفسي ومن حياتي، ومن قيود أهالينا علينا. لكن روجت نمت ساعتين الظهر وصحيت وأنا مستعد أروح للكافية اللي بتعدي تذاكري فيه مع صاحباتك واحتمال كبير أتجنن وأخالف التعليمات وأفتح كلام معاك. أصل خلينا صرحاء، كنت خخاف من إيه أو على إيه وأنا معنديش شيء أخسره؟! ومش ضامن مكسب لأسباب خايف أصارح نفسي بيها، زي أن قلبك يكون نسيني. لغة العيون كلماتها بتتفسر بألف معنى ومعني، ومش حجة عليك ولا دليل ضدك أنني أفكرك أن عينيكي فيوم قالت لي: "بحبك" لما أنا قلت لها "بحبك" .

وصلت الكافية، لا وجود لأي شيء مريب أو غير اعتيادي أو حتى يسترعي الانتباه، والمشهد المعتاد أنت وصاحبتك في نفس المكان وعلى نفس المقعد بتذاكروا دروسكم في حالكم، لدرجة أنني كنت زهقت وفكرت جدياً أذفع الحساب وأقوم أروح، لكن فوجئت بالشاب اللي شوفته معاكم في الجامعة الصبح داخل عليكم الكافية! خير ... لعله خير!

سلم على صاحبتك، وطبعا بسبب بعدي عن مكانكم فأنا قادر على تخيل الكلام بدون سماعه، وظني كان في محله، لأنه سأل صاحبتك عليك فشاورت بإيديها على مكانك اللي كنت بتدفعي فيه فاتورة الحساب، وشوفت ترحيبه الزائد بمجيئك، في الحقيقة مشكلتي مكتتش معه بقدر ما كانت مع نفسي ومعاك أو بمعنى أدق مع أسرتي وأسرتك، كنت بفكر في أن مبدأ حظر التعامل بيني وبينك أدى لدخول غرباء وممكن يكون السبب في تبدل الأحوال! لكن وقفت تفكيري لما لاقيت الأخ اللي كنت بحاول أضحك على نفسي وأقنعها بأنه حبيب صاحبتك مد إيدته يسلم عليك، وفضل ماسك إيدك ويبطول في الكلام يومها أكيد أنت فاكرة أنا عملت إيه، ولو أنني حابب أحكيه من وجهي نظري كصانع

للحدث، أنا دخلت وفي بالي حسابات كثير من ضمنها احتمالية أنني أتخانق، لكنني قررت استغلال الموقف لأن بسببه حتضح لي حقيقة علاقتي أنا وأنتِ، يمكن بعد طول تفكير بلاقي نفسي ممتن للموقف أكثر من كوني مستفز منه بصراحة ، يعني دخلت وعيني نظرتها حادة لدرجة كانت بتخلي موظفين الكافية يتفادوا فكرة سؤالي عن طلبتي أو حتى الترحيب بيّ، وصلت للتراييزة بتاعتكم وكانت أول مرة من زمان أكون في أقرب مسافة بيني وبينك، عارفة لما كنا نقرأ في الأخبار عن اقتراب مذنب ووصوله لأقرب نقطة له من الأرض في عملية بتتكرر مرة كل مئات السنين! أهو نفس الوضع، لكنه تشبيه مع الفارق لأن حجم الغل جوايا لا يقارن مع أي مذنب ، ده بفرض وجود مذنب غلاوي. مستغربة ميلي المفاجئ للهزار والفكاهة رغم أن بداية رسالتي كانت حزينة؟ التفسير بسيط، لأنني افكرت لحظات كنت فيها إنسان قوي، وأنا كراجل مشتاق لقوتي أكثر ما أنا مشتاق لك يا ياسمين. أديني جاوبت السؤال قبل ما حتى تسألني في موقف الكافية، ولما وصلت للتراييزة بتاعتكم، لمحت في عينيك نظرة خوف ممزوجة بشيء من الاندهاش، وصاحبتك عندها كانت فضحاها لأنها خافت بسبب خوفك أنتِ مني، أما الولد، فمشفينش لأنني طبعا كنت جي من وراه وكان مديني ظهره، على طول رحت ضربت بأيدي طيرت اديكم انتوا الاثنين وانتوا بتسلموا على بعض، وزعقت بصوت أنا شخصيا مكنتش أعرف أنني قادر على إنتاجه وقلت لك : فوتي قدامي ! تصرف همجي، ويمكن توصيفه بالهمجي لأنه صادر من شاب يجوز وصفه بالطائش، لكن هل تصرفات أهالينا لا تعتبر طائشة لمجرد صدورها من أشخاص يعتبرون ناضجين؟ سؤال يطرح نفسه .. !

رد الفعل كان أجمل ما في الموضوع؛ لأن أول مرة كنت أسمع اسمي منك بعد سنين سكوت، ورغم جمال لغة العيون إلا أن لغة الشفايف أحلى بكثير، الولد ابتدى يشد معايا في الكلام، وأنت مين ومين حضرتك؟ وأنا طبعا برد عليه بنظرات خلت نبرة صوته مهزوزة، وأول ما ضعفه بان، قويت أنا.

استجابتك للأمر لما قلت لك امشي قدامي، وجملتك: حاضر يا يوسف، حسسوني بأني كسبت كل حاجة، وكمان صاحبتك لما حبت تهدي الموضوع وسألتني: أنت يوسف؟ بصيت لها باستهزاء وضحكت وقلت لها : لا خياله.

عارف أنه رد بايخ وبارد ، لكن حظي نفسك مكاني، وهو أنا كنت في إيه ولا في إيه !. وبعدين أنا كنت شايفها طرف متورط في ترتيب صدفة تجمعك بالشخص ده، بالرغم من أنها تعرف اسمي كويس وأكيد معرفتها نتيجة أنك حكيتي لها

عني. ولما بدأنا نتحرك قلت أطرق الحديد وهو ساخن، عيني منزلت من عين الولد، وبصراحة كنت مستمتع بالموضوع فمنتبهت إلى أنك اتحركتي وبقيتي واقفة جنبي، روحت ماسك إيدك كنوع من رفع مستوى التحدي، يعني أول مرة أمسك إيدك كانت في خناقة يا ياسمين! . وإحنا طالعين وخارجين من الكافية، الشخص المهزأ قال لي "مسيرنا نتقابل" "بيخوفني يعني، قلت له: طب ما تخليها دلوقتي ولا تعبان من الخضة؟ وضحكت وخذتك ومشيت ، و أول كلامي معاك كان سؤال، هو حتى الحياة بأوان؟ مش كفاية مستحمل تحكيمات أهالينا؟ وصلت بيك تخرجي مع أغراب؟

ساعتها بدأ الكلام بيني وبينك وكأننا بعدنا عن بعض بقالنا أسبوع بالكثير، مش ٥ أو ٦ سنين، الظاهر أن عبء المبادرة بيخلي الراجل صاحب المسؤولية الأكبر عن مشاكل العلاقات. لأول مرة أمشي وأنا ماسك إيدك ومسبهاش غير لما وصلنا قرب شارعنا، لكن ألف سؤال وسؤال مكنش ليهم أي إجابة، أولهم وآخرهم مستقبلنا والطريق اللي ماشيين فيه، هل إحنا مرتبطين من سنين، ولا ده أول يوم بنتعرف فيه على بعض ولازم ننسى ماضي كنا فيه أطفال؟ طب ليه أنا وأنت كنا مخلصين لبعض إلا إذا كنا مستنيين حاجة لسه حتىجي؟

خلينا نعترف أننا جزء من مشروع أكبر مننا، ترس في ماكينة زي ما سبق ووضحت لك، لكن حدود سلبننا الإرادة كانت أكبر مما نتخيل، يكفي موقف العريس اللي كان متقدم لك وأنا لسه في الليسانس. فكراه ولا أفكر؟ أفكر احتياطي ، أنا من غبائي وقلة خبرتي كنت رابط كل مخاوفي بفكرة - الاتصال الموقوف بين أسرتي واسرتك، ولما بقينا نتقابل من وراهم نسيت خوفاي من فكرة ظهور راجل في حياتك مستوفي معايير وشروط والدك أكثر مني، وبيتمني لأسرة أكثر اقناعاً من أسرتي، لكن الخوف لا يزول بنسيانه أو بتجاهله، وإلا مكنش حد غلب، فظهر عريس منافس لي في وقت من أصعب الأوقات على أي شاب، آخر سنة في الجامعة ، بلغت أبويا وأمي بالموضوع، لكن ولأني مبرمج نفسي في البيت على أنني أتكلم بلغتهم، قدرت أعرض الموضوع بطريقة تخليه يخصهم قد ما يخصني ويمكن أكثر كمان، قلت لوالدي بصراحة بأن وجود عريس محتمل قبوله يعرض فكرة مشروعه مع والدك للزوال ؛ لأن بالتأكيد عائلة العريس الجديد حتكون هي الأولى بالشراكة ، واستغللت التنافسية النفسية عند الرجل العصامي عموماً وأبويًا خصوصاً، فأني أقوله أننا إحنا السبب في ضياع الفرصة من إيدنا؛ لأننا كان لازم نشتغل على تقوية علاقتنا بيكم طول الفترة اللي فاتت بدل ما نلعب دور التقلص صناعية، وأن غيابنا فتح باب المجال لظهور منافسين، وحيث إننا متفقيين على أن الجواز والشغل لا انفصال بينهم، بالتالي لازم نتخلي عن فكرة أنني أخلص دراسة الأول وأستقر في الشغل وإلا حيكون فات الأوان، حتى

إن أبويا اقترح إضافة أجزاء لدراسة الجدوى اللي ناوي يقدمها لوالدك عشان تكون عامل محفز في قبول عرضنا اسرع ورفض عرض العريس الثاني. طبعًا أنا ملتزم بقدر من الصراحة معاك على قد ما أقدر، لكن اعفيني من أني أوضح لك إزاي استغللت خوف والدك من الأعراب وبحشه الدائم عن الأمان وافتقاده الثقة في المحيطين به، لكن أمي قامت بالواجب وزيادة ونفذت تعليماتي حرقياً وبدون خروج عن النص اللي أنا كتبتة لها في كلامها مع والدتك، وبالفعل اتخطبنا يا ياسمين .

سؤال: إخلاصي مفروض يكون لأي منظومة اجتماعية تحديداً الحب ولا الأسرة؟ لولا الأسرة وسلطتها أنا مكنتش قدرت أكون معاك، ولولا الحب برضوا مكنتش قدرت أكون معاك، طب والحل؟ أعمل إيه؟ ولائي لازم يكون لمين؟

موقف إفلاس والدك، ورغبة أبويا التلقائية في فسخ الخطوبة بدل ما يقف جنب والدك ويساعده، ونعم الناس فعلاً، كان موقف دال على حاجات كثيرة أهمها إحساسنا بالمسؤولية تجاه أهالينا أكثر من إحساسنا بالمسؤولية تجاه حينا، حينا اللي كنت وصلت لمرحلة أني بقيت أشك في وجوده أساساً. ومع ذلك، أنا اتبعت سياسة تجميد الأوضاع، بمعنى أني نصحت والدي بعدم فسخ الخطوبة لأن والدك راجل ذكي وناصح ومعندوش ثقة في حد بالتالي ممكن يكون موضوع إفلاسه ليس إلا إشاعة الهدف منها كشفنا لو كنا طماعين! وبالفعل اقتنع. كالعادة يعني، وساعتها اتعلمت أن عشان الإنسان يضمن كونه أذكى من الآخرين، ممكن يرتكب أكثر الأفعال غباءً، عن تجربة، صدقيني ووالدك اللي كان ممكن ميتصلش بأبويا بالسنة، أصبح عنده هاجس أننا حنفسخ الخطوبة ونهني الارتباط فبقى بيتكلم مرتين في اليوم! طبعًا اتحول للطرف الأضعف بالتالي اختل التوازن بين الأسترتين، لدرجة أنه رفض تلميحي بأن أبويا بيقدّر الناس البعاد أكثر من القريبين. مش فاهم كان مفروض أفهمه إزاي أنه ماشي ضد مصلحتنا، ومصلحة نفسه !! ولما مكالماتك اتقطعت، وبدأت طريقتك تختلف معايا، رجعت اشك فيك نفس الشك بتاع زمان، ورجعت أراقبك تاني. وبكل أسف أكتشفت أن والدك عايز يرجع لأمجاده من خلالك. طبعًا بتكلم عن إصراره على أنك تروحي لوحده تقابلي ابن صاحب شريكه وتحاولي تتوصلي لتسوية تمنع إشهار الإفلاس باعتباركم شباب وفي سن بعض، بما تشمله المناقشات من مقابلات وضحك وهزار، على فكرة أنا لا بلومك ولا بعابتك، بالعكس أنا متعاطف معاك، لأن لو أبويا هو اللي كان مكان والدك كان استغلني نفس الاستغلال ويمكن بصورة أكبر كمان. ومش شطارة مني أبداً أني حر نفسي أغلب الوقت؛ لأنني عارف ومتأكد أن أنا وأنتِ عمرنا ما كنا أحرار في تصرفاتنا وإختياراتنا .

مررت بفترة انهيار عصبي. فترة كنت بسمع منك فيها كلام جوهره انتقاد كل ما في شخصيتي. تقولي عليّ ضعيف وتقولي عليّ توهنتك وضحكت عليك، وتقولي في حقي كلام عمري ما كنت أتصور يطلع منك أنتِ عليّ أنا، لكن المهم أنني وصلت لمرحلة قررت أصارحك باللي أعرفه. وساعتها انهارتني أنتِ عصبيًا، أغمي عليكِ ونقلتك البيت وفوقتي بأعجوبة، ساعتها قررت أنني أنهي كل حاجة. حتى لو فيك خير الدنيا كلها ليّ، وفيّ خير الدنيا كلها ليك، كل شيء أقسمة ونصيب، لما رجعتي لوعيك على سريرك في بيتكم، أنا كنت مستني مع والدك في أوضة التلفزيون، كنت مستحمل حواراته ونقاشاته على مضض لحد ما تفوقني واطمن عليكِ، وبعدين أبقى أبلغه قرار فسخ الخطوبة عن طريق والدي وفي ظروف مختلفة؛ لأن الوضع كان لا يحتمل، ورغم تماسكه في أول كلامه إلا أنني لما سمعته بيلوم نفسه ويقول: أنا السبب في تعبك يا ياسمين، بدون ما أشعر لاقيت نفسي بطبطب عليه، ساعتها والدتك ندهت عليّ، وكانت أول مرة عيني تيجي في عينك بعد ما عرفت موضوع مقابلاتك مع ابن شريك والدك، دخلت وقلت لك كلمة واحدة، توهنا. ضعنا يا ياسمين، رديتي عليّ وقلتي يا ريتني كنت تهت وضعت في صحراء ولا أنني أتوه وأضيع منك وأنا معاك. خرجت من بيتكم ووالدك يحاول يتجاوز معايا ومسبنيش غير لما وعدته أنني محاولش أشوفك ولا أسمع صوتك ثاني ورسالتي اللي بين إيدك دلوقتي هي أول حاجة توصلك مني بعد سنين. واعتبريها آخر حاجة لو موصلنيش منك رد .

ياسمين، والدك اتوفى. ألف رحمة ونور تنزل عليه. ووالدي قعيد بقاله كام سنة، والدتي ووالدتك ربنا يديهم الصحة بقى كل همهم يفرحوا بينا أو على الأقل يشوفونا فرحانين. وأنا عارف أن قصتنا عبارة عن جرح عمره ما يداوي، ولا حتى بألف قصة ثانية تيجي بعديها، لكن أنا عارف ومتأكد أن جرحنا يقدر يداوي نفسه بنفسه. ياسمين. إحنا انتقدنا أهالينا كثير. يا ترى لما بقينا إحنا في موقف المتحكم والمسيطر على مجريات الأمور، حنكون مختلفين ولا حنكرر أخطاء اللي سبقونا؟ ولا ياتري إحنا ادمنا لعب دور الضحية العاجزة وأدمننا إلقاء اللوم على أي حد إلا نفسنا؟ ياسمين تعالي نرجع. تعالي نكتب نهاية جديدة لاثنين محبوبش غير بعض ومقدروش يعيشوا من غير بعض. أنا عارف أن رسالتي موجهة لبنت لا اتجوزت ولا اتخطبت ولا سمحت لحد يقرب منها. أنا لسه مراقبك يا ياسمين. يا أول وآخر حب في حياتي كلها. قولني موافقة نرجع وفي لحظتها حتلاقيني قدامك ومستعد اتحاكم من أول وجدديد. بس وأنتِ بتحاكمني خلي في اعتبارك أنني مش مسئول عن أسلوب حياة لناس اتولدنا لاقيناهم واتولدنا لاقينا نفسنا مجبرين على احترامهم حتى لو كانت أفعالهم مجردة من أي احترام .

يوسف

تعليق السمسار البوسطجي على رسالة حتى الحياة بأوان

بعترف أن رؤيتي لصراع الأجيال كانت قاصرة، أنا كنت متصور أن صراع الأجيال معناه أن جيل الآباء احتفظ لنفسه بحق تقرير مصير الأبناء. لكن بحسب ما قرأت فالأمر أعقد بكثير. صراع الأجيال في صورة يوسف وياسمين حصل لما الأهل تخيلوا أن ولادهم مجرد امتداد لمشروعهم الخاص بحدافيره، وقالها يوسف بصراحة، ترس في ماكينة، جزء من الصورة وليس كلها، أنا لو كان لي الحق اتكلم مع يوسف وياسمين كنت قلت لهم أن المعجزة فعلاً كانت أن يتولد حب في ظروف - تحكمية - بالشكل ده، المشكلة أن الإنسان العادي صعب يتعايش مع فكرة أن مجبر طول حياته، بالتالي مكنش قدام يوسف وياسمين غير أنهم، يتماشوا. يتماهوا. مع سياسة الأهل لحد ما وصلوا لمرحلة أصبحوا غير قادرين على تحديد الأفعال الصادرة عنهم بمحض إرادتهم وفصلها عن أفعالهم الناتجة عن اختياراتهم غير الشخصية فيما بعد .

بمعني .. مصلحة العائلة ! ومصلحتي ضمناً، ولا مصلحة قلبي أولاً وأخيراً أيّاً كانت النتائج !! المشكلة أن مع مرور الوقت الإنسان بينسى مصدر القناعات وبتبقى القناعات نفسها راسخة بعيداً عن مصدرها، يوسف وياسمين كانوا في بداية الانفصال والبعاد بين أسرهم غير موافقين، حتى بالرغم من عدم قدرتهم كأطفال أو شباب صغيرين على التعبير عن رفضهم لأسلوب الأهل، إلا أن في مرحلة معينة اتحولوا من أحبة إلى متنافسين مع بعض وعلى نفس الوقت، مستحيل ناس في مقتبل الحياة يعيشوا ظروف بهذا الشكل ويُطلب منهم يكونوا أسوياء، مش حقول مستحيلة، لكن على الأقل صعوبتها بالغة.

أنا شوفت ياسمين مرة واحدة فقط لا غير، في الحقيقة شوفت نصف ملامحها لأنها كانت بتتخائق وتزعق مع والدتها، الفضول أجبرني أحاول أعرف سبب المشكلة لكن اتضح أنه أسلوب عام أيّاً كان الموضوع! انطباعي الأول كان أنها بنت غير مهذبة، لكن بعد جواب الأخ يوسف وتفصيله، أقدر أقول إنها بنت ظروفها كانت صعبة، وكان الله في عون الجميع، أعتقد لكنه اعتقاد غير جازم بالمرّة، بأني شوفت يوسف كمان، أصلها مستحيل تكون صدفة أن كل مرة كنت بروح أطل على شقة ياسمين وأحاول أبص على الفراندا بتاعتهم عشان أشوف لو فيه نور يبقى معناه أنهم موجددين وأطلع أعرض عليهم شراء الشقة، يكون فيه شخص متواجد وواقف على الرصيف المقابل لبيتهم عمال يراقب الفراندا ومستني حد يطلع يقف فيها! في الأول افتكرت أنه ممكن يكون سمسار زميل، لكن العمارة كلها فضيت ومتبقاش غير شقة

ياسمين ووالدتها، وكمان أخذت وقتي في التفاوض معاهم بدون ظهور أي زميل منافس، والأخ يوسف قال في رسالته أنه بيهوى فكرة المراقبة، فأغلب الظن الشخص المتواجد بصورة مستمرة قدام شقة ياسمين القديمة هو يوسف صاحب الرسالة، مرة عيني جت في عينه لاقيته ارتبك، لكن ارتبأكه مستمرش لمدة طويلة، مش لأنه قوي، وإنما لأنه بائس وبائس، ملامحه بتأكد انطباعي، بالتالي معندوش شيء يخسره .

ملحوظة أخيرة بخصوص رسالة يوسف لياسمين، هو ذكر أن رسالته لها هي أول تواصل بينهم من سنوات، بدون تحديد كام سنة مرت. نفسي أقول له يا أخ يوسف، الإنسان بيتغير في يوم. وممكن في ساعة كمان، ياسمين اللي أنا شوفتها انسانه قوية. حتى لو على المستوى الظاهري وحتى لو كانت داخلياً ضعيفة وبتحاول تعوض ضعفها بإظهار قوة مصطنعة، لكن أخشى ما أخشاه أن ياسمين حبيبتك وجدت الأمان في القوة، وأنت رغم حبها ليك بتفكرها بأيام ضعفها وهي مستعدة تبذل أقصى ما في وسعها عشان تنسى أيام الضعف وحضرتك من أبرز معالم اسواء مرحلة في حياتها ، بالتالي عندها مبرر منطقي حتى لو كانت بتحبك أنها ترفض عرض الرجوع حفاظاً على استقرار الوضع الحالي، وهو الأنسب لحياتها بحسب أغلب الظن ، أضف إلى ما سبق أن فكرة المصالحة بين الماضي والحاضر بتتطلب دائماً الفصل بينهم، بمعنى أن الماضي بيقى واضح أنه ماضي بدون امتدادات أو ظلال على الحاضر، وفيما يتعلق بجزئية الماضي والحاضر، اكتشفت أن الكاتب لما يحب يناقش ظاهرة أو يدلل على وجهة نظر معينة بيقدر يستعين بتجارب حياتية أو قراءات باعتباره مثقف، لكن الحقيقة بصفتي متطفل بالصدفة على عالم الأدب، فأنا لا أملك أي أمثلة. لكن في طفولتي مثال واحد بيوضح فكرة الفصل بين الماضي والحاضر، الفصل المعروف اختصاراً بفكرة المصالحة نظراً لإيقاعها الجميل المتسامح على اذان الناس مثالي هو الأزمنة النحوية في اللغة الإنجليزية. علمونا في المدرسة زمان أن ال **English** بيحتوي على أكثر من زمن يختص بالماضي، لكن بتختلف أزمنة الماضي وتتنوع بحسب علاقة الفعل الماضي بالحاضر وتأثيره فيه، بالتالي الماضي البسيط، غير الماضي التام، غير الماضي المستمر، غير المضارع التام، والمضارع التام هو زمن بيختص صراحة بفعل كان في الماضي إلا أنه لا يزال مرتبط بموقف في الحاضر بالتالي فكرة فصل الماضي عن الحاضر أو المصالحة بتتطلب نهاية جميع الأحداث في ماضي الإنسان وحياته بلا استثناء، وإلا حتكون تصرفاته امتدادا لما سبق، بالتالي لو رجعنا لموضوع رسالة - حتى الحياة بأوان - حنلاقي أن التحدي الحقيقي قصاد يوسف هو أنه ينهي وجوده في ماضي ياسمين بحلوه ومره، ويعيد طرح نفسه بصورة جديدة في حاضرها لأن مستحيل ياسمين تغامر بإعادة الماضي مرة ثانية مهما كانت مشتاقة إليه، مش مهم يوسف حب ياسمين قد إيه ولا ياسمين حبت يوسف قد إيه، المهم

أن ظهورهم في حياة بعض من ثاني ممكن يعمل ارتداد لماضي محدش يعرف تأثيره على حاضرهم حيكون بأنهي شكل.

الرسالة الثالثة :

إلي معالجي النفسي

المرسل : المتعمق الغواص

المرسل إليه : دكتور أيمن

أستاذي وصديقي دكتور أيمن، أنا واقع في حيرة بين أنني أفكرك بنفسي لتكون نسييتني أو أنني اتكلم اعتماداً على كونك لسه فاكروني زي ما أنا فاكرك دايمًا ؟ أكيد دكتور أيمن صاحب الذاكرة الفولاذية محال ينسى واحد من أغرب الحالات اللي مرت عليه في بداية مشواره المهني. ولو حد غريب بيقرأ رسالتي حيظن أنه مرت سنين طويلة بسبب كلمة المشوار المهني، مش مجرد سنة ولا اثنين، لكن الحق يقال يا دكتور أيمن، نجاحك الباهر في سنتين وشوية، غيرك بيكون محتاج عمر فوق عمره عشان يقدر يحققه ويحافظ عليه، على العموم. رغم تعاملك مع عدد كبير من أصحاب المشكلات النفسية، إلا أنك كنت بتميزني بلقب خاص. لقب حضرتك استوحيتته من خصائص شخصيتي النفسية، وهو المتعمق الغواص، أكيد. حضرتك دلوقت عرفت وافتكرت أنا مين ..

في البداية كنت متخوف من فكرة عدم وصول رسالتي ل حضرتك بسبب انشغالك الدائم، ففكرت في إمكانية وجود مساعد أو سكرتير بتعهد إليه بالرد على الجوابات، لكن عرفت من مصادر مطلعة أنه بسبب نجاح حضرتك الكبير في مجال عملك، والإقبال على مركز التأهيل النفسي الخاص بيك، فتمن الاستشارة بيكون حاجز ييمنع أغلب البسطاء -

أمثالي - من زيارة المركز، بالتالي ستكون الرسائل هي طوق النجاة وحبل التواصل الوحيد مع حضرتك، لأنك بتقرأها شخصياً وترد عليها في أحد البرامج التلفزيونية اللي بتستضيفك أسبوعياً، ولك فيها فقرة مخصصة، وأن حضرتك بتكون مجبر على قراءة كل الرسائل بنفسك حفاظاً على شعبيتك الشخصية وشعبية برنامجك على القناة التلفزيونية، لذلك بتكلم وأنا مطمئن، وصدقني لو كان عندي ذرة شك واحدة في أن شخص غيرك ممكن يطلع على رسالتي إليك كان مستحيل أفكر اكتبها، يا ريت حضرتك تخلي هذا السطر السابق في اعتبارك. بالإضافة إلى أنني ثمن مقابلة حضرتك كانت في مقدوري زمان، لكن حالياً بسبب اختلاف الأولويات من جهة، وارتفاع ثمن زيارة مركز حضرتك من جهة أخرى، المسألة برمتها أصبحت محل نظر، وأول معاد متاح على جدولك بحسب سكرتيرة المركز سيكون بعد من 4 إلى 6 شهور من لحظة اتصال صاحب المشكلة، بالتالي فكرة انتظاري فعلاً كانت مستحيلة .

قبل أي شيء، أنا عايزك تسامحني على تفصيري في حقك وفي السؤال عنك بحيث إن الصورة بدت وكأن علاقتنا كانت علاقة "عمل" فقط لا غير، لكن لو تعرف حجم اعتزازي بمعرفتك حتعذرني، أنا فعلاً كنت مشغول لدرجة خلتنني أنسى نفسي، لأنني وهبت نفسي لإنجاز مشروع، ولم أتجرأ أراسل حضرتك غير بعد ما نجحت في إتمامه على أكمل وجه، وأنا واثق أنك حتنبهر من مدى نجاحي، خصوصاً أنه بعد فترة غيابي وانقطاع علاقتنا أنا كان لازم أرجع بهدية، لكن في الحقيقة واجهتني مشكلتين :

المشكلة الأولى: مدى اعتبارك لهديتي لك بمثابة هدية !

والمشكلة الثانية: كيفية استخدامك للهدية!

وأعتقد أن الأوان ندخل في الموضوع؛ لأنني ملاحظ أنك بدأت تمل وخصوصاً أنني اتعلمت أقرأ أفكارك .. أفكارك أنت بالذات دون عن كل الناس !

من حوالي سنتين ونصف، وبعد ما انهيت دورة العلاج في المركز عند حضرتك مش حابب أنني أبالغ وأقول إنني وقتها كنت مقبل على الحياة، لكن على الأقل كان عندي فضول لتجريب أساليب التعامل اللي اتعلمتها على أيديك والتعامل مع

الحياة والناس من منظور جديد ومختلف، وبالفعل، أنا أشبه بإنسان ببدء حياة جديدة، بمعنى. بيت جديد، وظيفة جديدة، الاكتفاء بأصدقاء العمل والاستغناء عن المعارف القدامى. وإجراءات متعددة على نفس الصعيد، أنت كنت طلبت مني طلبات مزدوجة، بمعنى أنها كانت نفسية - اجتماعية بمعنى آخر، أنني أقوم بعمل بعض تجارب الاحتكاك والتعامل مع الناس والتواصل على مستويات مختلفة بالتوازي مع اختلاف الخبرة الشعورية عن حياتي السابقة، حضرتك طلبت مني أمارس الحياة بدون معتقدات معدة سلفاً أو أحكام مسبقة، وأتعامل بقدر من سعة الصدر، وهي عملية أنا أطلقت عليها - بعد إذن حضرتك - اسم بيوصفها ويوضح خصائصها كتجربة نفسية، والاسم هو "تحويل الإنسان الناضج ذو الخبرات إلى قط مشمشي" صدقني يا دكتور أيمن أنا غير متعمد السخرية بالمرّة، ولكن عملية تخلي الإنسان عن خبراته الحياتية وتنازله عنها أشبه بتنازلك عن خريطة إرشادية قبل دخولك لحقل الغام . ومع ذلك، أنا وقتها كنت مجبر على الانصياع لعدة أسباب، من ضمنها أن صاحب الاضطراب النفسي سيكون مسلوب الإرادة ومعدوم الإختيار، متشكك في الماضي والحاضر والمستقبل، فلما المعالج يطلب منه يتعاون وثمن التعاون هو تغيير خصائص شخصيته حتى ولو بالتدريج، مستحيل تكون الإجابة بالرفض لأن الرفض يتطلب قوة والمضطرب نفسياً قلما يقوى على شيء، و حضرتك أدرى الناس بهذه الحقيقة .

أنا قضيت الفترة الأولى من مرحلة إعادة الاندماج - أول 3 أشهر بعد انتهاء العلاج - بنفذ التعليمات حرفياً، وبالفعل أنا شخصياً ذهلت من النتائج. لأنه غريب ومدهش بالنسبة لأي إنسان أنه يشوف الحياة بنظرة عين بريئة وكأنه اتولد من جديد، خاصة أنني كنت بنفذ كلامك بالحرف على كل محاوره الرئيسية، تقبل الآخرين، عدم التسرع في إطلاق الأحكام، تقبل اختلاف وجهات النظر، عدم الحكم من خلال المظاهر. خلينا نعتبرها متلازمة الإنسان العقلاني.

لكن على مستوى أعمق، وأكثر واقعية وصراحة، اكتشفت أنني تحولت إلي كائن لطيف يدعي ال Goodboy بيكبر شوية فيتحول إلى طور آخر من أطوار الشخصية الجبوية اسمه Nice guy كائن معروف عنه اجتماعياً أنه لا يثير أي مشكلات، كأن لا يطرح الأسئلة ولا يناقش ولا ينتقد، كائن غير قادر حتى على تكوين الانطباع ! حتى إنني تحولت إلى كائن أكثر وداعة من قطط الحقائق العامة، - نظرية القط المشمشي - من جديد، واكيد الحياة كانت على أحسن ما يرام، لأنه من غير المتصور أن حيوان أليف يثير مشكلات ! بالتالي هو خارج حلبة الصراع تماماً. أنا تحولت وبلا فخر إلى عصفور بيغرد على كل شباك، ومن غير المنطقي تصور خلاف مع عصفور مهما كان العصفور صوته عالي ! ولو

العصفور أزعج إنسان ما، أقصى فعل لهذا الأخير هو أنه حي قوم يقفل الشباك. ولأن الحياة حلبة صراع، وعمرها ما كانت حديقة استجمام أبداً، فشغلي الجديد شهد صراع على الترقيات، وفجأة اتضح أنني قصاد خيارين لا ثالث لهما، إما أنني احافظ على فكرة الـ Goodboy بما تشمله من راحة بال واسترخاء وبعد عن القلق والتوتر والاكتئاب في حالات الهزيمة، وبين أنني أرجع لطبيعتي الأولى، وحضرتك أدري بها حتى من نفسي .

اكتشفت أن التجربة الإنسانية محال التنازل عنها، سواء كنا بنحبها أو بنكرها، التجربة بالنسبة للإنسان هي الحدث القابل للتكرار في أي وقت، بالتالي لما حضرتك كنت بتحاول تمحي التجربة، تزيل آثارها، تخفف من وطأتها الشعورية، معناه أنك بتحاول التأثير على المخزون المعرفي لإنسان، وهو ما ترفضه بعض الأجزاء من الإنسان نفسه، يعني مثال مع الفارق يا دكتور أيمن لو تسمح لي. انظمة تشغيل الحاسبات الإلكترونية فيها ملفات غير قابلة للمسح أو الإزالة وإلا توقف النظام كله عن العمل، لأنها ملفات تشغيل أساسية، فإذا كانت الحواسيب وهي جماد بتحافظ على الحد الأدنى من ذاكرتها، إذن فالإنسان وهو أضعف بالتأكيد حتى وإن كان أذكى حجم المناطق المحظور حذفها في وجدانه، أكبر وأكثر.

اكتشفت أن حياة الناس لا تختلف من شخص إلى آخر إلا عبر منظور الرؤية، إنسان ولد في بيئة مليئة بالمشاحنات والبغضاء، اتوظف في وظيفة بتعتمد على الوشاية والضرب تحت الحزام، أكيد حيشوف الحياة جحيم حتى لو كان ناجح، ولو نفس الإنسان اتولد في بيئة ذات مناخ لائق ومعتدل، اتولد في ظروف حياة سوية بمعنى أصح، واشتغل في وظيفة لا الوشاية ولا الضرب تحت الحزام لهم فيها أثر لأن الاعتماد كله بيكون على سعيه واجتهاده، طبيعي حيشوف الحياة عادلة، بالتالي حتى لو خسر طموحاته وأحلامه بيكون من جواه عارف أنه يستحق وضعه، فيكون فاشل، لكن في نفس الوقت راضي وقنوع ومتوازن نفسياً، بعيداً عن الحقد والكراهية لأنهم من وجهة نظري أمراض واضطرابات أخلاقية قبل ما تكون نفسية أو اجتماعية .

اكتشفت أن أنماط الشخصية هي عدد محدد ومحصور، بعد ما كنت فاكرها ممتدة إلا ما لا نهاية، في كل مكان اشتغلت فيه، كنت بواجه نفس الأنماط على سبيل الحصر لا المثال، اللعوب، الطموح، الجريء، الجبان، الخجول، حتى لو اختلفت نسبة الصفة الغالبة، بتظل العلامة المميزة للشخصية واضحة، يعني لو واجهت طموح لكن جبان، لازم

صفة منهم تكون أعلى من الأخرى حتى ولو بنسبة متناهية الصغر، عملية تساوي صفتين حاكمتين في إنسان هي عملية مستحيلة وفقاً لخبرتي وتجربتي في الحياة .

لما أحتدم الصراع في مجال عملي، أحتدم صراع آخر على المستوى الداخلي بيني وبين نفسي، قررت أنني أستخدم خبرتي في التغلب على منافسيني، صحيح كانت منافسة شريفة، لكن استغلال نقاط ضعف الآخرين ستظل حيلة أبعد ما تكون عن الشرف، وبالفعل نجحت في تولي مهام منصب في الشركة كان أبعد ما يكون عني وفقاً للمجري الطبيعي للأمر، أو بمعنى أدق وفقاً لخطوات حياة الـ Goodboy .

الغريب أن كل حيلة وخبرة استخدمتها ، قبل استخدامها لها ومن حوالي سنتين ونصف كنت بدفع من مالي لحضرتك عشان تخليني أنساها، وأنسى التجربة اللي من خلالها اتعلمت الخبرات والحيل موضوع حديثنا، كنت عايز أكون إنسان خالي من الشوائب، حتى لو شوائب مفيدة وصحية، تصور حضرتك إنسان يبحارب كافة أنواع البكتريا حتى لو بكتيريا مفيدة للصحة ! الظاهر أنني كنت عايز أرجع طفل حديث الولادة من أول وجديد، أو الظاهر أنني وقتها كنت رافض مبدأ أنني جيت الدنيا من الأساس ، لكنني اكتشفت، وما أكثر اكتشافاتي خلال الفترة السابقة، أن الأحاسيس والمشاعر السلبية، والخبرات الصعبة، وكل ما قد يمر على الإنسان من تجارب يبحاول ينساها، لا بد أن يتم الاحتفاظ بها في حقيبة أو جعبة افتراضية، اسمها " كراكيب" لا تستخدم إلا عند الاحتياج إليها، إنما ترك الكراكيب تتجول في العقل كان هو الخطأ و محاولة جعلها تتلاشى كأن لم تكن، فهو جريمة، في حق الإنسان وعقله، ونفسيته، وحتى في حق الكراكيب نفسها، بأي يحق يبحاول الإنسان محو دروس مدفوعة الثمن ؟

بعد الوصول لمعادلة الحقيقية أو الجعبة الخاصة بالكراكيب، وإحلال السلام الداخلي بيني وبين نفسي، تبقى لغز مستعصي عجزت عن حله أو حتى طرح تفسير افتراضي له، اتوقع أنك عرفت عن أي لغز بتكلم؟ أنت يا دكتور أيمن، أنت كنت أكبر لغز محير بالنسبة لي، وأنا لا أزال أتذكر أول مقابلة بيني وبينك، يوم ما اعتبرت زيارتي مركز تأهيل نفسي بمثابة إنجاز، مروراً بالجلوس في غرفة الانتظار وصولاً لمناداة مساعد حضرتك على اسمي، كمية توتر لا حصر لها .

لكن السؤال: لماذا كان يمثل معالجي النفسي لغزاً بالنسبة لي؟

في الحقيقة يا دكتور أيمن أنا إنسان مريض بالشك، أو بمعنى أدق، الشك عرض مشترك بين أغلب صفاتي وتصرفاتي، بالتالي حضرتك بدون ادني إساءة كنت مندرج في خانة الناس موضع الشك نتيجة تعاملهم معهم، وكان عندي شكوك بتدور حول فكرة تبسيطك الزائد للأمر، بمعنى أن أي مشكلة كنت بطرحها على حضرتك كنت بتحاول تبسطها وكأنها عرض خالي من المشاعر، يعني مثلاً لما العربية عطلت مني في طريق سفر وحسيت بخوف، لاقيت حضرتك بتقترح أنني افتح شنطة العربية، واطلع اللافتة الفسفورية، واحاول اطلب من عربية ثانية المساعدة. وبعض تعليقات الطمأنينة من حضرتك، زي مش مشكلة، مافيهاش حاجة أبداً، كلنا معرضين لده، طب يا دكتور افرض العربية اللي أنا حطبت منها المساعدة واستوقفها سائقها حرامي وحيسرقني! طب افرض فشلت الاقي مساعدة أساساً؟ اسئلة لا إجابات لها، بالتالي منهج تعامل حضرتك قاصر عن تفسير المخاوف (الحقيقية-اليومية-الواقعية) وإنما يعتمد على سرد المجري الطبيعي المثالي للأحداث والأمر، طب هل إذا كانت الحياة ذات مجري طبيعي، كنت حكون محتاج معالج نفسي من الأساس، مجرد سؤال!؟

مرة أثناء انتظاري في المركز عند حضرتك، كان باب المكتب مفتوح، وسمحت لنفسي أسمع شكوى إنسانة عندها مشكلة نفسية، بتشكي لحضرتك خوفها من فقدان زوجها وأنه يروح لواحدة ثانية غيرها، فحضرتك بدأت بطمأننتها بأن أكيد زوجها يبجها لأنه تزوجها هي دون باقي النساء، وأنها لازم تتعامل بمبدأ حسن النية، وكلام بيدور حول فكرة أن اعتناء الزوجة بنفسها يبصب في صالح الأسرة ككل، طب بصفتنا رجال أنا وحضرتك يا دكتور أيمن، هل اعتناء الزوجة بنفسها ورعايتها لبيتها ممكن تمنع رجل خائن وخسيس وقليل الأصل من أنه يبص بره؟

جاوب يا دكتور هل طبيعي أن إنسانة وزوجة وأم تنحط بمستواها أخلاقياً واجتماعياً ويكون فرض ولزام عليها تعلم فن الغواية لأنها ببساطة تزوجت من رجل اتضح أنه زير نساء؟ بل وصل بها حد القلق إلى زيارة مختص بالعلاج النفسي من خوفها على هذا المسمي رجل؟ أولم يكن من الأولى يا دكتور مصارحة هذه المسكينة بأن زوجها من رجل معدوم الأخلاق هو أصل وسبب مشاكلها النفسية؟ أكيد حضرتك حنتهمني أنا بتبسيط وتسطيع الأمور، شيء متوقع طبعا، و أنتظر منك تتهمني بعدم تقدير وجود أسرة وأولاد بين هذا الرجل وزوجته، وبالتالي عدم تقديري لحجم المسؤولية الاجتماعية، وأنا بتهمك في المقابل يا دكتور أيمن بعدم القدرة على مصارحة صاحبة المشكلة بأن زوجها كان هو الخطأ ذاته، أنت تنصح الآخرين بإيجاد صيغة حل وتفاهم لتقبل حقيقة وجود في بحر رمال متحركة بيتلغ جزء من سلامتهم النفسية كل يوم يا دكتور. لكن أنا لا أزال محتفظ بمفاجأة أخيرة فيما يخص موضوع هذه الإنسانة .

هي ، أي هذه المضطربة نفسيًا ، بدون ذكر أسماء ، كانت ميالة بطبعها للارتباط بالرجل المنحرف ، صاحب التجارب السابقة ، وكانت ترى في هذا النوع الرجولة في أسمى صورها ، وسبب اضطرابها النفسي في الأصل هو عدم قدرتها على التوفيق بين رغبتها في الارتباط بزير نساء ورجل ذي تجارب من ناحية ، وإحكام السيطرة على رجل من هذا النوع بعد الزواج من ناحية ثانية! هذا ما قد يمتنع المرء عن البوح به في جلسات التحليل النفسي ، الجماعية منها والفردية ، أما عن مصدر معلوماتي ، فهنا يكمن الإحراج ، لأنني تعرفت على هذه السيدة عن قرب ، وتبادلنا أرقام الهواتف ، في مركز التأهيل النفسي تحديداً في الغرفة المخصصة للانتظار ، طبعاً تعمدت المجيء في يوم ليس به ميعاد يخصصني ، وفتح حديث معها ، ثم مثلت تفاجئي من حضوري في اليوم الخاطئ ، ثم قمت بتحويل ميعاد جلستي الخاص بعد ذلك ليصبح موافقاً يوم مجيئها ، لأضمن لقاءً شبه أسبوعي بصحبتها ، ثم تقابلنا في الخارج ، ثم جرى ما جرى وكان ما كان ، وهذا يفسر سر انقطاعها عن جلسات العلاج فيما بعد؛ لأنني تحولت أنا إلى صديقها ومعالجها النفسي في نفس الوقت . هل في احتياج أشرح مزيد من التفاصيل ولا نكتفي بهذا القدر؟ أعتقد يكفي حفاظاً على ما تبقى من حياء وحفظاً لماء الوجه ، خصوصاً أن معروف عنك التزام الحدود مع رواد مركز من الجنس اللطيف ، الحق يقال ..

لكن ، كان نموذج الإنسان الخاص بحضرتك يا دكتور لا يزال يشكل لغزاً ومحور اهتمام ، لأنك كنت بمثابة استثناء على كل خلاصة قدرت أستخلصها في الحياة ، إنسان هادئ ، رزين ، ودود الطباع ، الواحد يشعر في صحبته بالألفة ، ولكن في نفس الوقت ، يبجس صراعاته مع منافسيه في وقت قياسي وبصورة مبهمّة! فعلاً أكثر سؤال احترت في إجابته هو أنت يا دكتور ، لا أزال متذكر ديكور مكتبك ، صورة في برواز جميل على المكتب لحضرتك وزوجتك مدام نرمين رينا يحفظها ، وجنبها في برواز اصغر صورة لوالد ووالدة حضرتك وأنت طفل صغير بين ايديهم ، وبرواز آخر مقسوم لصورتين ، صورة و حضرتك في سن المراهقة تعزف على آلة الجيتار ، وصورة كمان ثانية وأنت وسط فريق رياضي للبراعم ، بحسب أغلب الظن كان فريق كرة قدم !

سؤالي لنفسي كان هل حياتك يا دكتور كانت حياة طبيعية كباقي الناس ، بتقلباتها ، بصعودها بهبوطها ، أم أنك بتتحرك على بساط الريح؟ أوقات كنت بحس حضرتك لا تلمس الأسفلت ، بمعنى أنك حصلت على كل شيء ، حياتك كانت مثالية وخالية من المشاكل لدرجة أنك كرس نفسك لمهنة حل مشاكل الآخرين ، أكيد مهنة عظيمة ورسالة غاية في السمو ، لكن ولأنني إنسان شكاك ، فالإنسان الشكاك يتمتع بخصلة لا يصارح بها حتى أقرب الناس إليه ، الإنسان الشكاك

يا دكتور أيمن سيكون بارع في تصيد الأخطاء، سيكون ميال لسماع كل قصة من أولها، وحريص على عدم تفويت أي جزئية حتى لو كانت تافهة أو غير جوهرية، وأنا حرجع واسأل نفسي، طالما أن حضرتك حياتك كانت مثالية بهذه الصورة، يبقى أنا لازم أعرف كل حاجة عن حضرتك، طفولتك، بدايتك، مسار حياتك وصولاً للحظة تعارفنا، وبناء على معرفتي كانت تحتحدد أشياء لا حصر لها، أولها مصداقيتك وآخرها وضعي أنا، إما أنني إنسان مضطرب نفسيًا فعلاً، أو أنني إنسان ادركت الواقع وأدركت استحالة تغييره، بالتالي كانت مشكلتي في عدم رغبتني في الاعتراف به، وبالمناسبة، الوضع الثاني هو الأصعب، ومن بين الأمور المذكورة معضلة قديمة كانت منسية، وهي عبارة عن سؤال: هل الحياة فعلاً بتسمح بوجود امثالك وبتمدهم بأرض ممهدة وصولاً لتحقيق أهدافهم؟ أم أن الطرق الممهدة هي وهم كبير لا يعتقده سوى المضطربين نفسيًا؟

بدأت البحث والتحري حول سيرة حياة حضرتك. وأول مفاجأة كانت صادمة لدرجة أنها كادت تصبني باضطرابات نفسية لا تعد ولا تحصى، ألبوم ذكريات حضرتك وصورتك وأنت طفل بين حضني والديك، كلها كاذبة !

حضرتك اتولدت في قرية بمدينة دمنهور، والدتك سيدة فاضلة لم تخلع النزي الرفيقي ولو ليوم واحد، والدك - الله يسامحه - سابها وهي حامل فيك وسافر وانقطعت أخباره، والدتك لا تزال بفضل الله على قيد الحياة، بالتالي الصورة القديمة بالأبيض والأسود لسيدة فاضلة أيضًا شعرها يبدو كممثلات هوليوود بمعطفها ذي الفراء، وأب يرتدي بدله شديدة الأناقة ومأخوذة في أحد المطارات، هي صورة تخص آخرين، وبالتالي الطفل الموجود بينهم شخص آخر غير حضرتك، أضف إلى ذلك أن والد حضرتك إن كان لا يزال على قيد الحياة، فهو لا يعلم بوجودك أصلاً ..

بدأت الوالدة تعاني من مشاق أعباء الحياة بصفتها أم معيلة لطفل في غياب والده، والوالد ربنا يرحمه أو يجيبه بالسلامة لو كان لا يزال على قيد الحياة كان - مقطوع من شجرة - بالتالي لم يكن أمام والدتك الفاضلة سوى أن ترسلك إلى شقيقها الأصغر المقيم في حي شبرا بالقاهرة ليتولى هو رعايتك نظرًا لكونه موظفًا يتقاضى أجرًا ثابتًا، والحياة بصحبته تحوي نوعًا من الاستقرار، وهو طبعًا تفكير سليم، في الحقيقة خالك كان رجل خير، لكن الظاهر والله أعلم أن استضافته لك كانت غلطة عمره يا دكتور أيمن، مضبوط؟ يعني لمجرد أنه غلط مرة وأخطأ وعابيرك بأنه يبصرف عليك، حضرتك بطشت به، في الحقيقة هو لم يكن يصح أو يليق أن خال يعاير ابن أخته بأنه بيرعاه ويبصرف عليه، خصوصًا

أن الخال والد ، لكن في المقابل لم يكن يصحح أو يليق بأنك تدمر حياة خالك أو حياة إنسان فتح لك بيته واستضافك وأوى حضرتك عنده ، لأنه بمثابة أب ، والوالدين في مستوى يحول دون محاسبة الأبناء لهم حتى وإن أخطئوا ، ولا إبه؟

خالك كان طمعان يتزوج من ابنة مديره في العمل، لكن في نفس الوقت الست صاحبة الشقة كانت بتتغاضى عن دفعه للإيجار في مقابل وعوده ليها بالزواج منها وبعض الملاطفة ، فعلاً خالك كان على علاقة بسيدتين في نفس الوقت، وإن كان ممكن في أي وقت يفوق ويرجع للطريق المستقيم، لكن الظاهر أنك كنت مستعجل شوية يا دكتور أيمن، لأنك كشفت لعبته للطرفين، فكانت النتيجة أنه اطرده من مسكنه وانتقل من وظيفته إلى وظيفة أقل وفي منطقة نائية بسبب غضب مديره منه، وعلى العموم خالك بيزور القاهرة مرة كل أسبوعين ويقعد على نفس القهوة المجاورة لمسكنه القديم، بيكلم الغريب والقريب عن قصة واحدة فقط لا غير! قصتك معه. لدرجة أن الناس بتتخذها عبرة وعظة .

الحلقة المفقودة، أو اللي كنت بظنها مفقودة بسبب سذاجتي، هي وضعك المعيشي بعد بطشك بخالك، أقصد أنك لما كشفت سره ودمرت حاضره ومستقبله، كان وضعك مرتبط بوضعه من حيث أنكم أنتم الأثنين أصبحتم في الشارع! أضف إلى ذلك فكرة أن حضرتك وقتها كنت شاب في مقتبل العمر بدون أي مصدر دخل ورجوعك لوالدتك مستحيل بسبب دراستك الجامعية وضيق أحوالها المعيشية، للحظة، وهي لحظة غياب مني طبعاً، ظننت أنك انفعالي وطائش وأهوج لدرجة أنك ممكن تبطش بشخص حتى لو كنت حتبطش بنفسك معه، لكن طبعاً دكتور أيمن أذكى بمراحل من أنه حتى يصيب نفسه بخدش ، لا قدر الله .

فيما يتعلق بالسكن، فحضرتك كونك طالب جامعي وافد إلى القاهرة من محافظة أخرى، فالإسكان الجامعي وفر لك المسكن. وبخصوص راتب المعيشة، فالسيدة الفاضلة صاحبة شقة خالك السابقة تولت هي الصرف عليك ورعايتك كنوع من رد الجميل ونظير كشفك لها حقيقة خالك، بمعنى أكثر صراحة، حضرتك أدركت مفاتيح تلك السيدة واستثمرت في احتياجها، وأنت فعلاً أشبعت كل احتياجاتها وكنت خير بديل للمأسوف على شبابه خالك، مضبوط؟ وأنت تعلم أنني أعلم بأنك تعلم أنه مضبوط!

وبهدف إبعاد شبه الاستغلال عن نفسك، نجحت في اختبار وضعته تلك السيدة لما عرضت عليك تسكن في شقة خالك، وقتها أنت رفضت لأنك لا تقدر على ثمن الأجرة، وقلت لها أن الحب الحقيقي يرفض استغلال الحبيب لحبيبته

و طبعًا بسبب التعفف المصطنع منك، وضعتك السيدة بغائها في منزلة ربما لم يوضع بها رجل قبلك، ولا بعدك بحسب ما توصلت إليه ببحثي !

أثناء فترة دراستك الجامعية ، حضرتك دخلت في مشاجرتين بالعدد، واحدة مع طالب زميل لك وهو نكرة لا يعني أحدًا في شيء، وإن كان سبب الخناقة بيوضح الكثير من الأمور، والثانية مع خطيب زوجة حضرتك السابق، أيام ما كان زميل لك في الجامعة، نحكي ونقول تفاصيل الواقعتين، وقبل ما حضرتك تستغرب وتساءل عن مصدر معلوماتي، فهما في الحقيقة مصدرين، المصدر الأول رجل طيب يدعى عم رمضان، كان ولا يزال موظف شئون طلبة في الجامعة، أقنعتة بالزور أنني صحفي بعمل تقرير عن رواد المجتمع من خريجي الجامعة، وطلبت معلومات عن حضرتك فالراجل كان متفاني الحقيقة، وسبب كشفي لمصادري هي رغبتني في عدم إصابتك بالقلق نتيجة التحري حول ماضيك، وأتمنى أنك لا تتخذ أي إجراء ضد عم رمضان الراجل الطيب؛ لأنه فعلاً كان نيته صافية وسليمة وفخور بك ويحبك ، أما المصدر الثاني، فهو خطيب زوجتك السابق، لأنه تحول إلى خالك رقم اثنين لا يروي سوى قصة واحدة وهو أنك سلبتة حب عمره ومستقبله الأكاديمي .

الواقعة الأولى بتتخلص في أن الدكتور والد زوجتك نرمين وأستاذك في الجامعة، طلب بحث عن موضوع نفسي معين، ووعده الطالب القادر على إنجاز هذا البحث الأدق والأسرع بشهر تدريب في مركزه الخاص للتأهيل النفسي. فرصة لا تعوض، حضرتك كطالب مجتهد، دخلت مكتبة الجامعة وبدأت تعد الكتب والمراجع المستخدمة في البحث المطلوب. جميل! لكن يشاء القدر بأن هناك طالبًا آخر ارتكب خطيئة لا تغتفر، ومد يده ليلمس مرجعًا في علم النفس، حضرتك كنت محتاجه لبحثك، فحدثت مشادة كلامية، وكانت نتيجةها أنك ضربت زميلك بالقلم على وشه وأخذت الكتاب.

والظاهر أن زميلك كان عنده عزة نفس أو كبرياء فأصيب بشبه انهيار عصبي ولما فاق منه وحاول يتقدم بشكوى ضدك كانت النتيجة بالأشهاد على الواقعة! وحفظت الشكوى، وأغلق الموضوع! مبروك يا دكتور البراءة !

الواقعة الثانية لما تأكد لحضرتك أن الهدف سبقك إليه آخرون، وأن الأنسة نرمين زميلتك في الجامعة وابنة أستاذك تمت خطبتها لزميل آخر، أنا كراجل متفهم شعورك، لكن حتى لو فرضنا أن الجامعة نموذج مصغر من المجتمع بكل صراعاته، ألا ترى أنك تجاوزت الخطوط الحمراء ولو قليلاً؟ مجرد سؤال!

كان في طالبة فاشلة تدعي (...) لا أعتقد أنه من حسن الخلق ذكر اسمها لأنه مرت سنين على أيام شقاوتها، وقد تكون تحولت إلى إنسانة محترمة، ومن حقها علينا أن نتغاضى عن أخطاء في ماضيها، خاصة لو كانت أخطاء وقعت نتيجة استغلال آخرين لها، عن حضرتك أتحدث .

هي طالبة كانت تعلم يقيناً أن قرار رقتها من الجامعة على وشك التوقيع نظراً لتكرار رسوبها في نفس العام الدراسي، بالتالي لم تكن تملك شيئاً لتخسره وبالتالي استطعت أن تستثمر وضعها بجعلها تفتري على خطيب زوجتك السابق وتدعي بأنه حاول التحرش بها، وذلك نظير مبلغ مادي. وهو ما حدث بالفعل وفي قلب الموقف كما خططت له سيادتكم، جاءت نرمين مذهولة على وقع صوت خطيبها السابق يتألم نتيجة ضربك المبرح له وفي ذروة الأحداث تنطق زميلتك المتواطئة معك بسطر واحد حفظته عن ظهر قلب لتقول: "يستاهل اضربه يا أيمن عشان يحرم يتحرش بينات الناس"، وأنت قمت بالواجب وزيادة يا أيمن، قصدي يا دكتور أيمن .

بالفعل تم فسخ الخطوبة. وأسفر التحقيق عن براءتك لشهامتك ورجولتك ودفاعك عن زميلتك، و... و... و... ورفت خطيب زوجتك السابقة من الكلية، و لكن بقيت بعض الحواجز بينك وبين هدفك. الدكتور والد نرمين قبل البحث الخاص بك وحضرتك حصلت على شهر تدريب في مركزه، لكن المشكلة أنك لا تزال الشاب اللي ضرب خطيب بنته السابق وبالطبع حساسية الموقف موجودة ولا مجال لإنكارها .

أنا شخصياً ولأنني يستكمل المعلومات بخصوصك معلومة تلو الأخرى بحسب بعد كل مصدر عن الآخر، كنت بتساءل بيني وبين نفسي، هل ممكن تنجح في تجاوز عقبة نفسية أو حاجز نفسي بهذا الشكل؟ أنا عارف أنك تجاوزتها بنجاح لأنه أصبح ماضي، لكن أقصد، أنه في هكذا موقف أنت انتقل مستوى ذكائك لمستوى آخر فعلاً لا يشاركك فيه إلا قلة، لدرجة أنه استحال على فعلاً تخمين أسلوبك في الوصول لهدفك لأنه كان أسلوب مفاجئ بكل المقاييس . حضرتك توجهت للمركز وقابلت الدكتور وعرفته بنفسك لأنه واضح أنه مكنش لديه أي فكرة أو رابط أن حضرتك نفس الطالب

اللي ضرب خطيب بنته السابق وعرضت الموضوع عليه ونصبت منه حكم عليك للمرة الثانية! فالرجل تقبلتك بشيء من التردد، فحضرتك اشترطت عليه ضرورة الاعتذار لبنته شخصيًا وتوضيح موقفك وأنها هي صاحبة القرار النهائي في قبولك بمركز التأهيل من عدمه، بالتالي أول ميعاد بينك وبين مدام نرمين كان تحت رعاية وبموافقة والدها! بالطبع إنجاز لم يكن يجرؤ أحد على مجرد التفكير به .

طبعا حضرتك بتتزوج مدام نرمين فيما بعد بمباركة والدها الأستاذ الدكتور وبتنتقل اجتماعيًا ومهنيًا نقلة كانت حلم وطموح مئات الزملاء لك في الجامعة، منهم من تخلي عنها لأنه اعتقد أنها أبعد من أحلامه، ومنهم من اتبع الطريق في الحقيقة أن كل ما سبق رغم ما يحمله من مكر ودهاء، إلا أنه لا يثير اندهاشي؛ لأنك أو وأخيرا إنسان وصولي، وهناك من سمح لك بتلك الوصولية، فبالتالي كل ما سبق رغم حنكته إلا أنه لا يعدو كونه علاقة السبب بالنتيجة .

المرحلة الأخيرة من تطور ذكاء حضرتك كانت هي المرحلة الأصعب بالنسبة لي في فهمها وإدراكها، لأنني كنت مطالب بفهم واستيعاب نتيجة الفعل على المدى البعيد، وأصبح لك أسلوب خاص في التخلص من ماضيك، بمعنى أنك بدل من أن تكون أنت المطارد بسبب أفعالك، أصبحت أنت من تطارد ضحاياك! وهذا ما لم أراه في حياتي! القدرة على إقناع من تهزمهم بأنهم هم المنتصرون! وبهذا تتفادى الصراع! وإيهام خصمك هو الانتصار الساحق.

فيما يتعلق بزميلتك السابقة في الجامعة والمشاركة معك في تمثيلية التحرش بها وقيامك بضرب خطيب زوجتك السابق دفاعًا عنها، بعد فشلها في الدراسة، أصبحت امرأة في مهب الرياح بكل ما تحمله هذه الكلمات من معنى، ورغم محاولتها المتكررة مقابلتك في مركز التأهيل لطلب مساعدة منك، إلا أن تعليماتك الواضحة والصريحة للمساعد كانت التسوية والمماطلة ثم الطرد الصريح بحجة أن حضرتك مشغول. ولما بدأ صوتها يعلى وكانت على وشك تحكي قصتها مع حضرتك بصوت مسموع، فاجأني تخطيطك واستخدامك لعلم النفس بأنك أوقعتها مع المساعد الخاص بك في شرك الغواية، بالتالي أصبحت تتفادى المجيء للمركز لعدم إثارة الشبهات حول علاقتها بمساعدك، طبعا المسكينة آخر ما قد يدور في بالها أنكم- طابخينها سوا-، وأنها معتقدة بأنها بتتلاعب بك وأن المساعد بيسرق من إيراد المركز ويتقاسموا السرقة مع بعضهم لأنهم بيشتروا في كراهيتك لأسباب مختلفة، والحقيقة أنك باتباع هذا الأسلوب بتدفع لها مبلغ أقل بكثير من المبلغ المفترض لمساعدتها، وحجة المساعد أنه فشل في سرقة مبلغ أكبر خشية افتضاح أمره، وبعد ما يقسموا المبلغ سوا يرجع لك نصيب المساعد، والمسكينة تكون حصلت على تقريبًا لا شيء! والمرحلة الأخيرة حتكون

اتهامها بالسرقة وضياع حياتها ومستقبلها ده بفرض أن تبقى لها مستقبل، لكن أنا بستغل رسالتني فرصة وبرجوك باسم كل ما هو أخلاقي، يكفي ما عانتته زميلتك من شبابها من أيام زمايتها لك في الجامعة إلى اليوم. يكفي استغلال. لا تحاول إيذاءها يا دكتور أيمن وإلا فزميلتك لن تكون وحدها بل سأكون أنا معها... أقف إلى جوارها وفي صفها، وأنت خير من يعلم معنى وجودي إلى جانب شخص ومساندتي له. أظن الرسالة وصلت، وأنت حر في مدى اعتبارها نصيحة أو تهديد.

وقمة الغرابة هي العلاقة بينك وبين خطيب زوجتك السابق! ولكن قبل التطرق إليها، وجب التنويه لشيء لا يقل أهمية عنها، استراتيجية جميلة يا دكتور أيمن أنك فاهم ومستوعب بحكم تخصصك في علم النفس وبحكم طبيعتك الشخصية في المقام الأول أن ماضي الإنسان هو عدوه الأول، حتى لو كان إنساناً له ماضٍ جميل، لأنه محاولة تجميل صورة الماضي أكثر وأكثر ويمثل عبء وإرهاق على الإنسان لأنه يفضل شايء أنه على غير المستوى المطلوب، بالتالي أحب أستغل الفرصة وأطلق على حضرتك لقب، زي ما حضرتك أطلقت عليّ لقب المتعمق الغواص، اسمح لي أدعو حضرتك بالمتلاعب بالماضي، جعل خصومك يتورطون في الماضي أكثر وأكثر حتى يبتلع حاضرهم، حاضرهم الذي هو في الأصل امتداد لماضيهم. وعشان كلامي يكون أوضح، حنرجع لموضوع خطيب زوجتك السابق؛ لأنه أوضح مثال على مقصدي ..

خطيب زوجتك السابق هو إنسان مهزوم في معركة أو منافسة قصادك، معركة لو كان انتصر فيها كانت غيرت شكل حياته بأكملها، لكنه فشل بسبب ظهور منافس ألا وهو حضرتك، هو بالنسبة لك ماضي، ولكنك بالنسبة له حاضر، هو يستغرق في التفكير في المواجهة معك كل يوم تقريباً، هو إنسان غير متسامح مع ماضيه رغم اعترافي أن التسامح مع الماضي والذكريات يتطلب قوة ومستوى معين من الرضا بالحاضر يفشل في الوصول إليها الكثيرين، لذلك خطيب زوجتك السابق، يستمر في رواية قصته معك كموضوع ثابت بصورة شبه أسبوعية في أحد الأندية الاجتماعية التي يرتادها لدرجة أن أغلب المحيطين به استمعوا إلى قصته معك مرات عدة .

السؤال : كيف استطعت يا دكتور أيمن تحويل قصتك معه إلى ماضي؟ وانتزعت منه أي رغبة في منافستك من جديد؟ الإجابة تتلخص في خدعة نفسية وحيلة قديمة جداً، تدعي "شهادة التقدير" .

خطيب زوجتك السابق هو أسير وحييس مرحلة عمرية وزمنية معينة توقف نضجه عندها، مرحلة الشباب والدراسة الجامعية؛ لأن ما تعرض له خلالها كان بمثابة حاجز منعه من الاستمرار في تكوين نضج الشخصية، بالتالي هو بالفعل غير ناضج وهي حقيقة، وفي مرحلة الشباب والجامعة، التقدير المعنوي سيكون أهم من التقدير المادي، بمعنى أنه لو خيرت الشاب بين الشهرة والنجومية والمال كسيولة حيثار الشهرة والنجومية، لو خيرته بين تصفيق زملائه له أو أن يكون ميسور مادياً، حيثار التصفيق، لو خيرته بين أنه يتكتب اسمه على رواية أم أنه يحصل على أضعاف أرباح الكتاب في مقابل أن الرواية تنسب لآخر، حيثار وضع اسمه ويضحى بالمال، طبعاً بتكلم على الأغلب الأعم، و لكل حالة استثناءات ، وخطيب زوجتك كل ما يحتاجه هو شهادة تقدير. ورد اعتبار. وشبه اعتذار واعتراف بحقه، ولا يمكن شراء هذه الأشياء بالمال، فتخيل حضرتك أن مصدر شهادة التقدير ورد الاعتبار والاعتذار سيصدر من إنسانة هي الوحيدة القادرة على إشعاره بكلماتها أنه انتصر عليك للأبد ! مرة أخرى يا دكتور حضرتك بتعتمد على إيهام خصمك بكونه المنتصر وبتعتمد على تصدير الشعور الزائف، عن زوجتك الفاضلة مدام نرمين أتحدث .

يعني باختصار حضرتك استشعرت القلق من ترديد خطيب زوجتك السابق لقصته معك، خصوصاً إنك أصبحت شخصية مشهورة إعلامياً واجتماعياً، وهو بحوزته أسانيد قد ترفع مستوى مصداقية حديثه الموجه للناس، مثل أنكم تخرجتم في دفعة واحدة، تخرجتم بتقدير متساوٍ، كونه خطيب زوجتك السابق إلخ. بالتالي لا يمكن اعتباره مخرفاً أو هازل بالكلام أو إنساناً يهذي، لذلك . حضرتك قررت تهديه شهادة تقدير وبها ينتهي الأمر حضرتك سمحت لمدام نرمين بمقابلة خطيبها السابق تحت إشرافك، في ذات النادي الاجتماعي عدة مرات متتالية، وإنها تبدأ بالسلام عليه، طبعاً كانت مفاجأة بالنسبة له، وقعدوا شربوا قهوة مع بعض، وسلمته شهادة التقدير، في الحقيقة الرجل كان على وشك البكاء من شدة التأثير برجوع الحق لأصحابه، يعني بمجرد ما سأل مدام نرمين عن أحوالها وأخبارك. بدأت هي تتلوا سيناريو حضرتك لفته لها بأن الحياة معاك صعبة، وأن أخطاء مرحلة الشباب كانت هي الدافع لارتباطها بك، وأن شغلك واخذ كل وقتك، ووصلت لمرحلة في الكلام أنك مش ابن أصول، وأنتك وصولي وانتفاعي، وأن لو عاد بها الزمن كان محال تختارك أنت وتركت بسكوتها مساحات ملاًها خطيبها السابق بأوهامه وأحلامه بحيث إنه متبقاش قالت كلام يحسب عليها كسيدة متزوجة، وفي نفس الوقت ترضي غروره، واستمرت المقابلات حوالي أسبوع، وعدد لا بأس به من أعضاء النادي الاجتماعي شافوهم مع بعض وأنا كنت من ضمنهم، وأول ما مدام نرمين بتمشي، بيقتعد هو مع أصدقائه في منتهى السعادة والفخر وعزة النفس يقول لهم إنها بتندم على اختيارها لك في الماضي ، طبعاً وحيث إن مدام نرمين

متعرفش شكلي. فمروري بالقرب منها لا يشير أي مشكلة، خصوصًا أنها بتكون حريصة أشد الحرص على تنفيذ أوامر حضرتك لحد ما تبتعد مسافة كافية عن خطيبها السابق، مما أتاح لي الفرصة سماع كلماتها في التليفون المحمول ل حضرتك، وهي بتقول لك ما معناه أن "كله تمام" وبتقول لك ردوده على كلامها عشان حضرتك تقيمه نفسيًا، للحظة افكرتها بتخونك. لكن فوجئت بأن المسألة كلها تمت تحت إشراف حضرتك، وبعد أسبوع مدام نرمين وضحت لخطيبها السابق بأنها شكت في كونك على علم بمقابلاتهم، وأنهم لازم يتوقفوا عن اللقاءات. فتحول خطيب زوجتك السابق من مجني عليه في نظر نفسه إلى جاني يحاول الاختباء منك، نفس الحركة مع زميلتك السابقة، بتخليهم يختبئوا منك بدل ما تختبئ أنت منهم. برافو، حقيقي برافو يا دكتور أيمن.

في نهاية جوابي أحب أوضح بأن كل ما سبق ليس هو مشكلتي الشخصية معك، في الأول وفي الآخر إحنا بنعيش في الحياة بقدر من الحرية بيؤهلنا أننا نختار ونتحمل مسئولية اختياراتنا، لكن مشكلتي معاك يا دكتور أيمن تتخلص في الآتي :

أولاً : أنت منتصر في معركة الحياة، باستخدام أساليب كانت بمثابة أسلحة معينة، في حين أنك جعلت مهمتك في الحياة أنك تعالج جرحى هذه الحرب "معركة الحياة" والفاشليين والخاسرين بها بأنك تعتمد على فكرة إنكار وجود المعركة عبر إبهام المضطرب بعدم وجود المعركة من الأساس، أو أنك توهمه بأنه المنتصر، وفي الحالتين يشعر بالرضا عن نفسه وحياته ودينته. وطبعًا استخدام الوهم في العلاج بيصنع موهوم والموهوم هو إنسان يحتاج للعلاج .

ثانيًا: كلنا بنحب شكل الجنانين والبساتين، حدائق واسعة غناء شكلها يجلب البهجة والسعادة. لكن هل لو شوفنا دودة الأرض ماشية فيها جنبنا، حيكون شعورنا إيه؟ أكيد حنشعر بالتقزز مهما كان المكان جميل، ناهيك عن مرضى الخوف من الحشرات، ممكن لو شافوا حشرة يسيبوا المكان ويهربوا منه أساسًا، وأنا واحد منهم بالمناسبة، لكن الحقيقة أن الأرض من غير دودها تموت، لأن حركة الدودة في الأرض بتصنع فتحات تهوية وتخلي الأرض تتنفس، والحشرات ليها دور كبير في نقل حبوب اللقاح من وردة لوردة ومن غيرها ممكن الورد يذبل وينتهي - هو ده الفرق بين الحياة زي ما إحنا عايزين نشوفها ونعيشها من جهة، وبين الحياة زي ما هي في الحقيقة وبدون تصورات أو تجميل من جهة ثانية .

يا دكتور أيمن المضطربين في مركز عند حضرتك يتحملوا جزء من المسؤولية في كونهم مضطربين، إلا من رحم بي طبعًا، أصل أنا اتكلمت معاهم بصفتي زميل، فكانوا بيتكلموا براحتهم على الآخر، حاملين شعار لا-تعايرني ولا أعابرك - ، في الأغلب الأعم هم ناس اتضح لهم الفارق بين الصورة المرسومة للحياة في أذهانهم - والصورة الحقيقية للحياة، فاضطربوا، أغلبهم عايزين حياة تفصيل ، لأن الحياة الجاهزة تتعاش في التو واللحظة غير مناسبة لهم بالمرّة، ولو كانت الحياة بتتعاش زي ما هم متصورين، يقولوا مش محتاجين مركز تأهيل وتدريب لكن محتاجين سوپر ماركت، يختاروا منه السلعة بحسب رغبتهم، مش مركز تأهيل يوهمهم بأن كل شيء على ما يرام، ما يرام وفقًا لأذهانهم ورغباتهم وأهوائهم، اللي هي في الأصل أوهام، أفكارهم اللي حبسوا فيها نفسهم هي السجن الحقيقي ، مش الحياة يا دكتور ...

ثالثًا: دكتور أيمن السعادة الحقيقية هي بمقدار معرفتنا بحقيقة الحياة وقبولنا بها، وبقدرتنا على أننا نعتزف بها، صدقني أنا عارف أن في اللحظات الخاصة بينك وبين نفسك حضرتك عمرك ما بتكون سعيد، الفرحة المزورة بتخفي الفرحة الحقيقية، وأنا لما ذقت طعم الصدق بيني وبين نفسي عرفت أن من حلاوته طعمه يبسبب الإدمان، أنا أدمنت الصدق يا دكتور أيمن. وأدمنت مشتقاته اللي دائمًا كلمة حقيقي وحقيقية بتيجي بعدهم، الفرحة الحقيقية، السعادة الحقيقية والإخلاص الحقيقي لكل وأي قضية يكون الإنسان مؤمن بها، أرجوك حاول تساعد الناس بالحقيقة، ولو في يوم جالك ناس بتشترط عليك تكذب وتناقض مقابل شفائهم لازم تبعد نفسك عن أمثال هؤلاء لأنهم لازم يصارحوا أنفسهم قبل ما يفكروا يصارحوا حضرتك .

تعليق السمسار البوسطجي على رسالة إلى معالجي النفسي

دون أدنى اندهاش، بإمكانني التعليق والقول إن الرسالة برمتها هي عبارة عن نوع من السرد الفضائحي لا أكثر ولا أقل، وتنتهي بهذا السطر المسألة برمتها. لكن نحن بصدد اثنين مضطربين، أحدهما تقمص شخصية معالج بينما الآخر استكبر على نفسه لعب دور المحتاج للعلاج .

المتعمق الغواص شخص رفض ذكر اسمه واكتفى بلقبه المكتسب من خلال فترة علاجه النفسي بأحد مراكز التأهيل النفسية، ببوجه رسالة شديدة اللهجة لمعالجه النفسي السابق، وبالرغم من محتواها إلا أنها جاءت خالية من ألفاظ السب! بطبيعة الحال لسنا في مجال محاكمة النوايا، ولكن درجة الصراحة المفرطة بين شخصين إذا تجاوزت خطوط معينة قلما يكون تجاوزها تم لسبب تافه، بالتالي أعتقد أن المتعمق الغواص هدفه لم يكن الإساءة في حد ذاتها .

في الحقيقة لما قرأت رسالة المتعمق الغواص، شعرت بأن الرسالة الأولى "الحب وتعدد الشخصيات" كان المنظور النفسي بداخلها أكثر بساطة وتلقائية وسلاسة لكن في رسالة إلى معالجي النفسي، أنا حاسس أن الأمور ازدادت صعوبة على مستوى النفسي؛ لأن المتعمق الغواص ومعالجه المذكور باسم الدكتور أيمن هما شخصيات تطلعية ووصولية، بالتالي حياة الإنسان العادي، ذات الاستقرار والهدوء النسبي، لا تعني لهم شيء ولا تناسبهم، بدليل أن المتعمق الغواص أصيب بتعب نفسي جراء صراعه في الحياة، والدكتور أيمن وهو ليس أفضل حالاً وهو في نظري ليس إلا شخص يحتاج لمساعدة نفسية بالفعل ومكانته الاجتماعية تمنعه من طلبها لأنه المفترض في وضع يجعل الناس هي من تطلب منه المساعدة وليس العكس، الدكتور أيمن انتحل تاريخ مزور بصورة أب وأم وبينهما طفل، والثلاثة لا علاقة لهم به! ورغم رمزية الإشارة إلا أنه إن دلت تدل على فبركة واسعة النطاق وفي مجال عملي كسمسار لو اكتشفت بطريقة ما وجود بائع أو مشتري يمارس هذا القدر من التدليس، حوقف الصفقة لأنني لا آمن على نفسي أن أتعامل مع شخص بهذه الصفات، بمنتهى الصراحة، يعني حتى المعاملات التجارية إذا لم تكن قائمة على فكرة الثقة والضمان والائتمان، تغور وبلاها أحسن .

أنا شخصياً بتوجه بسؤال تعبيرى للأستاذ الملقب بالمتعمق الغواص، هو حضرتك كنت متوقع وفاكر الحياة بأنها صورة وكيفية؟ وتوجه بسؤال آخر للدكتور أيمن: ليه بيعول كثيرًا على إظهار ماضٍ مصطنع أمام مرضاه؟ إيه هو الرابط أو اللغة

المشتركة بين المعالج ومرضاه؟ أولم يكن يكفي إظهار قدراته المهنية والعلاجية بدلاً من فبركة طفولة وماضي بأكمله والاعتماد على العلاج بالإيهام أو بالكذب إن صح التعبير؟

اعتقد أن إجابة السؤال عند المضطربين أنفسهم، أوقات لما بنحتاج لنصيحة أو مساعدة، أو حتى معلومة نستفيد بها في الحياة، بنحتاج معها غلاف يغلفها ويكون مقبول لدينا شكلاً، رغم أن مفروض الشكليات عكس جوهر الأشياء وجوهر الأشياء هو أهمها، لكن بكل أسف شكل النصيحة وغلافها وطريقة تقديمها وتنسيقها يبشكّل حوالي 50% بما يعادل النصف من قبولها، ويبدو أن هناك أناس تلقفوا طرف الخيط، ونسجوا حول أنفسهم قصصاً وأساطير حياتية لا وجود لها إلا في أذهانهم وأذهان المتلقين للوهم. فكان ما كان، وأصبح المعالج النفسي مطالباً على غير أساس وبغير حق من قبل المتعاملين معه بضرورة توافر صفات به لا علاقة لها بمهنته أو كفاءته، وإنما يطالبه محبو الوهم بأن تتوفر فيه صفات الرجل الذي لم يصادف مشكلة واحدة في حياته، وهي مواصفات غير آدمية ولا تصلح لبشر، وكأنهم بيعشوا برسالة للمعالج النفسي مفادها أن يكون عاش الحياة التي نود أن نعالج نفسياً كي نحياها، بل هي ذات الحياة التي أصبحنا مضطربين نفسياً لأننا لم نحياها! بغض النظر عما إذا كانت موجودة في الواقع أم أنها حياة محض خيال!

الحياة الوهمية، ذات الحسابات الدقيقة بالورقة والقلم، حياة حتى شكل السحاب بها كالرسومات الكرتونية والطرق بها دائماً ممهدة، لا أصوات ضوضاء وإنما عازفين بارعين لكل الآلات الموسيقية هي الوهم ذاته، وعموماً، بالفعل رسالة المتعمق الغواص كانت مرسلة على عنوان كان يخص مركز تدريب وتأهيل نفسي، إلا أن المركز أغلق أبوابه منذ حوالي العام ومنطقيّاً لن يغلق المركز أبوابه وهو ناجح وذائع السيط وله جمهور ورواد، أعتقد أن ملاحظات المتعمق الغواص أدركها كثيرون لدرجة أن ذلك الملقب بالدكتور أيمن لم يجد من يمارس الوهم عليه! أو ربما تراجع اقتناعاً بكلمات المتعمق الغواص حتى قبل أن تصل إليه .

مرة و أثناء فترة التفاوض مع صاحب الشقة لشرائها، قابلت رجل طويل القامة نسيّاً، نحيل، يرتدي نظارة ويبدو حاد الطباع بعض الشيء، كان ينقل محتويات من الشقة إلى سيارته الخاصة، بينما تتكفل سيارة نقل مفروشات كبيرة - سيارة نقل - بنقل الأثاث وخلافه، أسلوبه كان أسلوب الهاريين، سريع الحركة ودقيق الأفعال، حريص على الوقت أكثر من أي شيء آخر، وبالفعل صاحب العقار صرح لي بأن هذا الشخص هو المستأجر القديم، لكن عدم رغبتني في

السماار البوسطجى - برىء كان مسءعءل

الأسءفسار عما لا ىءصنى ءرمءنى السؤال عن سبب ءركه للشقة؁ لكن بعىءًا عن أى ءفسىر أو ءءمىن؁ أءءقء أن ءءاة ملىئة بأءر من مءعمق ءواص واءء؁ وىوءوءهم ىصعب رسم الأوءام.

الرسالة الرابعة :

الزوج الثاني .. منتصر مهزوم

المرسل : إيهاب

المرسل إليه : نجوان

نجوان، وحشتيني قوي أنت والبنات. مش حقدرو أوصفلك طعم الدنيا من غيركم لأن مافيش حاجة في الدنيا لها طعم من بعدكم، ساعة بساعة بتفوت، ويوم بييجر يوم، وبكتشف أن عمري هو فترة حياتنا مع بعض، لسه فاكر لما البنيتين كانوا يلعبوا بصوت عالي وأنت تحاولي تسكتيهم بصوت أعلى منهم، فأصحى على صوتك من النوم ولعب كلنا مع بعض وأتريق معاهم عليك، ساعتها صوت ضحكنا وفرحنا كنت بحسه أحلى من أحلى موسيقى، مهما عشنا وشوفنا ثاني عمرنا ما حننسي أجمل أوقات عمرنا، وعمر ما روح ذكرياتنا حتسكن ذكريات ثانية أبداً .

إحنا الناس كانت بتحسدنا على أننا لاقينا بعض، كام مرة الناس ترفض تصدق أني مش والد البنات وأنني زوج أمهم؟ وآخر كلمة بيني وبينك قبل الطلاق كانت أني بترجاك متحرمينش منهم، لكن الظاهر أني مهما كنت أتكلم مكنش حيفيد والظاهر أن الموقف عندك بيتحسم بصورة نهائية لدرجة أن أي كلام مهما كانت معانيه بيكون عندك وكأنه كلام بعد فوات الأوان .

أوعي يا نجوان تفتكري أني بكتب رسالة أظهر من خلالها بمظهر الملاك البريء بالعكس. أنا بطمئنك من أولها أنها رسالة اعتراف بكل أخطائي، لأنني كدبت عليك لما قلت لك أني صريح معاك، بالعكس يا نجوان، أنا عمري ما كنت صريح، لا معاك ولا مع غيرك، نجوان أنا بخبي عليك من ثاني يوم زواج، والسبب كسوفي وخجلي منك، أنا فعلاً خنتك لكن مش مع غيرك. إنما مع نفسي، وأخطائي أنا دفعت إليها دفعا، وعمرها ما كانت اختياري، أنا قررت أعترف لأنني تعبت من كل حاجة، ولّي رجاء لو كان قلبك قابل مني، احتفظي برسالتني وخلي البنات تقرأها لما تكبر عشان يعرفوا

أن بابا إيهاب مكنش راجل وحش، لكن إيهاب اتظلم من الدنيا كلها، ومن أمهم بالذات، مع أني مسامح. مسامحك من كل قلبي .

أنا من أول يوم جوازنا وأنا عقلي كان حينفجر من كثر التفكير، الناس مبترحمش يا نجوان، الناس في منتهى القسوة ويمكن أكثر مما تتصوري، خصوصاً مع زوج الأم، أو الزوج الثاني، الناس متأثرة بأفلام كانت بتتفانى في إظهار زوج الأم بمظهر الرجل المتوحش القاسي معدوم القلب والضمير والقذر أحياناً ! لدرجة أن أوقات كانت صورة زوج الأم أشد إجراماً من صورة زعيم العصاة في ذات الفيلم !

يجوز فعلاً موجود ناس بتنتمي لنوعية رجال يستحقوا تصوريهم في شكل وحوش آدمية، لكن. وحياة بناتنا عندك ، هل أنا أتحمّل عليكم حتى ولو نظرة عدم رضاء في عيونكم؟ حتى أنه مرة واحدة من البنات كانت بتعيط ولما فشلت أعرف سبب زعلها قعدت أعيط زيتها قدامها لغاية ما البنت سكتت من كثر استغرابها مني وإزاي أنا راجل كبير وبعيط كده، وفي الآخر طلعت زعلانة منك أنت ! أنا حتى لسه فاكر يوم ما زميلتي في الشغل نهى بنت خالك، قالت لي أنها جيالي عروسة، ولما لاقنتي متحمس قالتلي العروسة أم لبنتين! أنا فرحت وقلت أخيراً ضامن أني حرتبط بإنسانه عندها حاجة تخاف عليها، وكمان جربت وذوقت طعم الفشل مرة وأنا عارف أنها مستعدة تعمل المستحيل عشان متخوضش! تجربة فاشلة لثاني مرة لكن الناس، وآه من الناس، نظرات عيونهم. وشوشتهم. الهمز والغمز واللمز أبشع أدوات تعذيب ممكن إنسان يتخيلها. ولأول مرة اعرف طعم الأضطهاد لما اكتشف أن معنى كلمة أني زوج أم، هي تهمة وإدانة لحين اثبات العكس وصلت ببعض الناس لما يعرفوا قصة زواجنا يسألوني عن آخر شخص مفروض يكلموني عنه. طليقتك! وتقريباً لغتهم المنحطة كانت بتحاول الوصول لكلمة طليقتك - بلا جدوى، فكانوا بيسموه بأسماء نطقها لوحده كان كفيلاً بأنه- يشعرنى بالعذاب، جوز مراتك الأولاني، ابو البنات، الرجل الأول، صاحب البيت مع ان كلمة طليقتك مراتك سهلة مش صعبة وهي الأصدق والأصح لغويًا بالمناسبة، لكن الظاهر أن تعذبي كان ممتعاً لدرجة بتجعل الآخرين يتمادوا، وأنت منهم يا نجوان، طبعاً كنت بكتفي بنظرة استحقار واتعمد عدم الرد، لكن فيما يتعلق بمسماي - صاحب البيت - يقصدوا شقتنا، كنت عايز أقول لهم أنها شقة إيجار الأستاذ طليقتك متوقف عن دفع إيجارها بعد انفصالك عنه بأسبوع ! يعني هو شخص آخر اهتمامته بناته عايشين فين، الحمد لله أن الحياة اهدتني فرصة أكون فيها أب مخلص وصادق، وأراعي أنا

البنات ولما يكبروا هما اللي يقرروا ويحكموا مين أبوهم ومين الغريب عنهم، وأنا حرتضي حكمهم مهما كان، لكنك حرمتيني من مشروع حياتي، وخرج وأقول لك مسامحك .

كنت بحس أن الناس بتتعاطف مع طليقتك لدرجة أنهم بيعتبروني لص. سرقت أم بناتها من أبوهم، بدون ادني معرفة أو دراية بظروف انفصالك عنه، الحكم صدر ومن غير المنتظر تبديله أو تعديله، شوفت بعيني مواقف خلتني أسأل نفسي عن مدى منطقية الحياة! واكتشفت أن المنطق علم مزيف، لأن البشر أبعد ما يكونون عن المنطق.

فاكرة لما والدة زميلة سمر بنتنا طلبت منك أنهم يقطعوا علاقتهم ببعض - سمر وبناتها - لأنك متزوجة واحد غير أبوها؟ راجل غير اللي اسمه بيتنادي عليه في الفصل وهما بيقلوا ألقاب التلاميذ؟ وكأن وجودي في حياتك أنت والبنات عار مثلاً!

فاكرة لما صاحب الحضانة رفض يسلمني بنتنا رضوي رغم أنه عارف أنني زوج امها ورغم أنني بوصلها كل يوم ومديرة الحضانة بتتسلمها مني شخصياً. بحجة أنني غير مؤتمن عليها! ويومها اتصلوا بيك في الشغل مخصوص ولما قلت لهم أنني جوزك أصروا على حضورك شخصياً! وسمعت مديرة الحضانة بتحاول تفهم صاحبها الوضع، وسمعتة بوداني يقولها عني، حيفضل غريب!

الناس إلا من رحم ربي، بتعتبرني حجر أو عقبة في طريق رجوعك لطليقتك المزعوم! وبيتحولوا لمؤلفين سينمائيين، بيتخيلوا طليقتك إنسان تائب وراجع للصواب، ساعتها لو أنت تقبلتي اعتذاره، يتحول هو في لحظة لأولي الناس، بطليقتة وبناته، طب وأنا؟

أنا وبلا فخر . سد خانة. ملئ فراغ. شخصية هامشية. دويلير. وجميع الألفاظ السابقة أنا وصفت بها فعلاً والناس لم تجد حرج في وصفي بما هو العن وأضل لكن كنت بقدر أتحمّل، ومتسألنيش كنت بتحمّل إزاي لأنني فعلاً أملك إجابة.

أغلب كلام الناس كان بيدور حول فكرة أن ارتباطك بيّ، هو من ضرورات الحياة أكثر من كونه اختيار. يعني اختيار بالعقل أكثر من كونه بالقلب، بمعنى آخر ، أن لو رجعت بيك الأيام ووقفت أنا وابو البنات قصادك حتختاري ابو البنات. في الحقيقة معنديش ادني فكرة عن مصدر قناعاتهم اليقينية بكلامهم، لكن كانوا بياكدوا أن علاقتنا خالية من الحب، بدليل تمسكنا بكلمات على شاكلة الاحترام المتبادل، الود والألفة، العشرة. يعني استخدمنا بدائل الحب لوجود حساسية مفرطة من كلمة حب في حد ذاتها طبعًا، كلامهم مردود عليه بأحاساسي أولاً . وبفكرة أنك أم لطفلتين لعبتي فترة معاهم دور الأم والأب في وقت واحد، وموقعك بيحتم عليك حرمان نفسك من حاجات لا تعد ولا تحصى واولها الحب الطائش أو فكرة الطيش عمومًا حتى لو كنت محرومة من العاطفة بكل صورها في حياتك قبلي. لكن عمري ما كنت حدافع؛ لأنني مش شايف أننا أساسًا في موقف دفاع أو إنهم كانوا بيوجهوا لنا اتهام صريح، ولا كانوا يقدرنا طبعًا .

لكن مع الأسف، الكثرة تغلب الشجاعة، وثقتي في نفسي ضاعت، أصبحت بتسأل عن شخص واحد، وهو طليقك، حيث أن الناس ربطوا مصيري بمصيره من اول يوم ، ييقي عشان أقدر اعيش مرتاح كان لازم أشوف شريك في الحياة اعيش إزاي، لازم ادور عليه وأرصد كل تصرفاته، لازم اعرفه حق المعرفة كأني عارف نفسي، لأن نفسي، وحياتي، ومراتي، وولادي، ممكن في لحظة يضيعوا، بحسب كلام الناس لو فكر أنه يرجع لك، وأنا مهما كنت إنسان بعتبر نفسي كويس، إلا أنني مستحيل أعيش حياة وأنا تحت رحمة طليق زوجتي. وهاجسي الأكبر والأوحد أنه يفكر يرجع لها ويلم شمل العائلة من أول وجديد! عنوانه كان سهل الوصول إليه، صورة بطاقته الشخصية موجودة في ملف تقديم المدرسة لبناتنا. نقلت العنوان وكل يوم كنت بقول لك حتأخر في الشغل كنت بكذب عليك، كنت بيقى قاعد اراقبه، أنا بزعم أنني ذاكرت هذا الشخص شكلاً وموضوعاً. يعني الحقيقة أنا بزعم لثاني مرة، أنني اعرف عن هذا الشخص أشياء هو شخصياً لا يعرفها عن نفسه. أنا عارف أنك مندهشة ومتفاجئة، لكن حاولي تتقبلي الموضوع لأن بشكل أو آخر أنا فخور بتصرفاتي. ومتسألنيش ليه ! ،يمكن عشان من صغري ثبر الأغوار هدف عندي في حد ذاته، سؤال واحد كنت بحلم اعرفه، سبب انفصالكم كان إيه؟

طبعًا شخص مدمن جلوس على القهوة بما قد يتجاوز ١٢ ساعة يوميًا وبيصرف مليء مادياً يعني. صحيح متمسك بقميصه المقلم وتقريبًا مبيغيروش بالأسبوع، لكن عرفت فيما بعد أنه مظهر بيستخدمه عند اللزوم، الغريب أنني كنت

مصر العب بمشاعرك واحاسيسك شوية يا نجوان، يعني إذا كانت كرامتي كراجل عمرها ما حتسمح لي اسألك حبيتي مين أكثر أنا ولا هو. فمممكن احصل على الإجابة بصورة غير مباشرة عن طريق بعض التصرفات ..

التصرف الأول : لما قلدت قصة شعره .

أنتِ طبعا عارفة أن له قصة شعر مميزة بمعنى غريبة، ورجعت البيت بتعامل واتصرف عادي، في الأول لاقيتك بتصرفي عادي، لكن لفت نظري عدم انتباهك لتغيير شكلي عموماً. لحد ما لفت نظرك وإحنا بتتغدي أنا وأنتِ والبنات، ورد فعلك كان أنك سرحتي ثانية وقولتي نايس نيولوك ! وخليتي البنات يقولوا لي نفس الجملة .

وقتها كنت عايز أقول لك أنا عارف أنت سرحتي في إيه. وإجابة السؤال اللي سألتيه لنفسك في خيالك أنه: لا طبعا مش صدفة أن تبقى قصة شعري هي نفسها قصة طليقتك. لكن الجميل، أني ملمحتش في عيونك أي سرحان أو شرود ذهن، ولا حتى نظرة حزن أو حنين أو اشتياق للماضي، ولما كنت حظلمك وافتكرتك سرحانة فوجئت أنك عاملة كمين لبنتنا رضوى لأنها كانت عايزة تشرب مياه أثناء الأكل وده طبعا ممنوع لأنك بتتبني نظرية أن الشرب أثناء الأكل بيسبب الكرش، مع أني أنا أساسا راجل بكرش. لكن أنت لا تعترفي بأي استثناءات ... وحتى تحكيماتك وحشتني .

التصرف الثاني : الشطرنج .

الأغلبية من رواد القهاوي بتفضل لعب الطاولة على الشطرنج ، لأن الشطرنج بحره واسع وبيتطلب تركيز مستمر، والناس وأنا شخصياً منهم بتبقى نازلة القهوة تسترخي وتفك عن نفسها شوية، لكن طليقتك بيتباهى بأن مستواه في الشطرنج مستوى محترفين، بالتالي مشهور على القهوة بأنه متعصب للشطرنج ورفضه التام للطاولة .

لما رجعت البيت يومها وأنا شاربي شطرنج. لمحت عيونك وكأنها عايزا تسأل هو إيه اللي بيجري ؟ هو ليه جوزي بيتحول لطليقتي تدرجياً؟! لكن طبعا تسأولاتك كان متحضر لها إجابات منطقية، فأحسن أنك مسألتيش ووفرتي عليا الكذب، يومها قلت لك وأنا بشاور على الشطرنج " تعرفي تلعب شطرنج " ؟ رديتي بصوت متغير وبتفادي تبصي فعيني.

"على قدي. ملعبتوش من زمان " .. ولما عملت نفسي مستغرب وسألتك مين علمهولك ؟ جاوبتي : والدك الله يرحمه صحيح هو مش والدك، لكن مقدرش اعتبرك كداية لأنني أنا اللي دفعتك للكذب وشتان بين الكاذب المجبر، والكاذب بأختياره ومحض إرادته. على الأقل من وجهة نظري .

التصرف الثالث : الاهتمام المفاجئ بالسيارات وصلات الرياضة .

أكيد الزوجة يكون لها رأيي في أي حالة بتنتاب زوجها، لكن فكرة أنني أتحوّل من إنسان تقليدي والسيارة بالنسبة له مجرد وسيلة مواصلات لإنسان حريص على شراء سيارة للتباهي هي علامة فارقة في تاريخ علاقتنا الزوجية، وقدرت امتص موجة غضبك واتهامي بالأسراف والتبذير لأنني طبعًا كنت متوقعها ومحضر لها بأني حريص على ظهورك والبنات بمظهر اجتماعي معين، وان المظهر بيندرج تحت مسؤولياتي كأب وزوج، وان المظهر حينعكس على المستوى الاجتماعي لأسرتنا .

عايزة الحق؟ أي كلام .. أنا كنت بقول أي كلام، ومن داخلي مؤمن بأن الإنسان إذا تمسك بالمظهر على حساب الجوهر بيتحوّل لأرخص من أرخص معدن. لكن إذا عرف السبب بطل العجب. وأنا كنت شاهد على كل مرة حاولتي تضحكي فيها على نفسك وتخدعي روحك بأن كل التشابهات بيني وبين طليقك هي صدفة وبأن الرجالة عمومًا ميالين لأهتمامات مشتركة ومتشابهة فيما يخص صالات الرياضة والحديد. الظاهر أن حجم التشابه بيني وبين طليقك فاق الأهتمام واقفدك القدرة على النطق كمان، لأنك لما استغربتي موضوع الرياضة والحديد رديت وقلت لك " نفسي ابقي أحلى في عينك"، رديتي عليّ بصوت مكسور "أنا حبيبتك زي ما أنت"، ساعتها من غير ما أحس رديت بعنف ومن غير قصد وقلت لك "يعني لو كنت قابلتيني زمان كنت حبيبتني بشكلي ده "؟ بعدها فضلنا حوالي دقيقة عيننا بتبص لبعض، لكن لا كنت حقدر أقول لك حاجة، ولا عمرك حتقدي تقولي لي حاجة. لكن وصلنا إلى فكرة أنك اصبحتي عايشة مع نسخة طبق الأصل من طليقك في البيت .

استغفرتني تقبلتك للوضع. استغفرتني استسلامك وتصديقك لنفسك بأن كل المستجدات عبارة عن صدفة، استغفرتني بأني طول ما أنا أب كويس. يبقى كل الأمور بسيطة وبخير، حتى لو قصرت في حقك كزوجة وحببية، مع الأسف حسيت

بنوع من الأهمال والا مبالاة منك اتجاهي. والظاهر أن مجهودي في معرفة سبب انفصالك عن طليقتك كان متواضع. وأنا متمسك بمعرفة الإجابة، بالتالي، الحل المتبقي كان هو الدخول في علاقة مع طليقتك نفسه جنون بلا حدود. أنا عارف في الحقيقة كان عندي أكثر من مدخل، لكن فكرة أنني أزعق على القهوة وأشتكي بصوت عالي من أن الصبي نزلي طاولة بدل شطرنج كانت مدخل مقبول، خصوصاً أن لاعبة الشطرنج بسبب قلة عددهم نسبياً يقابلوا بعض كأنهم اهل. وبالفعل قدرت اقبله واتعرف عليه. وطبعاً استخدمت جملة مشهورة يا رجاله! مين يلعب شطرنج والمشاريب علينا!

وبعد ما اتعرفنا على بعض كويس، طلبت منه دروس خصوصية بعد ما شكرت في مستواه كلاعب. وهو ميقولش على الفلوس لأ. صحيح قلت له أن اسمي ناجي وكذبت في كل بياناتي. لكن أهم شيء بالنسبة له هو لتأؤنا على القهوة.

أنا نجوت من الجنون بأعجوبة يا نجوان. كنت بقتي قاعد قصاده وعمال اسئل نفسي في سري. هو ده اللي ممكن تكوني حبيته؟ وأول ما عيني تيجي في عينه ويضحك ضحكته السخيفة المصطنعة اعمل نفسي ببادله الضحك. واعمل ال إيه سبب ابتسامتي هو اعجابي بمستواه في الشطرنج، ياخي جته ستين خيبة، مش حافظ غير خطتين بيبدل ماينهم وفاكر نفسه بطل، المهم علاقتنا اطورت شوية كأصدقاء. وبقيت أخليه يغلبني دور شطرنج وأعمل نفسي تعبت ونتكلم في الحياة العامة. حكى لي الموضوع كله، لكن الغريب في كلامه أن حكى الأمور بمنظور أقل رومانسية وخيال من اسلوبك في الكلام عن قصة زواجكم. يعني عرفت أنه مكنش زميلك في الكلية. إنما كان زميلك في الجامعة. واتعرف عليك عن طريق واحدة صاحبتك. حكى لي أن أهلك كانوا ماديين وانه كان حاسس بأنه يُستغل من أول يوم، وحكى لي كمان على أنه يفضل حياة العزوية وشوية كلام من هذا النوع، لكن السبب الحقيقي للانفصال ظل مجهول، ما هو أنا كان لازم اعرف سبب انفصالكم إيه، عشان لو سبب قوي بقتي علاقتي بيك في أمان، ولو ضعيف بقتي ممكن يستردك أنتِ والبنات مني! فهمتي خوفي كان عبارة عن إيه؟

ولكن لما سألتته بتشوف بناتك ولا لأ؟ وقلبي كان بيتقطع وأنا بقول إن رضوى وسمر بناته. قال لي أن من يوم ما طليقتته اتجوزت وهو ميعرفش عنهم حاجة - قالها بمنتهي اللامبالاة وهو بيشرب شيشة بحجر معسل. سألتته عرف منين أن طليقتته اتجوزت؟ قال لي من واحدة صاحبتك اسمها ابتسام. ساعتها قلت كويس أنك قطعتي علاقتك بها، مع أنني مكنتش عارف السبب، فضلتني تقولي أسباب متعددة والسبب الحقيقي طلع أنها جارتته وبتنقله أخبارك.

ولما سألته عن شخص يهمني. زوج طليقته. زوج أم بناته. ضحك وقال لي أن يعرف عنه معلومة واحدة بس وهي معلومة مؤكدة. أنه أكيد. مرتاح مادياً عنه! أنا توقعت منه شتيمة. حسد. حقد. غيرة. لكن مرتاح مادياً! يقصد إيه! أنك طمعانة يعني؟ يعني اللي مصبره على فراقك وأنه اتخيم فيك أنك ارتبطتي بواحد مرتاح عنه مادياً. لكن لو كان أقل منه. كان زمانه غيران. لكن ولأنه عارف أن حبك لي مش حقيقي. فهو عايش مرتاح البال. ويبضحك على المخدوع، اللي فاكر أنك بتحبيه. اللي هو أنا، لكن لما حاولت اتطرق لسبب انفصالكم، بداء يرمي لي كلام عام ويخوض في العموميات، يعني يقول مشاكل وعدم تفاهم واختلاف تربية. كنت ببقى عايز أقول له، وياتري اكتشفتكم كل الحقائق دي بعد ما خلفتوا بنتين! ولا هو اتفاق تم أثناء الانفصال بأن سبب الانفصال يفضل سر ما بينكم؟

قطعت علاقتي به بعد ما اخذت اللي أنا عايزة. حاول يكلمني كثير لأني كنت بدفع بسخاء نظير كل حصة شطرنج، لكن قفلت التليفون وبعدها لاغيت الخط، فأظاهر فهم أنني صرفت نظر عن الشطرنج وعن المعرفة كلها.. رغم أنني مقدرتش امتلك إجابة سؤالي الوحيد و السؤال الأهم في حياتي كلها ألا وهو سبب أو سر انفصالك عن طليقتك، سواء منه أو منك بعدين. إلا أنني بعترف لك أنني كنت إنسان غير ناضج، ولا أزال وإن كنت في طريقي للنضوج تدريجياً، كنت إنسان غير ناضج لما اعتقدت أن ممكن سبب واحد يكون كافي وكفيل بإنهاء علاقة بين اثنين. لكن أسباب بتتراكم وبتفتكرها بسبب تراكمها سبب واحد. بنقول أسم غبار. وتراب. وضباب. لكن مستحيل نقول بيتكونوا من كام ذرة، تمام زي العلاقة لما تنتهي، مستحيل نرجع النهاية لسبب واحد، لكن عشان الحاجز يتبني بين اثنين محتاج لألف سبب وسبب حتى لو اتجمعوا على هيئة سبب قوي أو مشكلة كبيرة بحسب تعبير أغلب الناس .

وكنت غير ناضج لما اعتقدت أنك كونك زوجتي بيديني الحق اكشف واهتك ستر علاقة زواج كانت بينك وبين غيري. وأعرف أدق تفاصيلها سواء الجوانب العادية أو غير العادية بالمره، كنت أقل نضجاً بكثير من أنني أفهم وأستوعب فكرة أن حفاظك على أسرار كنت مؤتمنة عليها بحكم كونك زوجة سابقة لن تتغير بإنهاء الزواج أو بزواجك من شخص ثاني، عارفة ليه؟ لأنك بنت اصول يا نجوان. بنت ناس. أنا غيرتي من طليقتك وخوفي من رغبته المحتملة في أنه يسترد ويسترد البنات خلتنى أعمى. خصوصاً أنني شايف أنني أولى بيكم منه، وحاسس أن كل الدنيا ضدي.

كان لازم أصب جام غضبي على حد، شحنة وكان لازم تتفرغ، لكن آخر حاجة كان ممكن أتصورها أن أحب الناس لقلبي يكون مجال لصب نار غضبي واحقادي، كنت بتهمك كل اتهام وأنا عارف أنك بريئة منه، بخيرك بين خيارين وأنا من جوايا بنهار نفسيًا، بخيرك إما أنك تكلمي معايا، أو تصارحيني بسبب انفصالك عن طليقتك، ومُصر أنني اطلب منك توضيحات سخيفة تمس تفاصيل حياتك معه. تكلميني عن أن وضعك كأُم للبنات ووضعه كوالدهم يمنعك من البوح، أصر أكثر على رأيي، تكلميني عن أنك مش في حل أنك تتكلمي عن أسرار بيت كنتِ مسؤولة عنه بعد ما تسببه، أصر أكثر وأكثر على رأيي، لحد ما جت آخر جملة بيني وبينك، لما سألتك سؤال أنا عارف أن لا طائل من وراءه، وسألت لو رجع بيك الزمن تختاري مين فينا ! سرحتي وقولتي أنك غير مؤهلة أو متخيلة الإجابة الصحيحة للسؤال، ساعتها قلت لك يبقى كل واحد منا في طريق! ودلوقتي أنا بصارك بأني لو رجع بيّ أنا الزمن، أنا اهون عندي اموت ولا أنني أخيرك أو أضغطك أو أهينك أو أتعبك، ميقاش أنا والدنيا والناس عليك، لكن الدنيا دي غريبة قوي. اتحولت مع الوقت لأكثر إنسان أنا بكرهه. إزاي؟! معرفش! بنتقم من نفسي ولا من الماضي ولا من الناس ولا منك أنت شخصيًا، فعلاً معرفش! الغريب! أنني بقيت معرفش حاجات كثير، والأغرب أن كلها عن نفسي لو كان فيه أمل للرجوع، إننا نرجع لبعض، وخايفة من تكراري لتصرفاتي، ابشرك خير، أنني فوقت وكأني كنت متعاطي مخدر أو مسكر، ولو على العقاب، فمفيش لا ابشع ولا اقصي على الإنسان من إحساسه أنه ضيع أغلى ما عنده، بأيده. ولو افترضنا أن الحياة بتوزع هداية، اللي يضيع هديته بأيده يبقي شاهد على نفسه بأنه لا يستحق هدية ثانية، ولا كان يستحق الأولانية، سامحيني يا نجوان. سامحيني وكفاية أن عمري ما حعرف ولا أقدر أسامح نفسي حتى لو قبلتي إننا نرجع لبعض .

ملحوظة أخيرة. إيجار الشقة بيدفع وحيفضل يدفع أول بأول، ودي شقتك أنتِ والبنات، ربنا يقدرني وأقدر أشتريها لكم وتبقى باسمكم قريب، وساعتها بجد متبقوش في احتياج لحد، لا أنا ولا طليقتك ولا أي حد ثاني، سواء رجعنا أو مرجعناش شراء الشقة باسمك أنتِ والبنات هو أقل تعويض أقدر أقدمه، عن أكبر غلطة غلطتها في حياتي

بحبكم وعمري ما حبيت قبلكم ولا ححب بعدكم

أبو البنات

تعليق السمسار البوسطجي على رسالة الزوج الثاني.. منتصر مهزوم

أول رسالة مضطر أبدأها من آخر سطورها إلى أولها وليس العكس والبدائية باقتباسي السطر التالي "ملحوظة أخيرة، إيجار الشقة بيدفع وحيفضل يدفع أول بأول، ودي شقتك أنتِ والبنات، ربنا يقدرني وأقدر أشتريها لكم وتبقى باسمكم قريب". كلام غريب! أنا اشتريت الشقة من صاحب العمارة خالية من أي مستأجرين إزاي الأستاذ يقول أنه بيدفع إيجار الشقة لصاحبها أول بأول! التفسير الوحيد أن الفاضلة مدام نجوان وبناتها عندهم عزة نفس وكبرياء تمنعهم من قبول مساعدة من شخص أصبح غريبًا عنهم بغض النظر عن محاولات الرجوع بالتالي رحلوا عن المكان! أعتقد أنه توقف عن دفع الإيجار من مدة طويلة، وإنه لا يملك العنوان الجديدة لمدام نجوان والبنات! وإن تاريخ وصول الرسالة هو تاريخ قديم اعتقادًا منه بأنها كانت لا تزال ساكنة في منزل زوجيتهم .

في الحقيقة الأستاذ إيهاب نموذج متكرر وشائع؛ لأن نسبة كبيرة منا كرجال بنتمتع بذات الفضول والشك والغيرة والتهور، بالتالي أنا حسميه الأستاذ شائع أو السيد منتشر، لأنه فعلاً شخصية متكررة وصادفت أشخاص كثير عندهم مشكلة الفضول المؤدي لمشاكل الحاضر بسبب الماضي! على الأقل اعترف أنه مخطئ، وأنه كان غير ناضج كفاية، إنسان شاعر بالمظلومية والاضطهاد ويدافع عن صورة زوج الأم والزوج الثاني، وبالمناسبة معه كل الحق. بالفعل تشويه صورة الزوج الثاني. وزوج الأم هي الصورة الأقوى لاضطهاد الرجل من قبل رجل آخر لكن مين قال إن الشخص المظلوم لازم يتخلص من المظلومية بظلم إنسان آخر! مدام نجوان ذنبها إيه في أنك غير ناضج كفاية وشكاك وغيور وخواف وفارق الثقة في نفسك! ولو هي إنسانة بتتأثر بكلام الناس مفكرتش أنها اتجوزتك ولم تبدي اهتمام بأي كلمة أو انتقاد؟! بل وصل تمسكها بيك إلى قطع علاقتها بشخصية ابتسام صديقتها لأنها بتتنقل أخباركم لطلقها. يعني بأعترافك أنها حريصة على كيان جديد مشترك بينكم أنتم الاثنين. طب ليه؟ ليه تظلم إنسانة بتحاول توازن بين كونها أم وزوجة، وبين كونها كانت في يوم مؤمنة على أسرار بيت وراجل آخر؟ أنت افكرت أنك امتلكتها بكل ما تحويه من أسرار للأخريين! حتى لو الأسرار هي لا تملكها! يعني لو هي امينة خزنة وأنت محتاج فلوس ممكن تجبرها تختلس؟ أصل فكرة الأثمنان بمعنى أنك تكون مؤتمن على شيء لا تتجزء! ولا إيه؟

بطبعي لا أجد فن جلد الآخرين، بقدر ما أجد فن جلد الذات، فأنا حتخذ من القصة عبرة، واعرّف أن النضوج مرتبط بعدد المواقف إلى يمر بيها الإنسان بغض النظر عن سنين عمره، لأن مواقف الحياة هي سنين العمر الحقيقية .

الرسالة الخامسة :

التفريط في أغلي الناس

المرسل : هدي

المرسل إليه : سناء

صديقتي وأختي وحببتي سناء .

تقدري تعتبرها رسالة اعتذار، لأنني من أول ما اتجوزت وأنا كنت بتفنن في إضعاف صداقتنا، مش لأنني مش واثقة فيك لا سمح الله، لكن لأنني مش واثقة في نفسي، يمكن تستغربي اعترافي بضعف ثقتي في نفسي لأنك عرفتيني وأنا بنت صغيرة وقوية، لكن مخزون الثقة انتهى حبة حبة، اللي حوالِّي خدوه مني، متبقاش غير الخوف. حتى ساعات ببقى خائفة وبنسى أنا خائفة من إيه. ومن كتر ما ببقى خائفة بطلت أخاف، ولما بطلت أخاف كتبت لك، ولما كتبت لك عرفت عن نفسي أكثر .

المشكلة أننا كأصحاب بنحب تصور لبعض أن أهالينا بيعاملونا كأميرات وبنخفي تفاصيل حياتنا اليومية الحقيقية، ولما بتيجي لحظة الحقيقة بنشعر أننا قصاد حد غريب، طبيعي نستغرب بعض إذا كنا طول عمرنا بنكدب ونجمل صورتنا قصاد بعض .

يا سناء . أنا اتولدت في أسرة بتعتبر الزواج هو الإنجاز الوحيد للبنت، أسرة لا تعترف بأي إنجاز من أي نوع للبنت مهما كان كبير، وفي سبيل الزواج وهو أكيد شيء اخلاقي، بترتكب مئات التصرفات اللااخلاقية بالمرة، بنضحى بالصدقة والأقارب والمعارف، حتى أننا بنضحى بإختيارنا الحقيقية ونتحول لمنافقين، لكن أكبر واغلي درس اتعلمته في حياتي، أننا عمرنا ما تقدر نشترى حب، بضمن بيع حب ثاني أبداً . عارفة، رغم أن الخلافات الأسرية بين الأب والأم بتكون سبب في مشاكل نفسية وقلق وتوتر للأولاد، إلا أن الأختلاف بين الأب والأم بيكون مطلوب أحياناً لأن معنى اتفاهم الدائم في الرأي أن اولادهم حيعيشوا في سجن الهروب منه مستحيل، لأنه سجن بدون ابواب، دلفتين الباب التحموا على شكل باب واحد وبقي سد منيع، عكس أطفال كثير بيعانوا القلق والتوتر بسبب خلافات الأبوين، لكن في وضعي الأسري، تقارب أبويا وامي واتفاهم الدائم في الرأي كان على حسابي أنا، وعلى حساب حريتي في الأختيار، بالتالي كان صعب عليا إني أفهم الصبح والغلط لأن المناط بيهم مسؤولية توضيح الفارق كانوا حريصين على تغليف كلامهم بغلاف مضاد للنقد .

زمان، لما كان يجيلنا أقارب ونستقبل زيارات عائلية، كان كل بنات العائلة بياتوا في أوضة واحدة مع بعض والصبح ننزل ونخرج مع بعض، ملازمين بعض في الحركة، لكن المسافة ما بيننا في الأسرار، تنفع تكون مسافة بين ناس عمرها ما عرفت بعض، نتكلم في المذاكرة، في اللعب، في السفر والفسح، نتكلم عن أهالينا واحلامنا، لكن لو واحدة فينا جاي لها عريس، بيبقي سر الأسرار، ومنعرفش غير لما نتعزم على فرحتها زينا زي الأعراب مع أننا المفروض أقرب الناس لها، كلنا لما بنعرف أن قريبتنا أو صاحبتنا اتخطبت أو اتحدد معاد فرحتها، كنا بنسأل نفسنا، طب ما هي كانت معانا ليه مجبتش سيرة؟

بعد كده عرفت أن جواز البنات عند الأهل، زيه زي تحویش الفلوس، أسرار ممنوع تتجابه سيرتها! أسرار حتى على البنت نفسها! لما جالي عريس مقبول من الاسرة، عاصرت التجربة من بدايتها إلى نهايتها، وبسبب تركيزي على كل حدث مهما كان صغير أو تافه، قدرت أفسر سلوك بنات كثير عرفتهم كان سلوكهم بيتغير فجأة! وعرفت أن المسألة أكبر بكثير من مجرد واحد حيتجوز واحدة، وعرفت كمان، أن حياة البنت مبتكونش عبارة عن مرحلة بعدها مرحلة، وإنما مرحلة بتلغي وتحذف وتطمس ملامح مرحلة قبلها ..

اتقدم لي عريس. زوجي الحالي. بصراحة كان راجل كويس. يعني إنسان عنده إيثار وخالي من الأنانية ويفضلني على نفسه، مرضيش يتجوز غير لما جوز أخواته البنات الثلاثة واطمأن عليهم. لكن طبعا فكرة تجهيز ثلاث بنات خلت إمكانياته المادية شبه منعدمة، ومع ذلك أبويا وامي تمسكوا به جدا و قالوا إحنا بنشتري راجل وجهاز نفسك على مهلك واعتبر البنت بقت بتاعتك خلاص. بالتالي كان فيه اتفاق بينه وبين أهلي بأني مخطوبة له رسمي ومن يومها يا سناء، حياتي اتغيرت ١٨٠ درجة، لكن متسألنيش في أي اتجاه كان التغيير، لأن التغيير كان منبت الصلة بفكرة أنني بنت مخطوبة وبتتعرف على خطيبها، خطيبتي كان راجل مشغول ليل ونهار بيكلمني ربع ساعة في اليوم لأنه بيجهاز نفسه لزواجنا، بالتالي عداه العيب وأزح ..

لكن التغيير كان في معاملة أبويا وامي لي، بدأوا هما الاثنتين يرسموا خريطة أو يعيدوا رسم خريطة الناس في حياتي، اتغيرت الحدود، واتغيرت المعالم، واتغيرت حتى مواقع الأولويات والتعامل! يمكن كلامي غريب لكن ممكن بنات كثير مبتكونش قادرة تشوف الصورة لأن المسألة بتكون أكبر من استيعابهم، وكثرة المستجدات بتخلي الاستيعاب يرتبك، لذلك أنا حابة أنني أمر بإختصار على معالم التغييرات اللي حصلت وقتها، واكيد حوصل لمسألة فراقنا كبنتين كنا في يوم أختين ، وأقرب أصحاب لبعض .

أول حاجة، بصفتي بنت مخطوبة، بقي عندي تعليمات بأن الأقرب لي من بنات العائلة والصدقات مش هما اللي بيني وبينهم أعلى نسبة تفاهم، وإنما المخطوبات والمتزوجات فقط لا غير! مهما كانت شخصياتهم، طب يعني! هل معقول أضحى بصداقة استمرت من الصغر ولحد سن الشباب، وأرتبط بناس ثانية عمري ما اعتبرتهم قريبين مني! طبعا عشت هجوم كاسح من أهلي بسبب اعتراضني، لكن الهجوم كان على مستويين ، المستوى الأول هو مستوى وهمي يقوم على

فكرة أن صديقتي الجدد، المخطوبات والمتزوجات، هما مصدر الخبرة لحياة جديدة أنا مقدمة عليها! سبب مقنع للوهلة الأولى، لكن لما اتفاجئ بطلب أبويا وأمي التقرب من إنسانة بتعمل مشاكل مع زوجها 7 أيام في الأسبوع! هنا اتضح كذب الدافع في تكوين صداقات جديدة وإنهاء القديمة، بالتالي السبب الحقيقي اتضح أنهم شايفين في كل بنت مشروع لصمة محتملة ممكن تسرق خطيبي مني! فسألتهم، هل أنا ضعيفة وهينة لهذة الدرجة؟ فأجابوا، أيوه. واي بنت مايصبة ممكن تسرق منك مستقبلك في دقيقة، وممنوع تعزمني بنت مش متجوزة في عيد ميلادك، وممنوع تخرجني مع بنات ممكن يكونوا أحلى منك في عينيه، ولازم تبقي أحلى واحدة في أي مجموعة بنات بتتحركي معها، ولازم ... ولازم ... ولازم!

المستوى الثاني، أني لازم أعتبر حياتي قبل الزواج بكل تفاصيلها حياة مؤقتة حتى بمعارفي والصداقات المتكونة خلالها، وان أهم ناس لازم اصداقهم واتحول لأخت لهم بمنتهي السرعة، هما اخوات زوجي البنات وطبعًا مظهوري قصادهم كان مناققة، وصولية، دحلابة، بتمسكن لحد ما اتمكن! وبصراحة معاهم حق! يعني فكرة أني أكلهم في التليفون وأسأل عنهم حتى أثناء فترة الخطوبة وأنا أساسًا مافيش بيني وبينهم موضوع واحد مشترك نتكلم فيه أكيد خلاهم يشوفوني معدومة الشخصية، فاضطريت الف موضوع وليد اللحظة قبل ما اتصل بواحدة فيهم، وده تسبب في ارتفاع مستوى التصنع والتكلف والزيف في شخصيتي لمستويات عمري ما كنت أتخيلها أبدًا .

بالرجوع لفكرة تحول الأصدقاء لمنافسين، فهي فكرة ممكن تحطم نفسية أي إنسان، ومحاولة تقريبي لناس كانوا خارج دائرة اهتمامي قللت من كرامتي وعزة نفسي. لكن كنت بماطل قدر المستطاع في تنفيذ الأوامر، لأن في رأيي أن الراجل اللي حيفرط في النهارده ممكن يفرط في بكرة، خصوصًا أن المغريات بتزيد مع الوقت مش بتقل، بالتالي بدت الصورة وكأنني أم بتحاول تمنع ابنها من دخول الامتحان لأنها متأكدة من رسوبه! يعني كمان صورة شريك حياتي كانت بتتشوه في نظري، ويبتهم تصويره وكأنه ممكن يتخلي عن فكرة الارتباط بي على أتفه واصغر الأسباب، يكفي احكي لك أن أمي كانت تسألني بتكلمي مين في التليفون؟ لو قلت اسم أي صديقة أو زميلة تكشر، ولو عرفت أن جوزي - خطيبي وقتها - أو واحدة من أخواته أو حتى عمته أو خالته تفرح وتبقي الفرحة مش سيعاها، طبعًا فقدت الثقة في نفسي، لكن بطريقة في منتهي الغرابة، لما أهلي ناقشوني في كيفية ارتباطي بخطيبي، فوجئت أنها كانت عن طريق الصدفة، والصدفة في الحياة عمومًا هي سلاح ذو حدين، الحد الأول أنها بتعطي شيء محروم منه أغلب الناس لشخص واحد

بيكون محظوظ، لكنها بتصيب صاحبها - المحظوظ بالجنون؛ لأنه بيكون عارف أنها مش حتتكرر، وبيعيش حياته بهدف الحفاظ عليها، وبتتحول الصدفة من أهم حاجة في حياة الإنسان إلى حاجة أهم من حياته نفسها، والصدفة هي أن جالي عريس! بالتالي كل امكانياتي مسخرة للحفاظ على تلك الصدفة والفرصة العظيمة، وإلا حتتبخر كل احلامي وتنتهي وتتلاشى .

المحطة الأخيرة هي أنني اتحولت من إنسانة مغلوبة على امري، لإنسانة خسيصة، لما بدأت أدوق طعم الدنيا مع جوزي، فعلاً خفت على حياتي الجديدة، خفت عليها من كل الناس وحتى من نفسي، بالأضافة إلى أن وسط اصحابنا ومعارفنا الأخبار الحلوة بتتنجبي وتنداري، والمشاكل الزوجية بيحكوا عنها اساطير، وقتها حسيت أنني مش بس محظوظة لا ده أنا كمان لو فرطت في حظي يبقى فرطت في أحلى هدية في حياتي، كل بنت كنت ببعدها، كل بعتمد على خصلة سيئة فيها وفضل اضخمها واكبرها، خصلة كنت بتحملها و اتعامل معها وبتطبق المثل المشهور - خد صاحبك على عيبه - لكن المشكلة كانت أنتِ يا سناء، أنتِ مكنش فيك شيء غير وكان يشرف، جميلة وطيبة وجدعة وأخلاق و بنت ناس.

في ضميري مفروض العريس كان يكون من نصيبك أنتِ مش أنا، ولما بدأت أفكر زي أهلي، اخدت القرار في أنني ابعد عنك، لكن بدون توضيح أسبابي، لأن توفير الأسباب مستحيل بسبب شخصيتك، شخصية يتمناها أي إنسان، ومحبوطة من كل اللي حواليك، بالتالي توقفت عن السؤال عنك، ولما جيتي أنتِ تسألني عني وتسألني عن غيابي كنت اتعمد ارد ببرود واعمل نفسي مشغولة ومش مركزة معاك ، أصعب موقف لما كنت تسأليني بصوت مجنون، أنا غلطت في إيه؟ أنا عملت إيه؟ طب خطيبك منعك عني؟ كنت بتعذب وأنا بعمل كده مع أقرب إنسانة لقلبي، لكن صدقيني كان غصبن عني، وطبعاً دلوقت بعد اعترافي بكل حاجة أكيد عرفتي أن خطيببي اللي بقي جوزي ملوش ادني علاقة ببعدي عنك، لأنه مكنش يعرف بوجودك من الأساس، وطبعاً الموقف الأخير، أنني معزمتكيش على الفرحة ، سامحيني يا سناء. سامحيني. كنت في مكاني في كوشة الفرحة وعارفة أنك بتعيطي في بيتك ، وعشان كده كنت أنا كمان بيعيط. وأكذب وأقول دموع الفرحة! وخليتك تعرفي أخبار فرح واحدة كنت بتعتبريها أختك، من ناس كانوا اغراب عني وعنك .

عارفة آخر موقف بيني وبينك كان إيه؟ كان بيني وبين نفسي لكنك كنتِ حاضرة فيه. يوم فرحي لما كانوا بيجهزوني عند الكوافير، تصفيف شعر ومكياج، كان حوالي بنات كتير، لكنني فاكرة أن كان فيه وشوش منهم فعلاً معرفهاش، ازاي الأعراب يحضروا أهم يوم في حياتي واختي وصاحبة عمري متحضرش وتقف جنبي وتفرح معايا؟! انهبي عقل بيقول نبيع القديم عشان نشترى الجديد إذا كان القديم والجديد بني ادمين! ساعتها عيطت. عيطت قدام الناس كلها، لدرجة أنهم افتكروني مغصوبة على الجوازة، وساعتها عاهدت نفسي، أني أول ما ارجع بلدنا محدش حيدخل بيتي وبياركلي قبلك، واللي يحصل يحصل، ولو عابزة تسرقني جوزي اسرقه، اجوزهولك بنفسي. صحيح يومين وحترجيه تاني وتهربي، بس ميغلاش عليك يعني! يابت اضحكى بقي حرام عليك ده أنا بموت. طب ياريتك تتجوزي جوزي بجد واهو اضمن أننا نفضل قاعدين مع بعض صباح وليل وشنا في وش بعض كده .

أنا مافيش حاجة في الدنيا ممكن تصلح غلطتي. إلا كرم أخلاقك وتقديرك لأختك، أختك اللي أضحك عليها وخوفوها من الدنيا والناس. طب حسالك سؤال مش أنتِ عارفة من زمان أني أنا غيبية؟ مش عارفة أن صحبتك غيبية طول عمرها؟ استكردوني يا سناء. اوعي يا بت تكوني بتعيطي دلوقت، أنا بس اللي اعيط، أنت فاهمة ولا لاء؟ ردي الجواب بجواب وحتلاقيني قدام بيتك، ولو مش عيزاني ادخل بيتك ثاني، حجيلك ونتقابل في أي مكان، جوزي لما عرف بيقولي أنه مكنش يتصور أن مراته قليلة الأصل قوي كده، أنا حسنتني ردك يا سناء، عشان الحياة حتفضل واقفة لحد ما أستلم منك رد، حتى لو رد فيه شتيمه .

أختك هدى

تعليق السمسار البوسطجي على رسالة التفريط في أغلى الناس

قبل الدخول في التعليق، رجاء شخصي. أي إنسانة ابتعدت عن قريبتها أو صديقتها في ظروف مشابهة لقصة رسالة التفريط في أغلى الناس تتحرك فوراً وتحاول التواصل معها بكل السبل والوسائل مع مراعاة سرعة التحرك تفادياً لتكرار الموقف الوارد بالرسالة وتغيير العنوان، بحيث يصبح التواصل مع الأصدقاء القدامى أمراً مستحيل !

الآن أصبحت أملك تفسيرًا عن سبب انتهاء صداقات عديدة، خصوصًا بين الفتيات في سن الشباب، وفتحت عيني على أغرب شكل من أشكال الظلم بتعرض له المرأة، وهو ظلم الحياة المؤقتة، ظلم يعتمد على فكرة زرع فكرة الحياة المؤقتة في عقل الفتاة وتغذيته بأسباب اجتماعية وجودها في الأصل محل شك. بحيث تصبح حياة الفتاة قبل الزواج بكل تفاصيل حياتها ما هي إلا مرحلة مؤقتة بكل ما تحتويه، أفكار، طباع، أصدقاء! ظلم يتمثل في الحرمان من التشكل الطبيعي، والانتظار بلا شكل حتى يأتي أوان التشكل النهائي. وأنا لا أعتقد بوجود إنسان ذكرًا كان أو أنثى قادر على الانتظار طوال مراحل حياته ليعيد تشكيل نفسه في مرحلة ما معينة! الغريب أن ورد في الرسالة شكوى من العلاقة القوية بين الأم والأب! واستحالة استغلال الفروقات بينهم في التماس السبيل للتعبير عن الذات، هل اتحاد الآراء وتوافقها بين الوالدين يمثّل عبء على الأبناء في بعض الأحيان؟ لا أستطيع الجزم ولكن أستغرب وجود الأم وهي امرأة تتجاهل ما تعانيه ابنتها من مشكلة! إلا إذا كانت تعلم ما أجعله أنا وما تجهله ابنتها ذاتها .. و الله أعلم!

الرسالة السادسة :

المشكلة في الصالون

المرسل : بدون أسم

المرسل إليه : بدون أسم

متوقع أنك لو عرفتني أنني أنا صاحب الجواب ممكن تجيلك حالة، أنا العريس، أيوه أنا عريس الغفلة، السافل المجنون قليل الأدب اللي أخذ معاد منكم ودخل بيتكم وقعد في الصالون ومشى بعدها بشوية من غير ما يقابل حد ولا يسلم على حد من أصحاب البيت، ومن حقلك تقطعي الجواب أساسًا، بس معلش استحملي شوية؛ لأن الموضوع أكبر مني ومنك، اسمعيني.. عايز أقول لك أنني بطلب إيدك منك أنت شخصيًا، وحكون أسعد بني آدم لو وافقتني على الارتباط بي، ولو عايزة اجي بيتكم ثاني وتطرديني منه أو متفتحوش الباب أنا عارف أنني استاهلها، فحددي معاد وأنا مستعد اطرد أو يتقفل الباب في وشي عادي يعني.

إعتراف الإنسان بخطئه لا يعفيه من العقاب حتى لو كان بحسن نية، الفكرة كلها ولأجل الحظ أنني عرفت من أصدقائنا المشتركين أنك حابسة نفسك في أوضتك لا بتكلمي حد ولا بتشوفي حد، والسبب هو أن مكان جلوس الضيوف عندكم، ألا وهو الصالون، موجود فيه برواز فيه صورة لأسرتكم وحضرتك موجودة فيها، بالتالي اتفهم موقفي على أنني شوفت صورتك، وأخذت موقف بالرفض وسبت المكان ومشيت. حاشا لله ما هو أنا قلت لنفسني محال تكوني وصلتي لحالة نفسية سيئة بسبب واحد عريس لا عمرك شوفتيه ولا تعرفيه، لكن صدقيني أنا مكتتش اعرف حاجة عن موضوع البرواز، ولا شوفت الصورة، خصوصًا أنه كمان موجود في مكان لما اتوصف لي اكتشفت أنني كان لازم اتحرك من مكاني عشان أوصل لمكانه واشوفه، طب وهو كان ينفع اتحرك في بيت بدون اذن اصحابه؟ طب وانتوا ليه توقعتم أو افترضتم أنني اتحركت من مكاني أساسًا؟ محصلش على فكرة، ممكن يكون جه عرسان قبلي وكانوا بيستكشفوا البيت ويتمشوا على ما حد منكم - أصحاب البيت - يوصل؟ ممكن، الله أعلم، لكنه لا أسلوبني ولا طريقتي، متبقيش مجنونة بقى وهو أنا يعني لو مش متمسك بيك ومصر على إكمال موضوعنا، حبعت جواب شبه غرامي ليه يعني؟ غاوي أنا اكتب جوابات؟

ده هما جوايين بالعدد اللي كتبتهم في حياتي كلها، جواب لأبويا لما كان في الخليج وأنا صغير، وامي رفضت نرسله غير بعد تصحيح مئات بل آلاف الأخطاء الإملائية في كتابتي، لأن أبويا لو كان شاف هذا الكم من الأخطاء الإملائية كان حيعمل مشكلة مع أمي ويعتبرها اهملت في دراستي. يعني مواضيع اسرية محبش ادخلك فيها وعدي عليها سنين كمان، إنما الشيء بالشيء يذكر ليس إلا، والجواب الثاني بين ايديك، وأنت صاحبة التصرف، في الجواب وصاحب الجواب كمان.

طبعا لازم أشرح وأوضح مبرر تصرفي لما كنت عندكم في البيت، ما هو مش طبيعي أن عريس يقوم يجري وهو عنده مقابلة بعد كام دقيقة! ما هو يا إما وقح يا إما مجنون، وملهاش حل ثالث، لكن الحقيقية أنني كنت عاجز عن تبرير تصرفي لحد ما توصلت لأهم معادلة في حياتي. واتمني أنك تسمعيني لأنك الأنسانة الوحيدة اللي حبوح لها بإحساسي المشكلة مش في ولا فيك من باب أولى. لكن المشكلة في الصالون! متستغريش كلامي. فكرة جواز الصالونات أغلب الناس بتعتبرها ادني درجات الزواج. بتتكلم عنها بانتقاد، واغلبهم بيشفوها حل اخير أو محاولة أخيرة عشان يقابل عن طريقها شريك حياته ويكون أسرة. بيعتبروه جواز بيحمل شعار أي شيء أفضل من لا شيء، أكون شاكرا وممتن لو مكنش يضايقتك أو يزعلك أنني اطلب منك للمرة الثانية أنك تحاولي متعتبريش كلامي غريب، مع أنه غريب فعلا وأنا عارف. لكن حاولي تفكري معايا وتشاركيني نتيجة التفكير، دلوقت كلمة الجواز، مفيش مخلوق يقدر ينتقدها طالما كانت لوحدها معزولة، لأنها فعل إنساني فطري، لكن خليني أوضح لك اثر انضمام أو إضافة كلمة ثانية لكلمة زواج .

زواج الصالونات - من وجهة نظر البعض هو نوع من الجواز مبني على غير معرفة مسبقة ويعتبر محاولة لمن فاتهم القطار، رغم أنني مش إنسان مرح ولا خفيف الظل ولا بتاع قفشات، إلا أنني بنصح كل من فاته القطار، أنه يا ريت لو يركب القطار اللي بعده .

زواج الأقارب - من وجهة نظر البعض هو وسيلة مضمونة وفعالة للزواج بين شخصين يعرفوا عن بعضهم البعض تقريبا كل شيء، بتدعمه بعض المقولات الدارجة على شاكلة - زيتنا في دقيقتنا - وجحا أولى بلحم ثوره، وكلام كثير محبش حتى أفكر فيه، لكن على الجانب الآخر في ناس بتعتقد أن زواج الأقارب هو أبرز أسباب تفكك العائلات واشتعال الخلفات العائلية لأن في حالة حدوث خلاف يتم تعكير صفو العلاقة بين اسرتين داخل العائلة الواحدة، وبيؤدي لأنقسام العائلة

ككل بين متبني لموقف الزوج ومتبني لموقف الزوجة! بالإضافة إلى أن التماذي في زواج الأقارب له بعض الأضرار الطبية كما يقال .

زواج المصلحة - ، سيكون صفقة مستترة على هيئة علاقة زوجية يقبلها المجتمع، يعني يتم بين واحد وواحدة اولوياتهم في الحياة هي المصلحة سواء مادية أو اجتماعية أو ايأ كان تصنيفها، بالتالي هو زواج شرطه حماية مصلحة معينة ، أنا شخصياً ولأني على تواصل مع أشخاص خاضوا تجربة زواج المصلحة ، مش قادر اشوفه شيء سيئ، بل بالعكس، أنا شايف درجة راقية من درجات التفاهم والصدق والواقعية بين الاثنيين، ولا يحمل شبهه استغلال أو حب مشروط، لأن الطرفين بيستغلوا وجودهم في حياة بعض، وحبهم مشروط لبعض، بالتالي لما بيتساوي الطرفين لا ظالم ولا مظلوم، سيكون جواز قائم على التفاهم والاتفاق، واقوي سند لأي علاقة سواء كانت زوجية ام لا ، هو التفاهم والاتفاق.

جواز المضطر-، وفيه ظروف أو أسباب بتدفع إنسان معين للزواج، تأخر سنه، عدم قدرته على تحمل الوحدة، رغبته في تكوين أسرة... إلخ، المهم أي اسم يضاف إلى كلمة زواج، صالونات، أقارب، مصلحة، عن حب، مضطر. هو اختزال للعلاقة لكن حقول لك ليه الناس مركزة على انتقاد جواز الصالونات، وناسية أنواع الزواج الأخرى من النقد والتجريح ..

أولاً ، جواز الصالونات في الغالب بيظهر مباشرة بعد فشل العلاقات العاطفية. بالتالي في نظرهم هو أشبه بحشو الضرس بعد اصابته بالتسوس! معلىش هو مثال غريب لكن ما هو أنا دكتور اسنان، وبصراحة ده أقرب مثال حاضر في ذهني بتضحكي صح؟ شوفتك وأنت بتضحكي. ضحككتك حلوة على فكرة. أنا لو كنت اعرف أنها بالحلاوة دي كان زمني قاعد في الصالون لحد دلوقتي .

ثانياً ، الناس بتنتقد جواز الصالونات لأنه بيقتقد ظهير عاطفي يسانده، فيلم، أغنية، حدوتة رومانسية، لكن يوم ما يكون لجواز الصالونات صورة الحب من أول نظرة، حيكون اسمه جواز من النظرة الأولى، جواز لا يحتاج للتعارف كشرط مسبق، جواز مبني على القبول المتبادل والحب غير مشروط، جواز بيعتبر الدنيا لسه بخير وان الواحد لقي اهل مكنش يعرفهم، جواز تلقائي وصادق. جواز للمحظوظين فقط. وياتري كام نوع من أنواع الحب مدارية جوة جواز الصالونات ؟

ثالثاً، لو المشكلة في الصالون. نغير المكان. يعني نسميه جواز فراندات وبلاكونات، ممكن الناس تتخيل العريس واقف مع فرقة موسيقية بيغني للعروسة من تحت شبك بيتها، وساعتها حيقولوا قمة الرومانسية. فرقت إيه البلاكونة عن الصالون؟ أو ممكن يبقى جواز سفرة أو مطابخ. بمعنى أن التعارف بين الأسترتين يكون عن طريق عزومة، وطبعاً لأن ناس كثير بتهوي المنظرة والبهرجة، فحتلاقيهم بيحبوا النوع ده بدون سبب واضح، وبكره أفكرك أنا شخصياً أفضل جواز أوضة التلفزيون أو جواز الصالة. ليه بقي. عشان الواحد يبقى بيتقدم لواحدة وهو بيتفرج على مسلسل الساعة ٧، أو ماتش الكورة في نفس الوقت، و ميقاش فوت حاجة !

المضحك أن الناس بتنتقد زواج الصالونات بسبب اسمه. طيب يبقى بلاش بقي جواز زملاء الجامعة لأنه اسمه جواز جامعة، ولا جواز زملاء العمل لأنه حيبقى اسمه جواز عمل، وبلاش جواز الجيران لأنه حيبقى جواز جيران، أنا شايف أننا أكثر احتراماً من أننا نتمادي في مهزلة اضافة الأسماء للجواز ومحاولة تصنيفه بناء على مكان اللقاء الأول بين العريس والعروسة، تخيلي لو بالمنطق ده واحد أعجب بواحدة في الشارع وهي كمان اعجبت به وراح بيتها وطلبها من اهلها ، بقي اسمه جواز شوارع !

أنتِ ظلمتيني لما افتكرتي أنني قليل الأدب ومعدوم الأخلاق، وأنا ظلمتك لما محاولتش أوضح موقفني بالسرعة الكافية، والناس ظلمونا لما انتقدوا جواز الصالونات رغم أنه نصيبي ونصيبك. الغريب أن الناس شعارها في الحياة ” محدش عارف النصيب فين“

هما ليه مفترضين النصيب طفل تائه ومحتاج اللي يدور عليه! نصيب الإنسان طول الوقت قصاد عينه! لكن عمره ما حيرضي يعترف بوجوده لأنه راسم صورة ومستعد يضيع عمره كله وهو بيدور عليها ، أنا سبت الصالون في بيتك ومشيت، عشان اجهز نفسي وأكون جدير بيك وأستحقك، كانت فرصة أراجع صدقي مع نفسي عشان أقدر أكون صادق معاك،

ودلوقت بعد ما اتكشفت لعيني الحقيقة كلها، أنا يسعدني ويشرفني اطلب ايدك منك قبل أي حد، وأعرض نفسي عليك وليك حرية الاختيار بالقبول أو الرفض، وبعتر معرفتي بالحقيقة وتخليا عن الزيف والقصص الكذابة هو مهرك الحقيقي، لأنك أغلى من أي هدية ممكن تتقدم لك. قولي موافقة. وأنك قابلة اعتذارني. وقابلة اكتشافني المتأخر لحقيقة الحياة

والحب والجواز والناس. حتلاقيني قصادك بجدد عرضي. وفضل اطلب منك تكوني لي حتى لو اتجوزنا وبقينا جد وجدة وعندنا احفاد. مستني ردك .

دكتور في الطب لكن تلميذ في الحياة

تعليق السمسار البوسطجي علي رسالة المشكلة في الصالون

كلامي موجه للدكتور المزعوم كاتب الرسالة :

ما هو أنا حتجنن ونفسي أعرف أنت انتظرت قد إيه لحد ما قررت تكتب الجواب وترسله! الدكتور ده محسني أنه الموقف حصل امبارح مثلاً ! أنا اشتريت الشقة من راجل عنده بنت وحيدة، كان متساهل معايا جداً في مقابل أني أوعده بسرعة الشراء، لدرجة أني شكيت أن الراجل كان عايز يهرب! ومرة البنت دخلت وقدمت لي مشروب أثناء انتظارني في الصالون عندهم، كانت أشبه بالمنومة مغناطيسيًا، هي دخلت حطت الصينية على الطاولة ومشيت. مقالتش حتى اتفضل ! وكأنها مرت بموقف في حياتها خلي تعاملها مع الحياة ككل ملوش لازمة ! طبعا أنا كده فهمت جزء كبير من الصورة الحقيقية للأحداث. وصدق جارهم لما قال لي أنها يمكن تكون أسهل صفقة حبرمها في حياتي، لأن الرجل على عجلة من أمره في بيع الشقة والانتقال لمسكن مختلف. لأن بعد اللي حصل مبقالههمش عيش في المنطقة - حاولت أعرف منه تفاصيل الموضوع بدأ يردد كلمة أن البيوت أسرار، وهي فعلاً أسرار و على كل حال، بعض الأشخاص لا يعطوا أنفسهم أو غيرهم الفرصة لأستجلاء الحقيقة بشكل كامل في أي شيء، فما بالك بشخص دخل صالون بيت ثم خرج منه قبل مجيء أصحابه !

الرسالة السابعة :

خطورة الأنتظار في السيارة

المرسل : سارة

المرسل إليه : زوجها

عارف لما تكون بتتفرج على فيلم حلو ومستمتع بمشاهدته وعلى وشك أنك تقول إنه أفضل فيلم شاهدته في حياتك، وفجأة النور يقطع ولما يرجع ثاني، تلاقى الفيلم خلص ! هي دي بالضبط حياتي ...

مش مهم أننا اتجوزنا عن حب، ومش مهم أنك بقيت جوزي، وإنما المهم فعلاً أن لازم قبل ما إنسان يرتبط بإنسان ثاني يطلب يسمع منه قصة حياته من بدايتها ولحد لحظة اللقاء. المشكلة أننا بنعتبر كل يوم حلو في حياتنا بمثابة بداية جديدة. وبداية وراء بداية وراء بداية، بننسى البداية الأولى والأصلية كانت امتي، ومع الأسف أي بداية جديدة بتصادف تشجيع من أغلب المحيطين بيها، لكن يوم ما تسأل نفسك، ياتري أنا عايش مع مين؟ عمرك ما حتلاقي إجابة كافية و وافية، طالما أن معرفتنا ببعض منقوصة وإحنا عارفين ومتأكد من نقصانها. تبقى الحياة مبدأتش يوم لؤنا، أكيد كان فيه حياة قبل كده، وكان لها تفاصيل وشكل وملامح ومضمون، لكن لا أنا ولا أنت قدرنا نجيب سيرة اللي فات ، ولكل منا أسبابه.

بحذرك تشك فيّ أو تظن أنني بتكلم عن شخص جمعتني به علاقة قبل معرفتنا، لأن علاقتي الوحيدة قبلك انتهت وأنا عمري ١٢ سنة. و مكنتش علاقة بين اثنين ، كانت علاقة بيني وبين دنيا مختلفة بحالها. وقبل ما تتهمني بأني مجنونة لازم تسمعني، تسمع سر شرودي وسرحاني طول الوقت في البيت وتغيري المفاجئ معاك، مع أنك لما تعرف الحقيقة حقيقي الوضع أصعب من الشكوك والظنون اللي أنت ادمنتها، لأن الشكوك والظنون رغم كل شيء لها حل، وتنتهي

بالفراق بين الزوجين في حالة ثبوتها أو فقدان الثقة المستحكم، لكن الحقيقة، وآه من الحقيقة، أنت يا زوجي ويا حب عمري بكل أسف غير مؤهل للتعامل معها، فياريت بلاش تظلمني أو أظلمك .

أنا، أو أنت ، خلبنا نتناول الموضوع من جهتك أنت أحسن .

أنت اتعرفت عليّ بعد ما انهيت دراستي الجامعية بحوالي سنتين، كان عمري وقتها حوالي أربعة وعشرين سنة، بنت وحيدة عابشة مع أمي بعد وفاة والدي الله يرحمه، اصلنا من اسكندرية وجينا القاهرة، مقطوعين من شجرة وتقريبًا ملناش حد سمعتنا كويسة، والحال على القد صحيح لكن بفضل الله عايشين مستورين ولله الحمد. وأنت إنسان طاهر ونقي ونظيف، دخلت البيت من بابهِ وكان أحلى يوم في عمري لما عرفت أن ممكن شخص زيك يعجب بيّ لدرجة أنه يطلب يتجوزني، افكرت أنني قلت لك إن عمري وقتها كان 24 سنة، ووعي تنسي الرقم ده تحت أي ظرف أو لأي سبب، لأنه رقم بيوضح ويشرح القصة كلها من أولها لآخرها، لأن $24 - 12 = 12$. ولما كان عندي اتناشر سنة انتهى كل شيء، وبدأ كل شيء في نفس الوقت .

في أول ارتباطنا لما كان عندي أربعة وعشرين سنة، كان بقالي في القاهرة ما يقارب ال 11 سنة وكسور، يعني أنا متعلمتش القراءة والكتابة وصور الحياة الأولى في القاهرة ولأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، فأنا ياما حاولت أمحي النقش القديم بنقش جديد لكن كان مستحيل ، أنا وأمّي مش الناس اللي أنت عرفتهم في النصف الثاني من حياتي في القاهرة وعمرنا ما كنا بسطاء أو متواضعين في يوم من الأيام زي ما أنت عرفتنا، وأبويما لما أنت سألت عنه وبمجرد ما قلت لك الله يرحمه، اعتبرت نفسك عرفت عنه كل حاجة وقلقت الموضوع عشان تراعي مشاعري وإحساسي، لكن صدقني أنت متعرفش حاجة .

شقتنا الصغيرة في القاهرة. كانت فيلا كبيرة في إسكندرية في حي المعمورة وهو ده كان بيتنا اللي أنا اتولدت فيه، بابا كان واحد من أكبر التجار وله اسمه وسمعتته في السوق، أنا اتولدت في فيلا فيها حمام سباحة، يعني أنا اتعلمت العوم ومن كثر ما كنت صغيرة كنت فاكرة أنني اتولدت لاقيت نفسي بعوم لأنني مش فاكرة اتعلمته امتي، مكنش ده لبسنا ولا دي كانت طريقتنا في الكلام، حياتي كانت مليانة صور واللوان لما بتلقت حواليا مبلاتيش أي حاجة فضلت منها، لدرجة

أني بفتكرها أوهاام واحلام طفولة، أنا فاكرة أن كان عندي كلب، وقطة، لكن مش فاكرة أساميهم، عشان بابا وماما قالولي أنا اختار اسامي ليهم لكن مكنتش بختار، لأنهم كانوا بتوعى أنا لوحدي وأنا كنت حرة فيهم، وكان عندنا كمان قفص عصافير كبير، وكانت جنينة بيتنا فيها ورد اسمه ترومبيتو عشان كان شبه الزمارة، كان لونه احمر، وفاكرة عم رضوان الجنائني لما مرة قطف وردة منهم وعطاها لي لأن ماما كانت منعاني الاقطف الورد، وأنا فاكرة أنني يومها قلت إنها لو سألت حقول أنها من عم رضوان وأنا مليش دعوة .

بما أنني بتكلم عن الورد. لما وصلنا القاهرة، أنا كنت أشبه بوردة اتقطفت عافية من الأرض، لكن الغريب أنها رفضت تموت، مع أن شكلها اتغير كثير أول أيام وصولنا كنت بيعط ليل ونهار. عارف كنت بيعط ليه؟ كنت عايزة أكلم دادا Sue المربية بتاعتي المسئولة عني، وعايزة العب مع أصحابي عمرو ومنار، اصحابي وجيراني، اللي فيلتهم كانت جنب الفيلا بتاعتنا وكانوا الواحد اللي ماما كان بتسمحلي العب معاهم في المساحة الفاصلة بين فيلتنا وفيلتهم، لكن مع الأسف . مشيت حتى من غير ما أسلم عليهم، ومن غير ما يكون معايا رقم تليفونهم أصل مكنش فيه احتياج للتليفون وإحنا جيران وبتقابل كل يوم صبح وليل و Sue الدادا بتاعتي كانت مقيمة معانا، وعمري ما كنت اتخيل أن في يوم الناس دي كلها حتختفي وتتبخر وتختفي من حياتي وكأنهم كانوا من صنع خيالي وميقاش فيه فرصة حتى أنني اقول لهم حتى مع السلامة أو اشاور لهم باي باي زي ما كنا بنعمل مع بعض لما حد فينا ييقي راكب العربية ورايح مشاور مع اسرته كنا بنوحش بعض اوي رغم أننا كنا بنبقي عارفين أنها كلها كام ساعة و نتقابل بليل .

لما وصلت القاهرة كان عندي مشكلة مزودجة :

المشكلة الأولى : لغوية ، كان لازم لغتي تتغير، فكل ست قد ماما أنادي عليها بخالتي، ولو الست متجوزة أنادي جوزها بعمي، رغم أن لا الست تبقي أخت ماما، ولا الراجل أخو بابا! وألفاظي ومصطلحاتي أغلبها محتاج، يتحذف نهائياً والباقي قابل للتعديل .

المشكلة الثانية : إدراكية، إدراك الواقع الجديد. وعلاقته بالقديم. واجابات الأسئلة كانت مختصرة اختصار مخل. أنا مش بتجنني على ماما أو بحاول احملها فوق طاقتها. بالعكس كتر خيرها أنها تحملت ما لا يتحملة بشر وحفضل مدينة

السماير البوسطجي - يريد كان مستعجل

لها بالفضل طول عمري، لكن إجابات الأسئلة أو عدم إجابتها إن صح القول كان جزء من المشكلة أكثر من كونه جزء من الحل، يعني مثلاً:

- ماما هي Sue راحت فين؟

- سافرت، رجعت بلدها .

طبعا كان أول مرة يتبادر إلى ذهني مفهوم أن الدادا بتاعتني مش مصرية! أنا . كنت فاكراها واحدة من العائلة لكن ملامحها مختلفة فقط لا غير

- طب عمرو ومنار؟

- هما كمان سابوا الفيلا بتاعتهم (كذب طبعا)

- طب إحنا حنرجع البيت ثاني؟

- لا، ده بيتنا الجديد وحنعيش هنا طول العمر .

- طب ليه؟

- لما تكبري حتعرفي يا سارة .

- طب ممكن أكلم عمرو ومنار في التليفون؟ مش مامتهم طنط سلوى صحبتك؟

- لا، أنا اتخانقت معاها ومبقتش صاحبتني خلاص، وبعدين قلت لك إن هما كمان سابوا بيتهم، يعني محدش حيرد على التليفون.

- طب هاتي نمرتهم أجرب .

-مش معايا دلوقت .

طبعا، بما أنني من مواليد إسكندرية، فتساؤل هو البحر راح فين؟ كان هو التساؤل الملح وغير مرتبط بتوقيت، وجارتنا مرة قالت لي أنه البحر موجود، لكن مش حنقدر نشوفه من الفراندا لأنه بعيد شوية. وحدثني النيل تفرجني عليه قلت لها لا مش حلوزي البحر، الست قعدت تضحك وأنا غرقانه في سؤالي اللي ملوش إجابة! بعدها عرفت أن تعليمات ماما لكل المحيطين بيها، كانت بتتلخص في عدم الدخول في صلب الموضوع أو مناقشتي في أي تفاصيل، لذلك كنت برتاح لما أقابل معارف المعارف، أو أقارب الأقارب، ناس ميعرفوش ماما بشكل مباشر بالتالي بيتكلموا بعفوية وتلقائية، ويبسألوني عن تفاصيل حياتي وطبعا إجابتي الغالبة كانت هي معرفش لكن بمجرد ما أخرج من الأوضة، يبقى المتسائل عني عنده فضول شخصي اتجاه قصتي. فيسأل القريب المشترك، فيحككي القريب المشترك قصة حياتي للغريب وأنا أولى الناس بمعرفتها طبعا كان مستحيل على طفلة أنها تكون على مستوى وقدر من الذكاء يمكنها من التلاعب بناس اعمارهم أكبر منها بكثير، لكن اتعلمت إزاي أحرك فضول اللي قدامي، وأحككي له أننا كنا عايشين في فيلا وعندنا حاجات حلوة كثير، واخرج من الأوضة بسرعة، اخرج لكن سايبه ودني فيها وراء الباب. وسمعت قصة حياتي أو قصة تحول حياتي فصل فصل، لحد ما عرفت أكثر من اللي كنت محتاجة أعرفه.

القصة هي إن ماما كانت بتشتغل بياعة في بوتيك في القاهرة وهي في ثانوية عامة، لأن والدها اللي هو جدي وبالمناسبة عمري ما شوفته لأنه اتوفي قبل ما أنا اتولد بكثير، كان متزوج وعنده بيت ثاني بالتالي كانت ظروفهم المادية مش على ما يرام وكانوا عايشين في شقتنا الحالية في القاهرة، اللي أنت جيت واتقدمت لي فيها وفي يوم، دخل بابا البوتيك اللي ماما كانت بتشتغل فيه، ومعاها واحدة بأعتراف وشهادة ماما نفسها أنها فائقة الجمال، لدرجة أنهم افتكروها أجنبية لحد ما سمعوا نبرتها ولغتها السوقية المنحطة، بحسب وصف ماما لها برضو بابا الله يرحمه كان عنده شيء من حب التفاحر

بالذات، فقدم نفسه لعمال البوتيك بأنه أستاذ فلان الفلاني تاجر من إسكندرية، وطلب كرسي يقعد عليه، وقال بمنتهى الوضوح بأن حساب جميع مشتريات الست اللي معه هو اللي! حيدفعه، وقال حرفياً: "حتى لو فكرت تشتري المحل نفسه" المهم وقف عمال البوتيك طابور في انتظار طلبات "ست الكل"، واللي فهمته أنها كانت في منتهى التعالي لدرجة أنها كانت بتشتري حاجات احتياطي وتقول مش حتنخسر! ساعتها ماما حست بأن بابا رغم أن مظهره إنسان قوي وصلب إلا أنه بيتم استغلاله بصورة علنية، وأثناء ما ماما سرحانة في الست وأسلوبها الوقح، قام بابا واتحرك أخيراً من كرسيه، وقال للست اللي كانت معه .

-خليني أختار معاك ، أنا زهقت من كثر ما قاعد ساكت .

الغريب أن الست مكلفتش نفسها حتى عناء أنها ترد على بابا سواء بالقبول أو الرفض، وأثناء عملية اختيار المشتريات نفسها كانت معتبرة بابا بمثابة هواء أو ظل بيتحرك معها، لدرجة أنه لاحظ أن عمال البوتيك بدأوا في الهمز واللمز، و مهما كان بابا راجل أبن بلد وميقدرش يتحمل التنزيل من قدره، لكن اختار الأسلوب الغلط في تصليح الصورة بعد الست ما اشترت كل اللي نفسها فيه، و واحد من عمال البوتيك اتحرك معها يوصلها للعربية وشايل مشترياتها كلها، وقف بابا قدام الخزنة عشان يدفع الحساب، فجأة لقي ماما جت و بتعطي له كيس، ولما سألها عن محتواه، أجابت باختصار :

-دي الطلبات

-قال لها طب مودتيهاش على العربية ليه؟

-قالت ماما : لأن دي الطلبات اللي أنت اخترتها على ذوقك ولنفسك، كانت أمشاط رجالي و بشاكير وحاجات كده .

فتح بابا الكيس، لقي كل حاجة اقترحها والست رفضت اقتراحه لها، رمزياً بابا شاف كمية الشعور بالدونية والرفض على هيئة مشتريات جوة الكيس، ماما بتحككي لي أن ساعتها ملامحه اتغيرت، وبدأ يواجه صعوبة في التنفس و دي حالة كانت بتيجي لبابا من وهو صغير كل ما يتعرض لموقف يضايقه، لكن بابا استمر في اتباع الأسلوب الغلط لأنه خرج من

جيبه فلوس و عطا إكرامية لماما ساعتها ماما أخذت الكيس من إيد بابا بسرعة وندهت على العامل يوصل الكيس بسرعة للعربية، على فكرة ماما كانت بتقبل إكراميات عادي، وكان البوتيك فيه صندوق إكراميات الزبائن بيتوزع بصورة يومية على العمال في نهاية الورديات ...

لكن المفاجأة الحقيقية لما بابا ركب العربية وأخذ الكيس على رجله بسبب ضيق المكان وعدم اتساعه لكمية المشتريات، لأنه لما وصل إسكندرية، فتح بابا الكيس بتلقائية لقي الأكرامية جواه ! ساعتها بابا فهم أن ماما لما اخدت منه الكيس بمنتهي العزم وبعثت به العامل للعربية، كانت بتحط فيه الأكرامية اللي بابا عطاها لها، وانتهي الموقف على كده ، تقريبًا كان هو ده اليوم اللي قلب حال بابا، وعرفه أنه ميعرفش كل الناس اللي في الدنيا، وان لسه فيه حاجات كثير ياما خافية عليه، يوم أداله فرصة يراجع حساباته، ويعيد التفكير في حياته كلها، ومع ذلك ماما وقتها الموقف مكنش بالنسبة لها أكثر من راجل ضعيف مغلوب على امره وهي حاولت تساعده، راجل .ضعيف جدًا من جواه ويحاول يخفي ويداري ضعفه بسطوته الخارجية بعد كام شهر، ماما كانت خلصت الامتحانات بتاعتها ورجعت للشغل في البوتيك، كانت أول اجازة الصيف. وأول مرة تدخل البوتيك بعد غياب، دخلت لقت زملاءها واقفين طابور وصاحبة المحل موجودة، وبابا واقف بيص في وشوش العملات واحدة واحدة كأنه طابور عرض مشتبه فيهم أو أهل سوابق لا سمح الله، هي فعلاً شكت أن حد ممكن يكون سرق حاجة أو أن فيه مشكلة ما، لكن سمعت بابا بيقول بيأس لصاحبة البوتيك :

- ولا واحدة منهم، مش موجودة وسطهم. وترد صاحبة البوتيك وتقول :

- هما دول كل العملات اللي عندي .

وأول ما ماما ظهرت في المشهد وقالت صباح الخير، بابا شاور عليها لصاحبة المحل وقال: "هي دي " !

ضحكت صاحبة المحل وقالت إنها مبتعتبرش ماما عاملة أساسية أو مستديمة لأنها طالبة وبتشتغل في أيام الإجازة و أوقات الفراغ وبس. ساعتها المكان فضي وصاحبة المحل تصنعت أنها مشغولة وبعدت. ومتبقاش غير بابا وماما. بابا

طلع من جيبه ورقة الفلوس وقال لماما أنه عايز تفسير واضح الورقة دي لفت ورجعت في كيس المشتريات ليه وإزاي. ساعتها ماما قالت بمنتهي الجرأة واللي بابا اتفاجأ بيها أنها صاحبة القرار في قبول الإكرامية من عدمه.

أكيد بابا كان يتمتع بقدر من الذكاء وحسن تقدير الموقف، حتى لو دخل في علاقة مع إنسانة بتستغله، فلو مكنش ذكي ومتعدد المهارات مكنش قدر يوصل ويبقى رجل أعمال له اسمه وسمعته في السوق وبين التجار، بابا فضل ساكت وعينه بتفحص ماما، وماما لأنها إنسانة بتعشق التحدي بطبعها رفضت تنزل عينها من عينه، لدرجة أن صاحبة المحل اعتبرته نوع من التحدي والتبجح والوقاحة من من عاملة في حق واحد من أهم زبائن البوتيك، زيون ييشترى ويدفع ثمن مشرياته بسخاء، بدون تفكير أو حتى حساب .

وكنتيجة، صاحبة البوتيك رفقت ماما وطردها من المحل، وعشان تتفادي مواجهة مع باقي العمال والعاملات، اتهمت ماما بأنها لسه صغيرة، وتصرفاتها متهورة، وأنها مش على قدر من المسؤولية يسمح لها بفهم وتقدير أن واحد زي بابا ممكن يقفل لهم المحل ويخلي زملاءها يتشردوا ومنهم المسؤولين عن اسرهم وفعالاً مشيت ماما بعد ما سلمت على الناس ومنهم صاحبة المحل اللي كانت بتعيط وبتحلف أنه غصبن عنها المهم ماما صحيت بعد الموقف ده بحوالي أسبوعين، لقت الست صاحبة البوتيك واقفة تحت بيتها وبتنادي . بتنادي بنبرة مختلطة، شوية أمر وشوية رجاء واستعطاف لدرجة أن جدتي الله يرحمها سألت أمي :

-أنتِ عملت إيه؟

ولما ماما نزلت من بيتها تشوف صاحبة البوتيك عايزة منها إيه، فوجئت بيها بتترجاها تروح معها بسرعة على البوتيك لأن بابا موجود هناك وعرف اللي حصل أنهم رفتوا ماما - ومديهم مهلة 24 ساعة، يا يرجعوا ماما، يا يقفلهم المحل وكأن فكرة قفل المحل هدف عند بابا في حد ذاته !

المهم و عشان أختصر القصة ومطولش عليك، بابا قدر يتكلم مع ماما لوحدهم، هي مكانتش محادثة بقدر ما كانت اسئلة واجابات وكأنهم بيعملوا تحقيق لبعض. أو تقدر تعتبره اتفاق إنهاء خصوصية مزدوج، يعني بابا كان عنده اسئلة وماما كمان كان عندها اسئلة، ودي عينة من كلام دار ما بينهم على شكل سؤال وجواب :

ماما: يعني أنت عارف أنك بتستغل، وأنتك في علاقة مع ست أنت بالنسبة لها مجرد فلوس، ومستمر؟ أفهم من كده أنه برضاك وأنت مش مخدوع ومش مجبر على تقبل وضع بالشكل ده؟

بابا: أنا عشت أيام صعبة كتير، أيام كان الحرمان فيها هو سيد الموقف، ومع الأسف لما بقي عندي القدرة لاقيت نفسي مطالب بتعويض كل سنين الحرمان. وده طبعا مستحيل، عشان كده أنا بشتري السعادة مهما كان ثمنها

ماما: سعادة مدفوعة الأجر؟

بابا: بالضبط. عارفة أنا مشدود لك ليه؟ عشان أنت نسخة في التصرفات من أبويا الله يرحمه. كان بيشتغل طباخ وعمره ما داق الأكل وهو بيطنخه، رغم أن زملاءه في المطعم كانوا بيتمادوا في التدوق بحجة أنهم لازم يتدوقوا كل طبق بيخرج للزبائن، كان يقول أن طبق الأكل امانة ولازم توصل من غير ما ينقص منها حاجة .

وأنا يوم ما دخلت البوتيك لاقيت زميلاتك بيتصرفوا في أدوات التجميل كأنها ملكهم الخاص، كل واحدة بترسم وشها بحجة أنها لازم تكون جميلة و عنوان مشرف للبوتيك، لكن الحقيقة أنهم عايزين يكونوا عنوان للخروجة والسهرة اللي حيقضوها بعد مواعيد العمل، كانت نظرات عيونهم للست اللي معايا نظرات حقد وحسد وغيره، كل واحدة فيهم كان نفسها تكون مكانها، الوحيدة اللي لمحت نظرة التعاطف معايا والأستحغار للست هي أنت!

ماما: ومع ذلك أنت ميال للكلام عن الناس أكثر من الكلام عن نفسك، وده دليل على أنك متعرفش نفسك كويس

بابا: تتجوزيني؟

واتجوزوا .. وعاشوا في فيلا بابا في اسكندرية، الفيلا اللي أنا اتولدت فيها، ولحد ما بقى عمري 11 سنة مكتتش أعرف لي بيت غيره، مش حقدرك أكلمك عن الأيام والذكريات والحفلات والسهرات، لكن لو بتتفرج على تلفزيون ومسلسلات حتفهم أنا قصدي إيه، إحنا كنا عايشين وكأننا في فيلم، كنت بشوف نظرات الناس لبنا وكأننا “ فرجة “، ساعتها عرفت أننا كنا. فوق قوي، لدرجة أن لو الأيام كان مشيت في مجراها الطبيعي أنا و أنت كان مستحيل نتقابل .

الظاهر أن والدي لما حكى لأمي في أول مقابلة ما بينهم على سر نجاحه وصعوده ألا وهو الحرمان والرغبة في تحقيق الذات وإشباع طموحاتها وجموحها، كان ييحي لها عن نفس سبب ضياعه وتحطمه، لأن بنفس الدافع ولذات السبب، أبويا انتهى انتهى وانتهت اسطورتته معه، وانتهت معه حاجات كثير، فيه منها اللي يتقال واديني بقوله، وفيه منها حاجات مستحيل اقولها ولا احكيها ولا حتى لنفسي، آخر مشهد متذكراه أن ماما حضرت هدموها وهدومي وقضينا ليلة في الفيلا لوحدا خالص لا بواب ولا جنايني ولا الدادا Sue ولا حتى الكلب والقطة بتوعي، نمت يومها بهدوم الخروج مش بملايس البيت، صحيت الصبح على ناس كثير لابسين بدل ونظارات شمس وشكلهم شبه بعض بيدخلوا الفيلا، وماما بتأخذني وينركب تاكسي لمحطة القطار، ودي كانت آخر مرة أشوف فيها اسكندرية، لكن لما انتظرنا التاكسي في الشارع كنت بشوف ناس بتضحك وهي بتبص على الفيلا وبتقول "كان حرامي"، وطبعاً وقتها مكنتش رابطة ما بين كلامهم ووصف بابا الله يرحمه .

لما ماما وبابا اتجوزوا، ماما بدأت تتعامل مع مجتمع زوجات التجار، أصحاب بابا، وبدأت تفهم شوية بشوية طبيعة المجتمع اللي حواليتها. كل الناس تعرف معنى الطمع وتخاف منه، وفعالاً الطمع هو شيء بيتولد مع الإنسان بالتالي فكرة أنك تقاوم شيء اتولد معاك بتحتاج صبر وعزيمة فوق ما تتخيل. ومع الأسف الطمع اتولد مع بابا ماما اتولدت في بيت مهما كانت ظروفه على قد الحال إلا أنها عرفت وداقت معنى الشعور بالأمان، لكن بابا كلمة الأمان بالنسبة له كانت فعلياً عبارة عن كلمة مطاطة مبهمه ملهاش معنى محدد وبتختلف باختلاف الشخص، يعني بابا الأمان بالنسبة له كان في الفلوس، واصحابه مختلفين عنه بحسب أولوية كل إنسان، واحد أمانه في اولاده، والتاني أمانه في صحته، والثالث أمانه في علمه، والرابع في علاقته، والخامس في خبراته ... إلخ

لما كنت أرجع من المدرسة للفيلا - بيتنا القديم - كنت دائماً ألقى ماما قاعدة مع صديقاتها - زوجات أصحاب بابا - وكلهم بيشتركوا في أن ازواجهم بما فيهم بابا، !مسافرين، متغييبين طول الوقت، شغل وصفقات وكأن الحياة هي الشغل فقط لا غير طب ليه بيشتغلوا! عشان يجيبوا فلوس، طب ماهم عندهم فلوس! لا زيادة ليه زيادة؟ مافيش إجابة محددة، ادمان العمل هو نوع من الطمع المبطن، مهما حاول اصحابه الدفاع عن موقفهم .

بخصوص مدرستي، رغم حنيني واشتياقي للذكريات، إلا أنني مجتبيش سيرة أنني مشتاقة لمدرستي. حاجة غريبة صح؟ رغم أنني كنت بحبها مكنتش بكرهها لكن تفسير نسياني لمدرستي، هو أن أنا، وعمرو، ومنار، كنا كلنا في نفس المدرسة فأنا زملائي في الفصل كانوا هم ذاتهم جيرانني، وعشان كده طول ما كانوا معايا أنا مكنتش بحس بأي اشتياق للمدرسة، مكنتش بالنسبة لي أكثر من مكان. مجرد مكان. طبعًا حسيت الفرق لما نزلت القاهرة وفوجئت بأوراقني متقدمة في مدرسة زميلاتي يقعدوا متنحنين في شوية قبل ما يبدأوا معايا كلام. لكن حفضل مصره أن المدرسة ملهاش نصيب غالب من حنيني للذكريات .

عشان مطولش عليك، وعشان مكنتش السبب في هتك أسرار عائلتي أكثر من كده، قصة إفلاس والدي نتيجة اقتراضه وفشل مشاريعه نتيجة التسرع فيها وعدم دراستها والدخول فيها لمجرد التباهي قصاد مجتمع التجار هي قصة متكررة مضاف إليها وفاته بعد تعاقب الأحداث بفترة وجيزة جدًا، وماما ربنا يخليها لي مكنتش قدامها غير أنها تأخذني وترجع بي على القاهرة، وتستكمل مسار حياتها في البوتيك من أول وجديد، صحيح رجعت بعد 11 سنة لقت صاحبة البوتيك ماتت. وبنتها هي اللي اتولت إدارته، لكنها كانت سيدة فاضلة ومنتخيش عن والدتها .

لكن أنا مش حزينة بسبب تقلبات الحياة، أنا عارفة أن سنة الحياة هي التغيير وناس تحت بتبقي فوق وناس فوق بتبقي تحت، لكن أنا زعلانة من الطريقة اللي مشينا بها، وكأننا عاملين عملة، مقابلتش حتى عمرو ومنار وعشان أودعهم وأديهم عنواني وأحفظ عنوانهم لأنني كنت أصغر من أنني أهتم فيلتهم رقم كام حتي التليفون كانت الدادا Sue هي اللي بتطلبهم وتديني السماعه .

كان نفسي العلاقة تستمر حتى لو مكالمات ولو حصل وهما بعدوا عني وقتها مكنتش حهتهم ولا اسئل، كنت حعتبرها قلة أصل وانساهم ويكون عندي القدرة على أنني انساهم، لكن اختفائنا المفاجئ خلاني متشككة في كل شيء، خلاني فاكرة أنني لو ظهرت قصادهم في يوم أول سؤال حيسألوه ليّ حيكون : روحتي فين . ” اختفيتي ليه وكنت فين طول السنين اللي فاتت؟! “، لكن فضل احتمال واحد وهو أن احتمال ماما كان عايزا تجنبني الإحساس بالرفض، لأن والدهم اونكل نادر رجل أعمال وممكن كان يرفض أي تواصل معنا حفاظًا على سمعته في السوق بعد اللي حصل لبابا، لكن معنديش يقين، كلها ظنون و أفكار ...

وعشان ماما تخلييني أعيش حياة سوية، خالية من عقد النقص بكافة أنواعها خلت الماضي منطقة محظورة، واسكندرية بلدي وبلد جوزها منطقة ممنوعة. بدون سبب واضح. حشر لك إزاي أنا عمري ما نسيت الماضي وأيام حياتي الأولى، وعمري ما نسيت أن ماما كانت سيدة مجتمع متزوجة من رجل اعمال ناجح، لكن عشان تقدر نعيش كان لازم، تنسي وتخلييني أنا كمان أنسى، مفيش قصادنا حل ثاني، لا نملك رفاهية الأختيار كنت بعاني أول أيام وصولي القاهرة من ركود دراسي وشكوي مدرسيني مني، كان فيه سبب منطقي ووجيه الا وهو اختلاف لغة التعليم، كنت في مدراس أجنبية وانتقلت لمدراس محلية، واختلاف لغة التعليم خلاني مضطرة أتعلم اللغة الأول قبل ما أبدأ اتعلم المواد نفسها طبعًا ماما شافت بنتها بتضيع نفسيًا ودراسيًا قدام عنيها، فمكنش قصادها غير أنها تستغل الماضي كحافز للتقدم في الحاضر لكن بحرص وحساب، فكانت تقولي لو نجحتي السنة دي حنساfer إسكندرية. فالفرحة كانت تخلييني طايرة وحتجنن ومش مصدقة، فأبدأ أسألها:

- وحشوف عمرو ومنار و Sue ؟

- فتسكت أو تقول لي بصوت واطي: حنبي نشوف!

وبالفعل أجتهد وأنجح، وتيجي اجازة الصيف، وقبل ما أفتح معها وعداها بالسفر ألقاها تقول لي أن الفلوس يدوب على قد المصاريف الأساسية وأعباء المعيشة والحياة، وأني لازم أنزل أشتغل في البوتيك أو أي محل ثاني وأساعد في مصاريف البيت، وطبعًا أنزل وأشتغل ويتبسطوا مني في الشغل بسبب اجتهادي، فأفرح وأنسى إسكندرية مؤقتًا، وتدخل الدراسة وأفضل مشغولة لحد الصيف اللي بعده، ويتكرر نفس السيناريو، وهكذا كل سنة يتكرر نفس الكلام .

طبعًا في معركة طاحنة أسمها الثانوية عامة، وفي أغلب البيوت هي معركة مصيرية وقلق و دوشة، لكن حتصدق لو قلت لك أنها كانت أكثر الفترات هدوءًا في حياتنا أنا وماما؟

من جهة، تم تأجيل أي مناقشة في سفر اسكندرية عشان أزور بلد أبويا لمدة سنتين بالكامل لحين حصولي على شهادة الثانوية العامة، وده طبعًا مريح جدًا بالنسبة لماما ومن جهة أخرى، دخولي الجامعة ممكن يكون سبب لزيارة إسكندرية بأحد الطريقين إما أنني أجيح مجموع جامعة هناك .أو أنني أطلع رحلة من رحلات اليوم الواحد وأغلب الجامعات

بتنظيمها فكان عندنا هدنة مدتها سنتين، سنتين أولويتني في الحياة خلالهم هي أنني أجيب مجموع كبير، وممنوع وجود أي اهتمام آخر في الحياة باستثناء المجموع. نجحت وبمجموع يعتبر كبير، ودخلت جامعة في القاهرة، واكتشفت أن قوانين ماما بتمنع خروجي في رحلات خارج القاهرة! وهذا القانون صدر فور تبليغي لها بوجود رحلة متجهة لأكندرية وبطلب منها تيجي معايا ..

الماضي هو الأحداث الماضية، أحداث حدثت وانتهت، لكن لما تبقى صور حياتي الماضي وطفولتي بتتكرر قصادي بصورة شبه يومية على مدار سنين عمري، يبقى مستحيل أقدر أعتبرها ماضي بأي حال من الأحوال، هو حاضر مؤجل، ماضي مستمر، لكن لا يمكن اعتبارها ذكريات منسية. لما أنت اتقدمت لي، واتفقنا على كل تفاصيل الجواز بما فيها أن شهر العسل يكون في اسكندرية، فوجئت بماما موافقة وبتقول طالما اتجوزني و بقى ليك حياة مستقلة أنت حرة و اعلمي ما بدا لك ...

عارف ساعتها حسيت بأيه؟ بالضياح! ساعتها حسيت أن الحاجز اتشال من قصاد الحصان لكن الحصان مش قادر يجري ولا يرمح، زي ما يكون الحاجز المادي اتشال لكن فيه حواجز غيره لا مرئية موجودة، معدل نبضات قلبي زاد وضغطي ارتفع، كنت بقول قصاد الناس أنني عشان داخل على حياة جديدة، لكن الحقيقة هي أنني رايحة أستكشف تفاصيل حياة قديمة. اسمع، أنا بسبب ظروف حياتي الصعبة مارست التلاعب بالناس حوالتي، يعني أنا فعلا تلاعبت بالجميع بلا استثناء بما فيهم أنت، و ما أكثر الأمثلة .

-لعبت بالأقارب والمعارف لما كنت محتاجة اعرف سر تحول حياة عائلتنا بتحريك فضولهم زي ما سبق وحكيت لك .

-لعبت بماما لما أوهمتها بأنك مصر على قضاء شهر العسل في إسكندرية و أنك محال تتنازل عن فكرتك رغم أنها فكرتي أنا .

- لعبت بيبك لما أوهمتك بأن في محل في إسكندرية في المعمورة يبيع طرح وإشارات وأني اتفرجت على منتجاته على
النت ونفسي أشتري منه، وطلبت منك تصدر لماما فكرة السفر في شهر العسل لإسكندرية على أنها فكرتك لأنها بتحب
تخالف افكاري .

واتجوزنا. وسافرنا إسكندرية. مكنتش حقدتر اتحمل طول الانتظار في سكة السفر، كانت أول مرة آخذ حبوب منومة في
حياتي. كنت بشوفها في التلفزيون لكن أني أجربها كان مستحيل، لأن لا كان عندي الجرأة ولا الشجاعة أجرب
الحاجات دي أبدًا، لكن لما وصل التوتريوم سفرنا لمستوي معين، حسيت كأني واقفة علي قضبان قطار والماضي
والحاضر قطارات جيا عكس بعض وأنا في النصف حيد هسوني ويفتوني ألف جزء وجزء، قلت لنفسي أن المنوم هو
الحل الأنسب، يومها دخلت صيدلية وطلبت منوم، سألوني عايزة قد إيه، قلت لهم "حبة واحدة" ضحكوا وقالوا لي
أنهم يبيعوا بالشريط، اشتريت شريط وأخذت حبة واحدة ورميت الباقي .

يومها حسيتك حنين قوي. حسيتك أنت التعويض الحقيقي عن كل حاجة حصلت في حياتي، بتسوق بشويش عشان
مصحاش، بتفادي المطبات عشان مقلقش وأنا نايمه، لحد ما جيت تصحيني بصوت احن منه مافيش وبتقول لي
"وصلنا" وصلنا إسكندرية لكن لسه مروحناش المعمورة، وعشان كده كان عندي فرصة أستعد وأجهز نفسي للقاء
الماضي بالحاضر، ولما سألتني عن عنوان المحل اللي نفسي اشتري منه، وصفت لك محل جيت عنوانه من على
الأنترنت موجود في نفس الشارع اللي كنا ساكنين فيه. ولما وصلنا وعلى أول مدخل الشارع، حسيت بروحي بتروح
مني. لكن كانت عيني بتيجي عليك أحس أني أقوى بكثير من ضعفي اللي رسمته لنفسي سنيني اللي فاتت.

ولما وصلنا لاقيتك بمنتهي الشهامة والحب بتطلب مني استناك في العربية لحد ما تدور أنت على المحل وترجع تقول لي
هو فين! للدرجة دي بتحبني وبتخاف علي وعلى تعبي؟ وبتقولي أقفل باب العربية وأخلي بالي من نفسي لحد ما أنت!
ترجع! يعني أنا بدور على أيام عمري الجميلة وأجمل ما في حياتي حاضر جنبي أول ما أنت مشيت أنا نزلت، نزلت من
العربية واتحركت في اتجاه فيلتنا قصدي بيتنا القديم - مشيت خطوة وراء خطوة وقلبي بيدق دقة وراء دقة وكأني بطير
من على الأرض، وصلت ووقفت قصاد بيتنا لاقيتهم هدموا الفيلا وطلعوا مكانها ببرج سكني، فيه مكاتب وشركات
وحاجات كده، ساعتها حسيت بفرحة ولذة ملهمش حدود، لأن محدش سكن الفيلا بعدنا، والأرض ارض الله، ناس

كثير سكنوا البرج ربنا يبارك لهم في سكنهم أو اشغالهم، لكن المهم عندي أن محدش عاش ذكرياتي من بعدي، محدش كمل دوري مكاني، محدش استكمل حياة أنا سبتها ناقصة غصب عني .

لكن عمرو ومنار فيلتهم كانت قصاد فيلتنا، اتلفت بعيني، لاقيتها موجودة لكن شكلها وكأنها مهجورة، لاقيتها ضلمة خالص، أكيد سابوها وهاجروا، صحيح مش زي ما ماما كانت بتحكي لي، لكن فهمت أن الصورة المحفورة جوايا انتهت وانتهت معها اماكنها، وحتى المكان الوحيد اللي فضل شكله فاضي وبقي مهجور ساعتها حسيت بمصالحة بين الماضي والحاضر جوايا، وكأن مبقاش فيه حد أحسن من حد، وحسيت أن مافيش ناس سابت الفيلم من بدايته ومشيت وفاتتهم مشاهد كثير، وناس ثانية كملت الفيلم لحد الآخر واستمتعت بكل لحظة فيه، حسيت براحة واخذت نفس عميق، وغمضت عيني وأنا سامعة صوت العريبات حواليا، سامعة صوت البياعين المتجولين وصوت كلاكسات العريبات، أخذت عهد على نفسي أبذل كل ما في وسعي عشان أخليك أسعد زوج في الدنيا واعتبرت حياتي بدأت من يوم ما اتجوزنا، لكن فجأة. كل الأصوات حوالِي اختلقت، اختفت اصوات البياعين، واختفت اصوات مواتير العريبات، وبقيت سامعة صوت واحد فقط لا غير .

صوت عريبات كثير بتضرب زمارة كلاكس الزفة، ييب ييب ييب ييب فتحت عيني. لاقيت نور الفيلا بتاعة عمرو ومنار اشتغل وبابها اتفتح، واشتغلت انوار وكهارب كثير، وصوت موسيقي عالي بأغاني أفراح! مكنتش فاهمة إيه بييجري لكن كانت أول مرة في عمري اخاف على نفسي من نفسي! حسيت أنني حبست روحي في قمقم حتفضل محبوسة فيه طول عمرها، وشوية شوية بدأت الأحلام .والذكريات تتحول لكوايبس. كوايبس حقيقية عمري ما حصحي منها جريت بسرعة وفتت على الرصيف المقابل لفيلا عمرو ومنار، ولما فتحوا بابها على الآخر، شوفت الماضي بيتجدد، شوفت طنط سلوى صاحبة ماما القديمة ووالدة عمرو ومنار أصحابي، شفت اونكل نادر باباهم وصاحب بابا الله يرحمه. ملامحهم كبرت شوية لكن الفرحة كانت مرجعاهم سنين للوراء شوفت واحدة ست شبت عليها في الأول لكن معرفتهاش، مكنتش متأكدة ولا قادرة أربط الأحداث ببعضها ...

ست شكلها كبير في السن وملامحها أجنبية، مش هي دي الدادا Sue ! المريية بتاعتي ! هي راحت اشتغلت عندهم بعد ماسابتنا وسبناها؟ يعني مرجعتش بلدها زي ما ماما كانت بتقول؟ مكنتش في فاصل زمني ولو حتى أجزاء من الثانية بين كل مفاجأة والثانية تمكني من استيعاب الضربات المتلاحقة، لأن المشهد التالي والأخير كانت بالنسبة لي النهاية .

وإحنا صغيرين كان دايمًا عمرو يقولني إننا لما نكبر حنتجوز، ودايما منار اخته وصاحبتي كانت بتعتبرني خطيبة اخوها وقالتها كذا مرة لما كنا نتخانق مع اطفال غيرنا، وأكثر من مرة ماما وطنط سلوى يقولوا بصراحة أنه ياريت لما نكبر أنا وعمرو نكون لبعض، عمرو كان بيحبني ويشتري لي هداية، لكن كل الهداية كان لونها ازرق لأنه بيعشق اللون الأزرق، اتفتح باب العربية قصاد الفيلا، ونزل منه عمرو أول مرة اشوفه بعد سنين، ملامحه مختلفتش، لكن ملامحي أنا اختلفت كثير زي ما حاجات ثانية كثير اتغيرت في وجوايا، وشفت كمان منار - لسه شقية زي ما هي بتحضن عمرو وأخوها وتتعلق في ذراعه، بعدها طبعا عرفت أنه العريس واني وصلت اسكندرية بعد سنين على يوم فرحه! وشوفت العروسة بتاعته، تشبهنني تشبهنني لو كانت حياتي استمرت في مجراها الطبيعي، لكن بمنتهي الصراحة هي ملهاش أدنى شبه بي حاليًا، تنفع تكون اختي الصغيرة ممكن، لكن فستانها لونه ازرق فاتح، وكرافت عمرو برضوا لونه ازرق، نفس اللون اللي عمرو كان ولا يزال بيحبه أكثر من أي لون ثاني لأنه لون البحر. والسما، ولون احلامنا وإحنا صغيرين اللي اتخطفت في غمضة عين .

فرق كبير بين أنك تحس أن الماضي اتسرق منك وتعيش عمرك تحاول تعوض اللي راح، وفرق كبير بين أنك تحس أنه مازال بيتسرق وناس غيرك بتأخذ مكانك العروسة دي اخدت مكاني، والبرج السكني أخذ مكاني، ونظرات منار اللي كلها حب ومودة كان مفروض تكون لي أنا، أنا صديقة عمرها من أيام ما كنا بتتعلم الكلام، وحتى طنط سلوى وجوزها اونكل نادر، المفروض ضحكهم وكلامهم مع والد ووالدة العروسة كان بيقى مع ماما وبابا الله يرحمه حتى الدادا Sue المفروض تكون دموع فرحتها عشاني أنا، أنا اللي كنت برفض أنها تنام في أي مكان غير اوضتي، معايا وجنبي، بقي كده يا دنيا، بقي بعد غيابي اللي كان غصب عني يوزعوا حياتي بين الأعراب ويقسموها وما يكون لي منها نصيب ! فكرت أقرب منهم، افكرهم بنفسي، أحاول آخذ مكان أقرب لمكاني اللي الأيام حرمتني منه، أفكرهم أنا مين وبنت مين وأحاول أحضر الفرحة بصفتي صديقة أخت العريس وجارتهم القديمة. لاقيت رجلي بتتحرك اتجاه بيتهم غصبن عني قابلت واحدة كانت بتشتغل عندهم وما زالت اسمها أم مسعود، لاقيتها بتركز في ملامحي افتكرتها عرفتنني، لاقيتها

مشيت ودخلت الفيلا وبتمد في خطوتها، وشوية ولاقيتها رجعت تاني وجايه في إيديها طبق بلاستيك جواه أكل من أكل الفرح، معذورة معرفتيش لأن نظرها ضعف، لكن مقدرتش أتحمّل أكثر من كده، الظاهر أن الفجوة اتسعت لدرجة أن أي محاولة لتقريبها لا تستحق العناء، وبمنتهي الصراحة بعترف لك، أني حبيت احتفظ بجزء من الذكريات حتى ولو كان جزء ضئيل، بدون ما اتدخل وافسده بدمج الحاضر والماضي سوا، الإنسان بيكون حريص على الأحتفاظ لو حتى بصورة واحدة للماضي حتى لو كانت كداية! حتى لو كنت دخلت عليهم واقتحمت المشهد، أفضل رد فعل متوقع كان إيه يعني؟ أنهم حيستقبلوني أحسن استقبال! واحضر معاهم الفرح! ويسألوني عن حالي وحال ماما، ويفتكروا ذكرياتهم مع بابا أيام زمان، وبعدين؟ خلاص كده! اليوم خلص وخلص معه عمر كامل اتعاش قبله الحقيقة أن لا دي بقى حياتي ولا بقي لي مكان فيها، ولا دول أهلي وناسي ولا تربطني صلة بهم، القصة خلاص انتهت، والكذاب هو اللي يظن أن للقصة بقية، وساعتها ميقاش بيكذب غير على نفسه، وحتى نفسه عمرها ما تلتمس له العذر. بعد ما اتحركوا في موكب الزفة، لاقيت نفسي وحيدة، بصيت على الطريق اللي جيت منه وكأني ببص على حياتي اللي فاتت كلها، جريت على العربية بسرعة وكأني مجنونة ولاقيتك وصلت وقاعد فيها لوحدها بقالك كثير، ساعتها نظرتك لي كانت مستغربة أكثر من كونها مضايقة، قلت لك بالكذب أني حسيت بالخوف لوحدي نزلت ادور عليك. روت أنت واخديني في حضنك وطلبت منك نرجع القاهرة لأن . ماما وحشتني أوي يعني أنت كنت خايف عليّ من فكرة الانتظار في العربية لوحدي، لأن ممكن حد يضايقني أو يتعرض لي، لكن مخفتش عليا من نفسي رغم أن نفسي أكثر حاجة كان مفروض تخاف منها علينا إحنا الاثنيين، خطورة الانتظار في السيارة أو في الحديقة أو في أي مكان ممكن الإنسان فيه يتأمل ويختلي بأفكاره هي خطورة مصدرها شخص المنتظر نفسه .

عرفت بقي الحكاية؟ عرفت اللي كنت مخبياه عنك؟ ودلوقتي بعد ما عرفت كل حاجة، لسه مصر أني مبحكش واني اتجوزتك غلطة واني كنت مرتبطة بواحد في الجامعة والكلام الفارغ اللي كنت بتسألني عن مدى صحته ده؟ هو فعلاً معاك حق لأنها أسباب شائعة لتغيير سلوك الناس بعد الزواج، لكن أديني شرحت لك القصة من أولها لآخرها، يا ترى بعد ما عرفت حتكون شايفني أنا وأهلي إزاي؟

مصباحتك بالحقيقة هي اقل حاجة أقدر أقدمها لك، والحقيقة واضحة وضوح الشمس ولها أكثر من مصدر، تقدر تسأل ماما، أو اقاربنا أو حتى عمرو ومنار ووالديهم عن قصتي أنا وعائلي، أنا متأكدة أنهم سيكونوا لسه فاكرين، أنا حفضل

قاعدة عنء ماما لءء ما أنء ءأءء القرار اللر بررءك وبناسبك؁ أنا مبقتش ءهمنر نفسر لأنر كل ما بءاول اررء نفسر برعبها أكثر وبعب كل اللر ءوالرا. أنا عشت عمرر مءلوبة على أمرر؁ بلاش ءءلبر أنء كمان .

سارة؁ أغرب قرربة.. منك و عنك

ءعلرق السماار البوسطجر على رسالة ءطورة الانتظار فر السراة

ءبءاً ءعلقرر باقتباس من ءاء الرسالة :

”ءءققة أن لا ءر بقء ءراةر ولا بقر لر مكان فرها؁ ولا ءول أهلر وناسر ولا ءربطنر صلة بهم؁ القصة ءلاص انءهء؁ والءءاب هو اللر برظن أن للقصة بقرة؁ وساعءها مبرقاش برءءب ررر على نفسه؁ وءءى نفسه عمرها ما ءلءمس له العءر“. انءهر الأقتباس .

طب ما كان من الأول را سارة؁ ما كان من الأول؁ ما هو الزوء مفروض أنه شررء ءراة؁ ومعنى أنه شررء ءراة أنه شررء ءكرراة باءءبار ءءكرراة ءزر من ءراة؁ وطالما ءكرراةر كانء مسءءوءة على ءفكررء بهذا القءر برقرر ءءطاً بءأ لءظة قرارك أنك ءءبر ءكرراةر والاءءفاظ بها لنفسك؁ لأنك قسمءر ءراةر لءراةر؁ ءراة فر النور ءرضر المءرطرر بء؁ وءراة ءفررة ومسءرة برءلمر فرها باسءكمال الماضر وأنك ءعرشر ءراة انءرعءر منها فر طفولءك .

لكن سؤال، هل لو غيرنا في القصة وتفصيلها، كان ممكن تختلف النهاية؟ يعني لو كان رجوع سارة إسكندرية ووقوفها قصاد فيلا عمرو ومنار جيرانها في يوم غير يوم الزفاف، وطلبت سارة مقابلتهم وفكرتهم بنفسها ورحبوا بها وأخذوها بالأحضان ودموع الاشتياق، وبفرض أن عمرو صرح لها بأنها هي حب الطفولة وانه بيتقدم للزواج منها وفرحته لا توصف باللقا بعدى سنين غياب وأنه مستحيل يفرض فيها من جديد، بما يشمل هذا الزوج من استرداد كامل للذكريات والرجوع لنفس المستوى الاجتماعي لسارة أثناء حياة والدها زمان، ماذا سيكون مصير زوجها الحالي !

أكيد الإجابة معروفة، لكنني أبداً لن أبوح بها تحت أي ظرف، سبق وذكرت أكثر من مرة بأنني لست في مجال محاكمة شخصيات الرسائل، لكن أنا متعاطف مع رجل متخيله في مهب الريح! رجل كاد ليتم التفريط فيه أثناء شهر العسل! هذا الرجل عايش حياته ببساطة في توقيت وظروف حياة أصبحت لا تمت للبساطة بصلة، المعتاد أن يقال الوسطاء يمتنعون لكن في حياة شديدة التعقيد والتركيب وسريعة الدوران أصبح الشعار هو البسطاء يمتنعون، بسطاء العقل والروح والسريرة، وأصبحت الحياة تحتاج لأصحاب الأرتياب والشكاكين أكثر وأكثر .

الغريب هو أن رغم ذكاء سارة الشديد، إلا أنها تجاهلت نقطة شديدة الأهمية، وهي في جوهرها سؤال، هل حاول عمرو ومنار اصدقاء الطفولة أو والديهم البحث عن صديقة طفولتهم؟ ام اعتبروها مجرد صفحة طويت وانتهت المسألة؟ اعتقد أن سارة كانت محتاجة تتأكد من إجابة هذا السؤال تحديداً وكل تعلقها بذكريات الطفولة لم يكن سوى صمام أمان تحمي بيه نفسها من فكرة أنهم نسوها وأنها أصبحت طي النسيان، أكيد كانت بتقول لنفسها، ياريت يكونوا .فاكريني زي ما أنا فكراهم .

على العموم الرسالة وصلت لشقة كانت في الأصل مكتب محامي، قدرت اعرف أنه كان بيستخدمها كمقر عمل وسكن في نفس الوقت في الفترة الأخيرة ومعني أنه اتخذها مسكن قبل الرحيل عنها أنه كان بيعاني من مشاكل أو ظروف ما تمنعه يرجع مسكنه الأصلي، أكيد كان بيعاني من شكوكه في زوجته سارة مع أنها للأسف بحسب كلامها طلعت بريئة، واتضح أن مشكلتها أكبر بكثير بدون أي خيانة للثقة. لكن، أصعب جزء في الموضوع، حتى بفرض أن زوجها كان قرأ محتوى رسالتها، هل كان يملك يساعدها بأي صورة؟ أعتقد أن سارة هي الوحيدة القادرة على مساعدة نفسها بنفسها .

الرسالة الثامنة :

وسادة الطالب النجيب

المرسل : الدكتور حامد

المرسل إليه : الدكتور راغب

عزيزي وأخي الدكتور راغب، زميلي منذ العام الأول الجامعي وحتى الدراسات العليا، أتمنى أن تصلك رسالتي بينما تنعم بحياة هنيئة بين أبنائك وأحفادك متصداً طليعة العائلة قامة ومقام كقدوة يحتذى بها، اعتذر وليس منا من هو كبير على الاعتذار عن فترات تأخري وانقطاعي وعدم السؤال عنك، متلمساً حسن تقديرك لأعباء الحياة الأكاديمية متمنياً النجاح المتواصل لك ولباقي الأساتذة الزملاء في ذلك المعهد العريق الذي تخرجنا فيه جميعاً.

أسمح لي أن أتحرر من المقدمات وفنون التمهيد لأدخل في صلب الموضوع مباشرة، أكتب لك خطابي لعله يجد عندك صدى، وأنا أعلم أنك من أولئك الأفاضل الذين يلغون بالا ويحسنون الإصغاء لكل شاردة وواردة، ولا يتجاهلون حتى الكلمات العابرة، لعلي الآن أحدثك بفصيح اللغة، وهي ما جرى عليه العرف في المراسلات بين الأساتذة الزملاء من نبت الحقل الأكاديمي، ولكنني سأتحول الآن إلى العامية البسيطة الدارجة لأسباب علمية بحثية تجد مصدرها في رغبتني بأن أذكرك باللغة التي اعتدنا أن نفكر بها بينما نصعد السلم الأكاديمي ومجال التدريس الجامعي، درجة تلو الأخرى .

الموضوع :

أخيراً بقي الواحد يأخذ راحته في الكلام بعيداً عن الرسميات والبروتوكولات، واحشني يا راغب ووحشتني أيامك يا أخي، كام سنة مرت؟ المشكلة أننا مش حينفع نكذب ونصغر نفسنا في السن لأن من أول يوم اتقابلنا فيه وإحنا عارفين ومن ثوابت صداقتنا أننا في سن بعض والفارق بينا لا يتعدى أسبوع، بس شوفت أنت أسلوب الخطابة اللي في الأول ده؟ أنفع مديع نشرة بقول لك إيه! متفعدش تضحك وتكركر وتنسني الموضوع اللي أنا أساساً كاتب لك الجواب بخصوصه، أصل أنا حاولت بشتى الطرق والوسائل أني أوصل لرقم تليفونك، لكن كل محاولاتي بائت بالفشل، مفضلش قدامي طريق

غير عنوان بيتك القديم، اهي محاولة أفضل من لا شيء، خصوصًا أنني لا حقد اقطع فترة الأعادة وانزل مصر اقبالك، ولا أنت بقيت بتحضر مؤتمرات زي زمان، ياخي ده أنا كنت بشوفك واقابلك صدفة في المؤتمرات أكثر ما بشوف مراتي وولادي في البيت، الا أخبار المدام والأولاد إيه صحيح؟ متنساش توصلهم سلامي لو كانوا لسه فاكيرين عمو حامد، وان كان صعب ينسوني لأنهم كانوا كل ما يشوفوني وبسبب طول قامتي المفرط كانوا يقولوا لي باسكت يا عمو؟

أرد عليهم وأقول، لا رباني يا روح قلب عمكم ، العيال كانوا فاكيرين أنني لاعب كرة سلة من كثر ما أنا طويل! ولو سألوك عني قل لهم أن عمو بقي اطول من زمان. أنا مش عارف اسيطر على نفسي من كثر الضحك. كانت أحلى أيام يا راغب يا خويا، لكن إحنا كجيل، ملتزمين بتطوير أنفسنا لمواكبة عقول الشباب، ورغم انتشار فكرة التقارب بين الأجيال والتفاهم المتبادل ورغم كونه محل اتفاق بين أغلب الناس إلا أن التجربة اكدت لي وهي تجربة شخصية بطبيعة الحال، أن الطريق غير ممهد بقدر ما بيدوا العامل المشترك بيني وبينك يا راغب، أننا فزنا في سن مبكر بجائزة كانت السبب في تصدرنا الريادة وبقاءنا في الطليعة طول سنين عمرنا ، يا ترى متذكر الجائزة؟ مضبوط ، وسادة الطالب النجيب ...

مهما أخذنا شهادات و تقديرات ومهما شهدت لنا جامعات العالم بتفوق ابحاثنا والجهد المبذول فيها تظل وسادة الطالب النجيب بمثابة المفتاح لعالم التفوق والنجاح، ياتري يا راغب لسه محتفظ بها؟ أنا ماشي بها دايماً في جيبي ! لدرجة أن الناس بتفتكرها حجاب أو تميمة حظ سعيد ..

يمكن حابب أستغل فكرة جوابي إليك واحاول اجتهد في وضع تعريف منضبط علمياً ومنطقيًا لوسادة الطالب النجيب لأن الفكرة مبهمة في أذهان كثيرين خصوصًا من صغار السن، بالإضافة إلى أن فيه ناس من جيلنا أنكرت ولا تزال بتنكر وجودها من الأصل، بيعتبروها فكرة خيالية أو اشاعة دارجة لكن عدد قليل من الناس اللي صادف ووجدها ...

وسادة الطالب النجيب، هي وسيلة تشجيع ودعم معنوي، انتشرت في بيوت الطلاب - من الذكور غالبًا - بيوت بتتكون من عدد من الشباب المجهد وصل من الريف للعاصمة لرغبته في الألتحاق بجامعة العاصمة المرموقة وذات السمعة العالمية، وفي خضم هذا التحدي وفي بدايته تحديداً، بيتفاجئ بعض طلاب السكن الجامعي برسالة كتبت من مجهول ووضعت بطريقة ما تحت وسائد نومهم ، يفترض أو يقال أنها كتبت من طالب سابق من سكان نفس البيت الطلابي ونام

على ذات السرير! خطاب سيكون أشبه بنصيحة خبير وانسان مؤتمن وصاحب خبرة، ييرشد فيها الطالب لكيفية مواجهة الصعوبات والتحديات، ومن ضمن النصوص الجوهرية في لعبة وسادة الطالب النجيب، أن الكاتب المزعوم لازم يعرف نفسه على أنه طالب بيتخرج في ذات عام التحاق الطالب المستجد - قارئ الرسالة - بالسكن الطلابي، سطر بتتم صياغته بعناية بهدف تفادي فهم الموضوع على أنه رسالة توجيه أو نصح أبوي .

وسادة الطالب النجيب، تأثيرها يتعدى من وجدها ليشمل المحيطين به بمعنى أن لما كان طالب زمان يعثر عليها في أول يوم مبيت في السكن الجامعي، كان يبشعر أن طريقه في الحياة اترسم، وان مساره في المدينة بزحامها وتوهانها بقي واضح، ومعاه كمان قائمة بالتحديات المفترضة وسبل مواجهتها، والرسالة بتحتوي سطر بيطلب من الطالب سعيد الحظ بايجاد رسالة الطالب النجيب تحت وسادته أنه يحتفظ بأغلب المعلومات الواردة بداخلها لنفسه! لأن الوسادة الموجود تحتها الرسالة ستتحوّل إلى وسادة لم ينم عليها سوى العظماء، طبعا الطالب يفصح مع الوقت عن جزء من الرسالة لزملائه، وزملائه يبحاولوا يقاوضوه على أسرارها أو أنهم يحاولوا النجاح ببذل أقصى مجهود عشان يشبتوا أن الحياة شطارة واجتهاد ومش حظ. لمجرد أن واحد عشر على رسالة نصائح تحت وسادته. وبتحصل حالة من التنافس الشريف بين الطلاب بسبب رسالة تحوي نصائح لمجرد أنها نصائح ذات طابع شخصي وليست موجهة للجميع !

طبعا يا راغب يا خويا أنا وأنت أدري الناس بالحقيقة وأنت برضوا سيد العارفين ، والحقيقة هي أنه لا وجود لطالب نجيب كتب رسالة لطالب مستجد ولا يحزنون ، وإنما هي لعبة درج عليها الأساتذة المشرفون على بعض بيوت الطلبة كنوع من الدعم والتشجيع للطلاب المغترين ليس إلا، شباب صغير في السن بيسيّب محل ميلاده ويروح المدينة الكبيرة الواسعة عشان يكمل دراسته، بيلاقي ايد امينة وصادقة بتطبطب عليه وكأنها اختارته هو بالذات عشان ترشده للمسار المستقيم، بتحميه من أنه يتوه ويضيع، بتحسسه أنه مش صغير زي ما هو فاكر نفسه وإنما هو كبير بقدر ما حيقدر يحقق احلامه، أنا وأنت بسبب فضل ربنا سبحانه وتعالى علينا أولاً وصادقة جائزة الطالب النجيب ثانياً، كان زماننا ضعنا أول وصولنا للقاهرة، وانحرف مسارنا بصورة جارفة .

لكن، ولأن الدنيا بتطور ، بما فيها الرواية، فالرواية غير المقنعة أصبحت في عصرنا الحالي مدعاة للسخرية، والذكاء يحتم علينا عدم اجبار جيل الشباب على تقبل لعبة وسادة الطالب النجيب، لأننا بصدد اختيارين لا ثالث لهما، إما

تطوير . اللعبة أو إيقافها تمامًا، وأعتقد أنني لازم أوضح الغرض من كلامي يعني مثلاً إزاي قدرنا نصدق ونتصور لعبة وسادة الطالب النجيب إذا كان وسائد سرايرنا وكسوتها بتتغير يوميًا بواسطة عمال النظافة في بيت الطلبة؟! يعني مؤكد أنهم لو كانوا وجدوا رسالة كانوا إما اودعوها في الأمانات أو رموها مباشرة إلا إذا كان عندهم تعليمات بغير ذلك وهو شيء مؤكد أنهم يدسوها بأديهم . ثم أنه الطالب النجيب المزعوم صاحب الرسالة وتاركها تحت الوسادة مفروض أنه اتخرج من الجامعة وترك الدار منذ شهرين قبل انتقالنا إحنا لسكني الدار! فالسؤال هو إزاي قدر الطالب يرجع ويدخل الدار ويضع رسالته تحت وسادة معينة! الغريب مش فكرة وسادة الطالب النجيب. الغريب كان اللي بيصدقها ، واخذ لي بالك أنت يا راغب يا خويا؟

أنا شخصيًا استطعت التوصل للأستاذ اللي كتب الرسالة اللي كانت من نصيبي أيام ما كنت طالب، بعد ما اتأكدنا من أن الخط خطه، لأن كانت مرت سنين طويلة والراجل نسي هو كتب إيه، ناقشنا جدوى استمرار لعبة وسادة الطالب النجيب، وبالفعل وجدته بيصارحني بأن صعوبة كتابة الرسالة الموضوعية تحت وسادة الطالب المفترض أنه نجيب، بتزداد باستمرار بمرور كل عام دراسي. فمن جانب أصبحت الحياة على قدر من التعقيد وتشابك التفاصيل لدرجة أن ورقة واحدة لا تكفي كدليل إرشادي للطالب المغترب، وطبعًا السبب الأقوي هو الأختلاف الشاسع بين الأجيال بما يسببه من فجوة في التواصل ..

الفجوة بين جيلنا والجيل الحالي - شباب اليومين دول - اتسعت لتصل لمرحلة تعتبر من وجهة نظري المتواضعة أكبر الفجوات بين جيل وآخر منذ فجر البشرية وحتى الآن، بمعنى أن التواصل بين الأجيال كان بيتم بطريقة أكثر يسر وسهولة قبل ما يتطور كل شيء حوالينا ويتم تقسيم الأجيال لجيل ملم بتكنولوجيا العصر، وجيل لا يزال بيتحامي في فكرة الأصالة والعراقة وكل مايؤجل انخراطه في موجة التطور يعني مفهوم الفروسية على سبيل المثال استمر لكام جيل مرتبط بركوب الحصان كشرط مفترض في الفارس! بالتالي وجود شخصين من اجيال مختلفة مجتمعين على ارتباط الفروسية بركوب الخيل، يجعل التواصل بينهما يسر بمراحل من مناقشة يجريها أستاذ من جيلنا مع شاب من الجيل الحالي، معايا يا راغب؟

أنا وأنت بنشترك في تولينا - لجنة تأديب - في مرحلة ما في حياتنا المهنية، يوقف قصادنا طالب حاطط وشه في الأرض ومنتظر عقوبة بصدد توقيعها عليه ممكن تصل في بعض الأحيان للفصل النهائي من الجامعة و بالتالي الفصل من التعليم من حوالي أسبوع يا راغب يا خويا حصل موقف خلاني أعيد تفكيري وحساباتي في اسلوبى ومنهجى وسلوكى كرجل اكاديمى، اتعزمت على معرض للحرف اليدوية المهددة بالانقراض، بعض المشغولات اليدوية من أول الحلى لحد الأقمشة، أنت عارف أننا معشر الأكاديميين مدمنين البحث العلمى ممكن نكون بنضحك وسعداء وعقلنا بييجري عشرات العمليات الحسائية المعقدة لتفسير وضع ما قائم في نفس اللحظة لفت نظرى، أن اسم المعرض غير دقيق! ليست الحرف اليدوية هي المهددة بالانقراض! وإنما أساليب القائمين عليها .

فوجئت بأن أغلب المشاركين في المعرض - المعارضين وليسوا الزوار - لديهم مشهد يتكرر بصورة تكاد تخلو من استثناء واحد، مشهد أب، يعمل بجد واجتهاد في إظهار وإبراز السلعة المختص بها، وبجانبه أو إلى جواره شاب في مقتبل العمر مستسلم للجو المحيط به، بطيء الحركة، يساعد الأب على مضض في عرض السلعة، أغلبهم كانت نظرات عيونهم أشبه بناس لسه صاحية من النوم! حالة من الخمول مسيطرة على الشاب لدرجة أن أوقات كنت بشك في أنهم مشتركين برضاهم . طبعاً فتحت كلام على أساس أن في نيتي الشراء، واكتشفت أنني كل ما اسئل سؤال للشاب، الأب هو اللي يجاوبني! يعني أنا حتى حفظت عن ظهر قلب بعض السطور المتكررة في محادثاتي معاهم لدرجة أنني اعتبرتها محادثة واحدة جرت مع أشخاص مختلفين .

- جميل قوي الشغل ده، وأوجه نظري للشباب الصغير وأسأله: أنت اللي عامله؟

أفاجأ بالأب يجاوب متطوعاً بأنه هو وابنه اشتركوا صناعة المنتج محل إعجابى، وإنهم ورثوا المهنة أبا عن جد، وأنهم رفضوا امتهان أي مهنة غيرها ... إلخ فأروح راجع بكلامي للشاب أو الشابة ثاني، فألاقي الأب أو الأم، ارباب الصنعة، ببشكلكوا حاجز بينى وبينهم.

كان نفسى أقول لهم يعني، حيث انكم مسؤولين عن حرف ومهن وصناعات على وشك الانقراض باعترافكم أنتم شخصياً، بدليل أنكم مشتركين في معرض للحرف اليدوية - المهددة بالانقراض - طب هل الاستمرار في التمسك بالفكرة

كما نشأت في الماضي بدون أي تطوير، لا في شكلها ولا مضمونها ولا مجال استخدامها ولا حتى وسيلة إنتاجها، ألا يعد هذا انقراضاً إراديّاً؟

في مجال السجاد والأكلمة، اتضح لي حقيقة بأن وجود نقوشات متعارف عليها منذ القدم، توارثتها اجيال الغزل والنسيج اليدوي حرفيا بلا أدنى إضافة أو حذف، بالتالي المسافة بينها وبين المستهلك بعدت لدرجة أن متبقاش شيء . يربطها بالحاضر وقياساً على كل ما سبق، وسادة الطالب النجيب كلعبة تحفيزية الهدف منها تشجيع الطلاب على الاجتهاد، إذا لم تتطور فالأفضل لها أن تتوقف لأنها بالفعل أصبحت محل سخرية، المدلول والمحتوى للرسالة أصبح من الماضي! وعشان نكتب رسالة صحيحة تلائم وتناسب الجيل الحالي، لازم نعرف من هم؟ من يكونوا! لأن يستحيل توجيه رسالة إلى مجهول .

من وجهة نظري الشخصية، الجيل الحالي من الشباب هو جيل الرمادية أو جيل رمادي ، جيل توصل لمرحلة من النضج والعقلانية لدرجة أن أدرك بأن الأبيض والأسود محال تواجدهم منفصلين أبداً، كل الحياة رمادية، كل الكائنات رمادية، الخير والشر وصراعهما شيء ازلي، بالتالي هو جيل يركز على الحياة اليومية بأهتمام وتركيز يتساوي مع أهمية الأهداف المستقبلية ، إحنا اتهمناهم زور بأن احساسهم بالوقت معدوم، وانهم غير مقدرين أن الوقت ثروة لا بد وان تستغل، لكن الحقيقة، أنهم أدري الناس بالوقت واهميته لدرجة أنهم رفضوا يضيعوه! أدركوا أن الحياة أغلى من أن تكرس لشيء واحد، ايا كانت أهمية هذا الشيء الجيل الحالي جيل قدم التوازن كتطبيق عملي في كل تصرفاته وكلامي محتاج شرح . واطن أنني قادر عليه ..

إحنا زمان أيام ما كنا طلبة، كنا في صراع دائم مع نفسنا، هل الوقت اللي بنضحى بيه في سبيل تحقيق اهدافنا وطموحاتنا قابل للتعويض؟ هل حنوصل لمرحلة معينة ننجح ونقدر نعوض كل اللي فاتنا؟ ام أن الحياة اختيارات وإحنا ! اختارنا المستقبل وضحينا بالحاضر في سبيله يعني مثلاً ، كنا بنرفض الخروج والفسح زي باقي زملائنا، بنعتبرها تضييع وقت وكنا بنذاكر حتى في أيام الإجازات، بنرفض التعرف على بنات زميلات لنا، وبنأجل كل امانينا وبنعلقها على شرط النجاح، لكن السؤال، هل هذا يعد بالفعل نجاح؟ هل تكريس العمر لهدف واحد يعتبر نجاح؟ حتى بفرض تحقق الهدف، هل المقابل مجزي إذا ما قورن بما تم دفعه؟ يكفي القول إننا أصبحنا بشرًا بلا ذكريات. بكل ما تحمله تلك

الفكرة من معنى. على الأقل لو الشباب اللي بنوصفه بمستتهتر خسر النجاح المهني، حيكون كسب في المقابل حياة اجتماعية، لكن أنا وأنت لو مكنش حالفنا الحظ وكسبنا مهنيًا، كان حيكون مصيرنا إيه؟ متصور الإجابة منك ومتخيّلها، لكن اتحدي لو قدرنا نصارح نفسنا بيها في يوم من الأيام، هذا المصير كان هو مصير مئات بل الآلاف من زملائنا .

الفارق يا دكتور أن زمان أيام شبابنا كان الإنسان الغبي مدعاة للشفقة والتعاطف كونه قليل الذكاء، لكن مستوى ذكاء شباب اليومين دول، مدعاة للشفقة والتعاطف أكثر بكثير من اغبياء عصرنا لأنهم بسبب ذكاءهم المفرط حرموا أنفسهم من الأمل، واستطعوا مصارحة أنفسهم بشيء استحال على جيلنا إحنا مصارحة نفسه بيه، وهو أن أغلب الأمل، كداب . ويستحيل علينا مصارحتهم، بأن الأمل حتى لو كاذب، وتجاهل الواقع والخداع المؤقت للذات، من أسباب النجاح. حتى لو حاولنا نشرح لهم أن التركيز على تحقيق الأهداف بيتطلب من الإنسان عدم التركيز أو الألتفات لمجريات الأمور من حوله، لا مجال في حياتهم لأعمال مثل هذه النصيحة يا دكتور، عندهم الإنسان المتغمي، خايب وأبله، لكن الإنسان المتغمي في جيلنا، بيطلق عليه مجازًا، أنه يبص على نصف الكوب المليان! مركز على هدفه ومش شايف غيره إحنا بنلومهم على إيه؟ على عدم رغبتهم في تصديق أكاذيبنا وأساطيرنا؟ هل يملك الكاذب محاسبة المكذوب عليه على حسن إدراكه وفطرتة السليمة؟ لو إحنا كنا جيل رومانسي، فهما جيل مؤسس الواقعية البحتة في الحياة، جيل ممكن يمتنع عن الحب لنقص الأماكن، جيل عنده مخزون من تجارب السابقين بيخلي اختياراته حكيمة دون الحاجة لخوض التجربة والتعلم منها طب أي رأيك بقى أني عندي دليل علمي على عبقرية الجيل الحالي؟

أنت عارف إيه هي فكرة الملخصات. طبعا مقصدش ملخصات الطالب الفاشل اللي بتختصر مادة علمية مهمة في بعض النقاط الموجزة بحيث أنه يجي في الامتحان يكون حتى غير قادر على شرحها، وإنما القصد فكرة معامل التكرار. يعني لما إحنا دخلنا الجامعة زمان، كنا الدفعة الثانية أو الثالثة، فلو حسنتين بنماذج امتحانات، معنديش مخزون تكراري للأسئلة الأكثر أهمية أو شيوعا أو حتى المحورية في المناهج، لكن أي طالب انهارده في جامعة مر على انشاءها سنين طويلة، عنده القدرة يستعرض مئات نماذج الامتحانات ويتسخلص منها الأسئلة المرتبطة بالمنهج اللي بيديرسه. الطالب بيصنع ملخص بيشرح فيه المنهج بأسلوب السؤال والجواب. أسلوب مختلف صحيح لكن هم معجبين به، خلاص المتعة في الاختصار لديهم فاقت متعة المطالعة، حنعملهم إيه؟

بالمناسبة أنا حابب أقولك إنني عملت محاولة أخيرة لإنقاذ لعبة وسادة الطالب النجيب، اتصلت بأستاذ زميل في قسم دراما ومسرح تخصص كتابة السيناريو كان سبق وصرح لي في عشاء اكاديمي بأن شباب كثير من كتاب السيناريو يعرضوا شغلهم عليه طمعا في تقييمه ومساعدته، وطلبت منه حبكة لوسادة الطالب النجيب، حبكة لها علاقة بالجيل الحالي، همومه وافكاره، مخاوفه واحلامه، مهو يا إما العابنا ووسائلنا التعليمية تواكب العصر، يا تدخل المتحف، مافيش اختيار ثالث، بحلم انقذ لعبة حبتها وعشقتها وكانت بتأنس وحدتي، وصعبان عليا اولادنا واحفادنا يتحرموا منها، لأن حجم الدفئ اللي فيها لم اصادفه في حياتي، مستنتي رذك ورأيك يا راغب يمكن أرتاح من الحيرة !

تعليق السمسار البوسطجي على رسالة وسادة الطالب النجيب

ياه، أخيراً؟ أخيراً بعض التقدير؟ يااه .

يعني إحنا مطلعناش جيل فسدان وتلفان وصدمان وكحيان وعدمان وبتنجان وحاجة آخر بوظان واتكالي وكسول وخمول وعنده فضول ووكل واي شيء مش معقول! أكثر رسالة متأخرة أنا تضررت من تأخرها في حياتي! لكن بعيداً عن الهزار، هناك بعض النقاط استوقفتني في واحدة من أغرب الرسائل من وجهة نظري على الإطلاق :

النقطة الأولى: علاقة لعبة وسادة الطالب النجيب بالنكات القديمة

زمان في صغري لما كنت بسمع نكت قديمة بين جدي واصدقاءه مثلاً ، كنت بفهمها لكن بعنقد أنها غير مضحكة بالمرّة، ولما سألت جدي عن سبب عدم ضحكى ولو لمرة واحدة على نكتة من نكتهم، اجابني بمنتهي الحكمة وقال، أن النكت القديمة أشبه بكوب شاي خفيف، لا يجدي أثراً مع شخص قضى عدد ساعات طويلة بدون نوم. لكن هذا الأخير محتاج كوباية شاي ثقيلة، يعني إحنا جيل مثقل بالأحلام والهموم والطموحات والمخاوف، يوم ما نكتة تضحكنا لازم تكون في منتهي القوة والحبكة وتكون جديدة جداً. تكون كوب شاي ثقيل بمعنى أصح، لكن جيل جدي

واصدقاؤه، أي كوب شاي خفيف قادر على أنهم يخليهم في منتهي النشاط والحيوية، لأن خط سيرهم في الحياة كان بسيط ولا يعانون من التفكير الزائد وليسوا في حاجة أبداً لكوب شاي ثقيل .

النقطة الثانية: وسادة الطالب النجيب لا تنقرض أبداً، لكن يتغير شكلها

الأستاذ الفاضل كاتب الرسالة، مشكلته أنه مُصر على تطوير شيء غير قابل للتطوير، لأن الشيء إذا تطور زاد إمكانياته مع بقائه أقرب للصورة الأصلية، ولكن إذا تغير، أصبحنا بصدد شيء مختلف، ولذلك أنا مختلف مع الأستاذ كاتب الرسالة في هذه المسألة. بداية التطوير تبدأ بالتخلي تماماً عن فكرة لعبة وسادة الطالب النجيب، ويتم البحث عن إيجاد بديل عصري مرتبط بالكمبيوتر والإنترنت. ولست في مجال تقديم اقتراحات .

النقطة الثالثة: بحث واستقصاء

بسؤال أبي وأعمامي وأجدادي من جهة الأب والأم نظراً لأن بيت الطلبة كان مرحلة من مراحل حياتهم جميعاً بلا استثناء عن لعبة وسادة الطالب النجيب اتضح أن لا أحد يعلم عنها شيئاً! يبدو أن الأمر كان يتم في أضيق نطاق ممكن بحيث احتفظت اللعبة لنفسها بأطول فترة بقاء ممكنة مما جعل الأستاذ كاتب الرسالة يطمع في المزيد من الامتداد لها. والغريب أن الرسالة بتنص على أن كاتبها وهو أستاذ جامعي كما فهمت، ومنتلقياً أيضاً كذلك، كانوا من المحظوظين بإيجاد رسالة وسادة الطالب النجيب، فهل هي صدقة أنهم نجحوا أكاديمياً نجاحاً باهراً بعد إيجاد رسالة تحت وسائدهم! يبدو أيضاً بأن الرسالة كانت تتمثل دفعة معنوية غير قابلة للأيقاف بحيث يشعر صاحبها بأن الأقدار اختارته ليكون ذا شأن مما يؤكد أن الوهم يصنع الواقع أحياناً حتى لو كان عبر الإيمان بأفكار لا أساس لها .

النقطة الرابعة والأخيرة : بكل أسف وصلت الرسالة بعد فوات الأوان لشقة أنا اشتريتها من شاب فاضل بتفويض من والده صاحب الشقة اتضح لي من خلال قراءة الرسالة أنه صاحب الشقة، ونظراً لأنني سمسار قديم في المهنة، لما عرفت موضوع أن التعامل سيكون عبر تفويض، حبيت أسأل عن وضع مالك الشقة وعن مشكلة عدم قدرته على الحضور بنفسه، هل مسافر؟ هل عنده ظروف أو مشكلة؟ فابنه صارحني بأن والده بيعاني من مشكلة نفسية أثرت على قدرته على

الءركءة والنطق؁ والموضوع باءءصار أن ءكءور راعب قبل ما ىءعرض للصدمة العصبىة مباءرة كان كءىر الاءءكااء مع الطلاب باءءباره عضو لءنة ءأءىب وكان هناك طالب معىن اءءء بىنه وىىن الءكءور راعب مشكلة وأصءر قراراً برفته نهائىاً؁ إلا أن هذا الطالب اسءطاع بطرىقة ما رفض ابن الءكءور راعب رواىءها؁ أنه ىعود للءراسة بل ءءدم بشكوى ضء الءكءور راعب .

وكبرىاء الءكءور راعب لم ىءءمل ءلك الهزىمة من وءهة نظره؁ فأصابه الإعاء ورجع بىءهم ىومها فاقد القءرة على النطق والءركة لأسباب نفسىة بءهه. فكانء نصىة الأطباء ضرورة أخذه لمكان بعىء؁ بالءالى اءخذ ابنه قرار ىىع الشقة؁ واءءقء وقفاً لما اءءكر وفهءم ءأن هذا المكان البعىء المقصوء به إءءى قرى مءافظة المنصورة مسءط رأس الءكءور راعب؁ شفاه الله وعفاه .

الرسالة التاسعة :

أشباه الحب كثيرة

المرسل : غير معروف

المرسل إليه : ريهام

أشباه الحب كثيرة، وإحنا متعلمناش كويس! هي دي الحقيقة، الواحد يقابل ويصادف ألف إحساس وإحساس، ويفتكر أن كلهم حب، لكن الحقيقة أن الإنسان ممكن يعيش عمره كله من غير ما يقابل الحب ولا مرة في حياته ولا حتى يشوفه بين اثنين يبحبوا بعض من بعيد لبعيد، والمشكلة أن اللي عرفوا الحب احتفظوا بمعرفته لنفسهم، عشان كده لما أنا عرفت الحب ومعني الحب، كان لازم اتكلم ومحتفظش بالسر لنفسي، وإلا يبقى مفرتش كثير عن غيري .

أشباه الحب كثيرة، تعلق، تملك، عشرة، تعود، انس، تباهي، تعويض، تنافس كلها أجزاء حب، ولا ترقى لمستوي الحب أبداً، والحب الحقيقي عمره ما يبقى من طرف واحد، وعمره ما يخلي حد يجري وراء حد، وعمري ما يخلي طرف مستني اهتمام من الثاني، ولا عمره يخلي الطرفين يرتكبوا أخطاء باسم الحب لأن الحب . كلمة ضد الخطأ، لأنه أكثر حاجة صح في الدنيا .

وأنا يا ريهام مش مدير فاسد حاول التغيرير بموظفة عنده، أنا مجرد إنسان اختلط عليه الأمر، أشباه الحب كثيرة، وأنا متعلمتش كويس أنني أكون قادر على التفريق بين الحب واشباهه، وجهلي لا يعفيني من خطئي، وأنا معترف بخطئي اعتراف لا رجعة فيه، وبقولها لك واعتبرها وعد، لو مسحتبتش استقالتك خلال أسبوع، استقالتني أنا حتكون على مكتب رئيس مجلس الإدارة في اليوم الثامن، أنا خلاص مبقتش عايز حاجة من الدنيا، غيرك .

واكتشفت أخيراً أن تعليماتي كمدير للعاملين تحت سلطتي أنا شخصياً لا أتحملاً! أنا مش فقط اتضح أنني مدير سيئ، وإنما اتضح أنني كمان إنسان سيئ، سيئ لأنني محصلتش على قدر من التعليم يؤهلني للتعامل مع الحياة، لكن كنت بعتمد على، الحداقة، المفهومية، الشطارة، الفهولة، وعدد كبير من الناس المعتمدين على المفاهيم السابقة لا يملكوا معنى واضح لها، وإنما بيعتبروها سرعة بديهة مع حسن تصرف وتقدير للموقف، أوهام. مجرد أوهام وأنا بعترف أنني كنت أحد هؤلاء الموهومين، إحنا محتاجين نتعلم كل حاجة، مهما كانت صغيرة محتاجين نتعلم إزاي نحب، ولما نحب منأديش اللي بنحبهم، ولو مافيش مناهج بتعلم وتدرس مخالطة البني آدميين لبعضهم البعض باحترام وأدب وذوق، يبقى ضروري كل إنسان يبني منهجه بنفسه، بينيه من خلال الواقع واللي يرضي ضميره قصاد ربنا سبحانه وتعالى، لكن مستحيل السنين تمر وناس تختلف وتتفق على شيء ملوش منهج، والحب ملوش منهج، البشرية قدرت تضع مبادئ متفق عليها لعلوم وينتج عنها اكتشافات لكن الحب، فضل بعيد عن أي اجتهاد يبحاول يدرسه ويفسره، لدرجة أنني لما فكرت في الموضوع بتأني وتمعن، فكرت أن ممكن يكون البشر متعمدين عدم دراسة الحب دراسة منهجية وموضوعية لأنهم مستفيدين من كونه شيء فضفاض. مطاط. كل إنسان يفسره على هواه وكما يحلوا له، يعني مثلاً لو اختلفنا في موضوع من موضوعات علم النفس أو الاجتماع أو المنطق، نقدر وقتها نطلب مساعدة أستاذ متخصص يوضح لنا المسألة، لكن لو اختلفنا في الحب أو على الحب، هل موجود أستاذ حب يوضح لنا حقيقة موقفنا ويبين مين فينا صح ومين غلط؟

عارفة يا ريهام حيث إننا اتفقنا على الصراحة، أو بمعنى أصح أنا اتفقت على أنني أكون صريح معاك من طرف واحد، أنا حقول لك على سر، أنا كل حاجة درستها في حياتي، درستها مرتين! مش فهماني صح! حوضح لك لما كنت شاب صغير، في المدرسة والجامعة، كنت بذاكر وادرس واجتهد، لهدف واحد فقط لا غير، وهو أنني انجح وانتقل للسنة الدراسية التالية، لأن الانتقال من سنة إلى سنة هو المعيار الوحيد المعترف به للنجاح، بغض النظر عن كوني استفدت من دراستي فع في حياتي أو لا، ولو افترضنا أنني استفدت من دراستي جداً، لكن مقدرتش أنجح وأجتاز العام للدراسي والتحق بصف أعلى، حفضل في نظر الجميع ساقط وفاشل! مهما بلغ حجم استفادتي من المنهج، مع الوقت أصبحت مجبر على الفصل بين فكرة أنني اتعلم الشيء لأنني محتاجة فعلاً، وبين أنني أتعلم الشيء لأن وارد واحتمال أتسأل بخصوصه، نظرية الامتحان يعني .

كنت أوقات أسأل مدرسيني: ليه المعادلات الرياضية شكلها كده! يجاوبوني احفظها كده أوقات أعمامي وخيلاني يسألوني: حافظ أبيات شعر جاهلي تسمعها لنا؟ كنت أجابو أغرب إجابة ممكنة ، كنت أقول: أنا كنت حافظ ونسيت ! ومرة أنا و والدي ماشيين في الشارع وصادفنا أجنب بيألوا عن عنوان، قلت لوالدي يا رب يلاقوا حد بيتكلم إنجليزي! فوجئت بالرجل اندهش! وقالني طب ما أنت بتتكلم إنجليزي وبصرف عليك الشيء الفلاني دروس كمان، ما تروح وتساعدهم!، جاوبته إجابة كانت فعلاً صادمة، لدرجة أنه رفض مبدأ النقاش معايا وكان حريص على تغيير الموضوع .

قلت له: اتكلم إنجليزي إزاي وإحنا في إجازة الصيف؟

طبعا هو عذر كوميدي مثير للسخرية، لا يشفع لصاحبه أبداً ولا ينفعه، لكن فكرة أنني بتكلم إنجليزي في الشتاء فقط وأثناء الدراسة تحديداً، مصدره أن لا يزال عقلي بيتبع نظرية - الاحتياج وعدم الاحتياج - وبكل أسف والدي فهم معنى كلامي، لكن فهمه على نحو وكأنني بقول له، طالما بنجح في الدراسة اللي أنت بتدفع لها دروس، ملكش حاجة عندي! مع أنني لم أكن أتجرأ أجري حوار مع والدي أو أي راجل كبير بهذا الشكل أبداً، لكن الحقيقة أنه فع الدماغ تمت برمجتها من صاحبها على حفظ أشياء وبمجرد انتهاء الامتحان الدماغ بتغسل نفسها بنفسها استعداداً لقدم عام دراسي جديد بكلام جديد .

لكن أوقات الحقيقة بتفرض نفسها، وقصتي معاك يا ريهام كانت خير مثال أن الحقيقة لازم يجي لها وقت وتفرض نفسها لكن أنا كل شيء حسيت أنه مهم في حياتي، درست مرتين، مرة وأنا مجبر، ومرة وأنا مختاره بمحض ارادتي، يعني مثلاً لما اتعينت في الشركة وكنت موظف صغير في بداية الطريق، اكتشفت أن لغتي بها أخطاء لغوية فادحة لدرجة أن المديرين وقتها كانوا على وشك الاستغناء عن خدماتي لأنني لا أصلح موظف مراسلة مع الشركات و مستواي اللغوي بهذا الشكل !

فرجعت ادرس نحو وإعراب من أول وجديد، لكن دراسة متأنية هدفي منها فعلاً أنني استفيد بيهم في حياتي، بالتالي خلصت منهج النحو كله في قرابة الشهر، واعدت كتابة وصياغة خطابات الشركة. و درست إنجليزي تاني، محادثة وكتابة، دراسة حرة مع نفسي، مكنتني من فهم قد إيه أنا كنت بهدر الوقت وحريص على الشكل أكثر من المضمون .

أصعب تجربة لما رجعت أدرس حساب ورياضيات، لأنني اضطررت أرجع سنين للوراء عشان أقدر أفهم طبيعة المسائل الحسابية من الأول، كنت بروح اشترى كتاب الحساب والبائع يظن أنني بشتريه لأبني، وفعلاً مرة بائع سألني : أبني حضرتك في سنة كام؟

كان ببسأل بحسن نية عشان يعرف يجيب كتاب يخص أنني فرقة دراسية تحديداً، لكنني اعتبرت سؤاله اختبار وامتحان لصدقي مع نفسي، فإجابتي كانت بالحقيقة : أنا بشتري الكتاب لنفسي! عايز اراجع على كل اللي نسيته! ساعتها البائع تقبل الموقف وقال ربنا يوفقك! وساعتها اتعلمت أن طالما الإنسان معندوش مشكلة مع نفسه يبقى مستحيل يكون لغيره مشكلة معاه ... الإنسان المتصالح مع نفسه، كل الدنيا حتكون متصالحة معاه .

عارفة يا ريهام أنا ليه بحكي لك كل ده؟

عشان أثبت لك أنني مش وحش كاسر متوحش ييفرق بين الأحبة أو يستغل سلطته في احراج الناس، أنا مجرد إنسان كان بيحاول يدافع عما يظن أنه يملكه وعارفة بحكي لك كل ده ليه كمان؟ عشان أثبت لك أنني لما بحتاج اتعلم. بطلب اتعلم. مبتكبرش. وقدرت أنني اعوض جزء كبير من عدم استيعابي للعلم بإعادة دراسته، لكن مع الأسف، فيه علوم ملهاش كتب عشان أقدر اذاكرها، الحب ملوش كتب ومراجع وإلا كان زمني اشتريتها كلها، وعشان تعرفي مدى صدق كلامي، أنا حكي لك الموضوع من أول يوم اتقابلنا فيه وكان اسعد يوم في حياتي، لآخر يوم، واللي بحاول انساه بكل طريقة ممكنة .

لما شركتنا عملت إعلان وطلبنا فيه موظفين جدد، كان أول يوم أشوفك فيه حسيت اتجاهك بأحاساس مكنتش قادر اعبر عنه ولا أفسر لنفسي، حسيت نحييتك بالانتماء. بأني بنتمي لك وأنت بنتمني لي، حسيت أننا اقارب من عائلة واحدة، لدرجة أنني حسيت بأني اعرفك من سنين طويلة واني بتوقع ردود افعالك وتعبيراتك بملامحك قبل ما ترسميها ، وفعلاً كنت أقول دلوقت حتستغرب، وألاقيك استغربتي، دلوقتي حتبتسم، والأقيك ابتسمتي. حسيت أنني أعرفك ولأنني أعرفك ! افترضت أنني أولى الناس بيبك، على أي أساس، حقيقي معرفش !

بدأتني تنتظمي معانا في الشغل، وقع أدائك كان ممتاز، لكنه كان ممتاز بسبب وجود شخص مجهول يمهّد الطريق قدامك ويزيل العقبات حتى من قبل ما أنت تلاحظيها، حولت نفسي لواسطتك، بدافع عنك واختارك في المهام السهلة البسيطة واكتب في التقرير أن الأداء ممتاز. كل ده وأنا مش ظاهر في الصورة بعدي قصادك وتعدي قصادي ونقول صباح الخير لكنك متعرفيش أنني بدير الأمور كلها لمصلحتك. عندي حالة من الولاء ليك وكأني اعرفك من سنين طويلة، وأنت حتى متعرفيش أنا اسمي إيه !!

بدأ زملاءك يشيدوا بأدائك. وبدأتني تثيري إعجاب باقي الموظفين. حسيت بغلطة عمري أنني سلطت عليك الأضواء في أكثر وقت كان مفروض احتفظ بيك لنفسي فيه، والمشكلة أنني بعترف أنني مش فاعل خير، أنا كنت بمهّد الطريق بيني وبينك قبل ما اظهر وأقول لك أن كل نجاح أنت حققته كنت أنا السبب فيه اختار لك أسهل شغل، أصلح أخطائك في السر، ابعدك عن المشاكل من قبل ما حتى تحصل. كنت بحاول أمهدلك فكرة أن واحد بيحبك بيعمل كل ده عشانك كنت مفترض أن واحدة في جمالك ورقتك أكيد سمعت كلمة بحبك كثير، واكيد جالها منها مناعة ومبقتش تصدقها، افترضت أنك محتاجي دليلي على حبي ليك لو حاولت اتعرف عليك وااقدامك نفسي بصفتي. معجب في السر واسير للظل .

عايز أقولك إن من فرط اهتمامي بيك، أهملت في شغلي لدرجة أنني بدأت أتلقني ملاحظات على مستوى أدائي المتذبذب، لكن صدقيني أنت كنت شاغلة بالي ومستحوذة على اهتمامي لدرجة أن كانت آخر اهتماماتي، هي نفسي. لكن عشان أكون صريح معاك، هي مرة وحيدة فضلت نفسي عليك فيها، بمعنى أنني فكرت في مصلحتي قبل ما أفكر في مصلحتك، لما عرفت أن الشركة قررت تستغني عن نسبة من العمالة، وانه استغناء ملوش علاقة بالأقدمية لكن حيكون على حسب احتياجهم للتخصصات. وقتها بمجرد ما ضمنت أنهم حيجددوا معايا العقد واني مستمر معاهم، أول ملف اهتمت بيه كان ملفك، حتى أنني فضلتك على زميلي اللي عنده بيت زوجة واولاد، الحمد لله أنهم جددوا معه العقد هو كمان وإلا كان حيبقي ذنبه في رقبتي أنا ...

وحتى في المثال السابق وأنا بدعي أنني فكرت في نفسي قبل ما أفكر فيك، كان مصدر اهتمامي بنفسي أنني لو اتجدد عقدي كمدير وقتها حقدر ارجعك الشغل ثاني لو كانوا استغنوا عنك، حقدر ارجعك حتى ولو على وظيفة سكرتيرة لكن

المهم أن بوجودي حتضمني أنك تلاقني اللي يحميكي آخر حاجة كنت أتصورها أن يظهر منافس يكسب قلبك مجاناً اعتماداً على فكرة القبول الشخصي! الظاهر أن من كثر ما تفكيري معقد، نسيت أن في الدنيا حاجات كثير ممكن تتحل ببساطة! نسيت أن ممكن الحصول على الشيء بمجرد طلبه طالما أن الأمور ماشية ببساطة، وده اللي خلي موظف زميل لنا كنت بعتبره لا يشكل أي مصدر منافسة في أي مجال من المجالات، يتجرا ويطلب منك تشربوا فنجان قهوة في كافية جنب الشركة لأنه عايز يفاتحك في موضوع! عرفت أنه أكيد حيمهدلك قبل ما يتجراً ويفتح معاك أي موضوع ...

قلت لازم اتصرف واعمل أي حاجة قبل ما تروحي مني، حطتي نفسك مكاني، شفت حلم حياتي حيروح لغيري طب كنت اعمل إيه؟ ساعتها ظهرت في الصورة، وطلبتك تجيلي مكتبي ووقتها استغربتي طلبتي لأنني عمري ما عملتها ولأن علاقتنا لم تكن تتعدي صباح الخير بدون أي تعامل مباشر بيني وبينك يومها لما دخلتني المكتب، فضلت سرحان في عنيكلي وأنا مش عارف أنا عايز منك إيه؟ وكأن النظر ليها هدف ومتعة في حد ذاته، ولولا أنني خفت تفتكريني غريب الأطوار أنا كان ممكن أفضل سرحان في ملامحك إلى ما لا نهاية، وفعلاً مكنش عندي موضوع أقدر اتكلم فيه، غير موضوع واحد مسيطر على كل حواسي وتفكيري، أنك بتروحي مني ساعتها ولما سألتك عن ميعادك مع زميلنا وياتري كان عايز منك إيه!. كنت بكلمك بنبرة اتهام وأنا مليش لا حق ولا سلطة أنني أتجاوز معاك حدودي بالشكل .ده، ساعتها سؤالك فوقني لنفسي لما سألتيني :

-أنت مين؟

خرجتني برة المكتب منفعة، وأنا كنت بغرق في بحر افكاري، بحر واسع ملوش، أول من آخر، وطبعاً انتي أحب إلى قلبي من فكرة أنني أصب جام غضبي عليك لكن ممكن أصبه على زميلنا اللي بيحاول يأخذك مني، عارف أنه غلط لكن وقتها اتحسبت كده ..

للأسف، أي مدير أو أي شخص حتى لو كان بدون وظيفة يقدر يتصيد الأخطاء وقيم ويحلل أداء الإنسان اللي قصاده، بالتالي طلبت ملف أخونا فواز اللي طلب معاك ميعاد، وجهزت ملف باخطاه كلها على أساس أنه يتعرض على المدير العام ونبلغه أننا استغنيانا عن خدماته، خاصة أن الشركة كانت بترحب بالاستغناء عن أي عمالة بغض النظر عن مدى

أقدميتها. وبالفعل قدرت أوصل لرفرت فواز زميلنا بدون أدنى ذنب غير أنه حبك. حبك قد ما أنا حبيتك. لكن صدقيني أنا حبيتك أكثر بكثير. حبيتك حتى أكثر من نفسي، أنا فيه تجاوزات في الشغل ارتكبتها عشان احميكي وتقدرني تستمري في الوظيفة وتكوني قصاد عينيا ليل ونهار، لو تجاوز واحد منهم اتكشف. بيقى مستقبلي انتهى! ومع ذلك أنا بعفيكي من أي مسؤولية، لأنك مليكش ادني ذنب أن واحد مجنون حبك بجنون!

آخر مشهد وأصعب مشهد في نفس الوقت، لما كنت واقف جنب المدير العام وهو بيبلغ فواز قرار الاستغناء عن خدماته، ساعتها الراجل بقي عيونه كانت بتكلمني وهي ساكتة بتكلمني بلغة الصمت وكأنها بتسألني "محاولتش تمنع رفتي ليه؟" أو مال لو عرف أن فكرة رفته من أولها لآخرها تمت تحت إشرافي يا ترى كان حيقول عليّ إيه؟ ساعتها خرج من المكتب مش قادر يجز رجله وراه، ماشي ايد ورا وايد قدام، كانت أول مرة في حياتي احس أنني مجرم! طول عمري كنت بستغل نفوذي في الخير، في أنني اداري أخطاء ناس، اتعاضي عن أمور صغيرة، اتسامح مع الموظفين الشباب صغار السن لأنهم لسه في أول الطريق، ويوم ما أظلم أظلم فواز، صحيح هو كان شخص قليل الكلام والتفاعل، لكنه كان الوحيد اللي كل ما بيقى في إيده مشروب لازم يعزم عليّ منه ويعزم بقلب مش عزومة كذابة. طبعا بعد ما فواز خرج من مكتب المدير العام في حالة يرثي لها، أنت سألتيه عن سبب تعبه، وشفته وهو بيحاول ياخذ نفسه ويحكيلك وانتوا خارجين من الشركة. الظاهر أنني تلقيت العقاب مباشرة في رد فعلك، شوفتك وأنت بتسنديه، لحد ما وصلته برة الشركة وركب تاكسي كمان، شفت حبيتك اللي عمري ما شوفتها على حد. وأول ما رجعت الشركة تاني دخلتها وملا محك متغيرة، زي ما تكوني عارفة أنني أنا السبب، دخلتي مكنتي من غير حتى ما تخبطني الباب وتسأليني بمنتهي الصراحة :

-ليه؟ هو عملك إيه؟

-جاوبتك: سرق .

-سأليني: سرق إيه؟

-بصيت لك وأنا برفع دقني نحيتك، وقلت لك: حاجة مش بتاعته .

- وأخر كلمة منك ليّ كانت: أنت مجنون! فعلا معاك حق. مقدرش أكذبك .

لكن لما كنت بنجح أقطعك في الكلام أثناء انفعالك، فوجئت بأن كل كلامي على شاكلة أنك غير مقدرة لكل شيء أنا عملته عشانك! وأنت بسبب انفعالك مش مستوعبة أنا بتكلم عن إيه بالضبط وكل انطباعك عني أنني راجل ناقص بيحاول يستميلك بالعافية، فعلاً الصورة كانت غير واضحة وعدم وضوحها كان بسببي حيث إنني رجعت لبراءة الأطفال واسترديت طفولتي اللي كانت مسلوقة مني بسبب المظاهر الكذابة، فأنا اعتبرت نفسي أنا وفواز رجعنا اطفال صغيرين ثاني وأنا كسرت له لعبته، فلازم اديله لعبتي كنوع من التعويض. الأصول كده . أنا عايزك تبليغي فواز أنني مستعد أرجعه وظيفته وقت ما يحب، ولو رفض يرجع بلغيه أنني مستعد أتنازل له عن وظيفتي وأني حبلغ المديرين بأني بقدمه لوظيفتي كمدير تحت مسؤوليتي الشخصية، وأكد كمان بطلب منك تسحبي استقالتك لأنني لازم أعوضكم بأني أسبيكم تعيشوا براحتكم بدون إزعاج أو مضايقات أو حتى إحراج بسبب مقابلاتنا كزملاء كل يوم الصبح، أكيد إحساسني ناحيتك مستحيل يكون حب لأن اللي بيحب حد عمره ما يفكر يأذي حد ثاني ولا أنه يلجأ لأساليب ملتوية عشان يخلي حبيبه يحس بيه .

في نهاية جوابي أنا بطلب منك تقبلي اعتذارني، وأنا مستعد أروح لفواز وأعرض عليه مكاني في الشغل واعتذارني . ويقدر يقبل وظيفتي حتى لو رفض الاعتذار لأنه أكيد من حقه يقبل أو يرفض . وأنا مستحيل اقايبضكم على مسامحتكم لي لأنها لو مكانتش من القلب بيقى حيفضل شعوري بالذنب مستمر، أنا غلطان، و أكيد أكيد آسف .

تعليق السَّمَسَارُ البوسطَجي علي رسالة أشباه الحب كثيرة

الاعتراف بالحق فضيلة، لكن الاعتراف المتأخر بيصعب معه تطبيق قاعدة أن تصل متأخرًا خير من ألا تصل . أعتقد الأستاذ كاتب الرسالة يجهل كم الأذى النفسي والمعنوي المتسبب به في حياة ربهام، وطبعًا حياة شخص يدعي فواز ورد ذكر اسمه في الرسالة، لكنني أجهل أي تفاصيل عنه .

الجواب وصل لشقة كانت يبعث فيها سيدة مسنة وابنة أختها، وكان فيه مشاكل كثيرة بينهم وبين صاحب الشقة على دفع الإيجار، وكانوا في عشر دائم نتيجة سوء الأحوال المعيشية؛ لأن بحسب ما قيل من صاحب الشقة نفسه، أنهم كانوا يبدفوا الإيجار مرة آه وعشرة لأ، ومع ذلك أنا مستوعب أن ريهام كافتحت واتعلمت وأهلت نفسها لشغل وظيفة وتحدثت الظروف، وكانت ريهام على اقتناع تام بأن سبب توظيفها هو كفاءتها، مش لأن المسئول عن تعيينها كان يحبها ومتميم بها في السر، وهي طبعًا إشارة إلى أن الإنسان يكون في أحيان كثيرة ميال لتصديق نفسه أكثر من تصديق الحقيقة والواقع، وطبعًا بعد ترك ريهام للشغل تحت ضغوطات الأستاذ اللي عشقها في السر، أصبح وجودهم في شقة مرتفعة الإيجار مستحيل فتركوها لمكان آخر أنا في الحقيقة أجهله .

الجزء الغامض في الرسالة، هو تعريف كاتبها للحب نفسه، يعني هو بدأ الرسالة بفكرة أن أشباه الحب كثيرة. طب هل أنت اتضح لك أنك مبتحبش ريهام! ولا بتحبها لكنك أدركت أنها مش من نصيبك لأنها بتحب غيرك؟ ولا أنت بتقول إنك اكتشفت أن من الأساس لا وجود لشيء يسمى حب من طرف واحد؟ جزئية كانت غير واضحة بالمرّة وأنا فعلاً شعرت بالتيه. بعترف أن حجم الرغبة في تصحيح الخطأ والشعور بالذنب يحترم لأنه عرض بذل ما في وسعه وحتى ترك وظيفته لزميله أو لغريمه مقابل عودة جميع المسائل لمجراها الطبيعي. بصراحة قلّة من الناس هي القادرة على دفع مقابل مجزي بهذا الشكل لتصحيح أخطاءها، لكن ماذا لو كانت فكرة ارتباط ريهام بفواز قد انتهت أصلاً بسبب ما جرى؟ بمعنى أن ريهام موظفة كانت تتقاضى في وظيفتها راتب شهري ثابت، وكذلك الأستاذ المدعو فواز. فهل الآن بعد حرمان الاثنين من وظائفهم لا يزالوا قادرين على الاستمرار معاً! أسئلة كثيرة ولا إجابات .

الرسالة العاشرة :

مستوول الأمتداد العاطفي !

المرسل : مهاب عبد الخالق

المرسل إليه : بسنت

بسنت! حاولي تسيطريني على ملامحك وتعبيراتك وحذارِ تلفستي النظر لدرجة أن أهلك يسألوك من مين الجواب ده! لو حسيتي أن أعصابك حنتوتر والقلق بيزيد اجري على أوضتك بسرعة واقفلي الباب عليك، أنا واحد أنت تعرفيه عز المعرفة، مافيش داعي للخوف؛ لأن أساسًا مافيش حاجة تخوف ..

بسنت .. أنا مهاب، مهاب عبد الخالق، عايز أكلمك في موضوع على درجة عالية من الخصوصية والسرية، لذلك اخترت فكرة الجواب لأن أي وسيلة غيره حتكون أكيد متراقبة من والدك ووالدتك وحتى الناس اللي بتخدم عندكم، بالإضافة إلى أن آخر حاجة ممكن أي شخص يتصورها، أني أرسلك عن طريق جواب .

عارف أنك أكيد حتسألني، وأنا إيه ضمنني أن الجواب ميقعش تحت يد شخص غيرك ويقراه؟ سؤال وجيه، لكن الإجابة أكثر وجاهة، والإجابة ببساطة هي أن توقيت إرسالي للجواب بيصادف ميعاد رد الجامعات الأجنبية على طلبات المنح الدراسية والابتعاث بعد مراسلاتك لهم، بالتالي حاليًا هو أكثر وقت حتستقبلي فيه جوابات في حياتك كلها بدون إثارة أي شبهات، وكمان من ضمن الفروق في التقاليد العائلية، أن أهلك حيفضلوا أنك أنت تفتحي جواباتك بنفسك وتكوني أول حد يعرف اسم الجامعة اللي قبلت طلب الابتعاث احترامًا لخصوصية الحدث والخصوصية في الحياة عمومًا، لكن لو كان الجواب ده مرسل لشخصي أنا على عنوان بيت العائلة، أكيد كان حيتم فتحه وقراءته والاطلاع على محتواه، عشان لو كان جواه خبر حلوا! يبقى اللي فتحه هو أول واحد بشرني بالخير، فرق رهيب بين الثقافات مش كده .

أنا بس حبيت أطمئنك أن عندي أكثر من ضمانات لوصول الرسالة مباشرة ليك دون المرور على أي اغراب، وعلى العموم وعلى سبيل الاحتياط، أنا راعيت أن الشكل الخارجي للمظروف يكون ظرف ابيض مكتوب عليه اسمك بالإنجليزي بخط طباعة كومبيوتر كلاسيكي جداً، وطابع البريد ده مش طابع ولا حاجة، دي ورقة مطبوعة كومبيوتر اخضر في ازرق ومقصوفة على شكل مربع وملزوقة بصمغ على الظرف، كذلك الختم، ده مش ختم دي دائرة أنا رسمها بالبرجل! ومكتوب بداخلها اختصارات لا تدل على أي معنى لأنها من تأليفي الشخصي المهم أن شكل الجواب يكون غريب، وطالما غريب يبقى إحنا في أمان! وطبعًا الجواب موصلش عن طريق البريد، وإنما وضع باليد في صندوق البريد الخاص بيكم .

أنا آسف لو كنت بدأت رسالتي بسلسلة اعترافات غريبة لتبرير تصرفات أكثر غرابة، لكن ما هو أنا اكتشفت أنني لو كنت صارحتك واعترفت من زمان كنت وفرت على نفسي وعليك كثير، وبعترف أن استسلامي وسكوني كانوا أكبر غلطتين. في عمري كله بسنت أنا كدبت عليك في كل حاجة من يوم ما عرفتيني ولحد انهارده، في كل حاجة بلا استثناء، لا، فيه استثناء واحد، اسمي، اسمي هو الحاجة الوحيدة اللي أنا مكذبتش عليك فيها، كنت بشوف في الأفلام في مشاهد المحاكمات، أن لو العقوبة اتوزعت على أكثر من مذنب العقاب بيكون أخف! معنديش يقين بمدى صحة المعلومة لكن، حتمسك بها لأنها طوق النجاة الوحيد بالنسبة لي حتى لو مكانتش حقيقية، مش أنا بس الكداب يا بسنت، أنا ووالدك ووالدتك والموظفين عندكم وأصحابك والسواق بتاعكم وكل إنسان تتخيليه. لكن حرجع وأقول لك، خليني أتكلم عن نفسي أحسن، احتمال أقدر أدافع عنها وأخليك تلتمسي لها العذر أكثر ما الآخرين يقدرُوا يدافعوا عن أنفسهم، ده إذا كان يهمهم الدفاع عن مواقفهم أساسًا، كل شخص اختار موقعه بمحض ارادته، لكن أنا الوحيد المتورط، لذلك ورغم كل شيء متعاطف مع نفسي وشايف نفسي مظلوم .

لازم تعرفي أن مهما الإنسان حب غيره، وقت الجدل لازم حيرجع ويحب نفسه أكثر! وأنا كنت بعمل الخير وهدفي أنقذ غريق، لكن لما لاقنتي حفرق معه، اتخذته جسر ودوست عليه عشان أوصل لبر الأمان، قلت يلا نفسي، يا روح ما بعدك! روح، أو يا قلب ما بعدك قلب، طالما عمري ثاني ما ححب ..

خليني يا بسنت أعرفك بنفسي، أعرفك مين مهاب اللي كان ملازم ليك 24 ساعة من كثر خوفه عليك، فع أنا اتحرمت من أنك تعرفيني واني اقدم لك نفسي بنفسي، عشان كده خليني احكيك القصة من أولها، مع أن القصة لا تزال بدون نهاية، النهاية لسه متكتبش ومستناك أنت تكتبيها ! وايأ كان شكل نهاية قصتنا، أنا راضي وقابل .

أنا إنسان بسيط جداً، وأهلي ناس على قد حالهم جداً جداً، حياتنا عمر ما كان فيها جديد، ولا قديم وحياتك، بنعيش اليوم بيومه وخلص، الدنيا ماشية وكثر خيرها، مش عايزين منها أكثر من أنها تمشي وتفضل ماشية زي ما هي، لكن لحسن الحظ أو لسوء الحظ مش متأكد، نشأت متفوق دراسياً، على رأي اساتذتي نبوغ مبكر، نصيبي كده وفي المرحلة قبل الجامعية - الثانوية العامة - حصلت على مجموع فتح لي أكثر من باب لتغيير حياتي، خليني اصارحك بأنه لم يكن من الحكمة أن يفتح هذا الكم من الأبواب في نفس التوقيت، لكنه النصيب! وطبعاً لأن مجموعي تحول إلى حصان رهوان يقدر يرمح ويأخذني إلى أي مكان، فطموحي كان الدراسة في الخارج، لكن لأن العين بصيرة والأيد قصيرة، فدخولي جامعتنا كان الاختيار الأنسب، أو لأنها جامعة أجنبية، يعني بتحقق حلمي في التعليم في الخارج وثانياً لأنها في نفس الوقت في بلدنا، يعني حترحميني من السفر ومصاريف السفر، ده بالأضافة إلى أن ارتفاع مجموعي ادي إلى اعفائي الكامل من أي مدفوعات دراسية! يعني التحاقني بجامعتنا كان عبر منحة تفوق دراسي، الظروف تراتيبها كانت في منتهى الغرابة، لدرجة أنها دخلتني أعلى جامعة في البلد مجاناً! عشان ألعب دور معين في حياة ناس معينة، وأوجه نفسي بعد تفادي للمواجهة استمر سنين! قبل دخولي جامعتنا مباشرة، انقسمت الآراء في بيت العائلة بين مؤيد ومعارض لالتحاقني بها، الرأي المعارض كان خايف عليّ أنني اتعقد نفسيًا نتيجة الاحتكاك بناس إمكاناتها المادية أعلى بكثير مني، خصوصاً أن طبيعة الشباب هي المقارنة المستمرة بين أحوالهم وأحوال زملائهم، لكن الرأي المؤيد كان شايف أنني لازم اخذ الخطوة واترقي في كل درجة سلم تقابلني في حياتي، لأن مافيش إنسان بيتولد عالي أو بيعلي في يوم وليلة! طبعاً بعد انقسام الآراء بكام أسبوع المسألة حسمت لصالح - تأييد الفكرة - لأن حدث موقف خلي كل العائلة تعتقد أن دخولي الجامعة والأستمرار فيها بمثابة مهمة عائلية، ومصالحة للجميع .

الموقف باختصار أن زواج اختي الكبيرة بعدما كان معطل لفترة طويلة بسبب الخلافات بين اهل العروسين على - الجهاز - اتحل الخلاف واتحدد ميعاد الفرح بسبب دخولي أنا جامعتنا! أكيد من حق أي إنسان عاقل يسأل عن العلاقة بين الحداثين! حتى أنا شخصياً كنت مستغرب الرابط لحد ما اتشرح لي، التفسير ببساطة هو أن أهل العريس لما عرفوا أنني

دخلت جامعة غالية زي جامعتنا عرفوا الخبر محذوف منه عنصرين، العنصر الأول وهو موضوع منحة التفوق، لرغبة أسرتي في التباهي قصادهم بإمكانية دفعنا تكاليف الدراسة، والعنصر الثاني مجموعي العالي وتم حذفه لأسباب اجتماعية لها علاقة بالخوف من العين والحسد، بالتالي أصبح لدى أسرة العريس اعتقاد جازم بأننا عائلة ثرية لكن اولويات الأنفاق في الحياة مختلفة، والتعليم هو أولويتنا! فتلاشت مخاوفهم اتجاهنا وانتهت شبهات الاستغلال والبخل والطمع! وأصبحنا مصدر ثقة بالنسبة لهم كمان!

لما انتظمت في الدراسة في أول سنة بالجامعة، اكتشفت أن أهلي أخطئوا في مخاوفهم، أنا أبعد ما أكون عن الدخول في أي مقارنات أو تطلعات طبقية مع زملائي، مش لأنني قنوع أو راضي بحالي، ولكن لأن المسافة والفارق كانوا أكبر من أن يتيحا فرصة أو مجال للمقارنة! الفارق كان أشبه باثنين متسابقين في رياضة العدو السريع، واحد لمس خط النهاية بينما زميله لا يزال على وضع الاستعداد عند نقطة البداية! المباراة حسمت قبل بدايتها! ووصلت لنتيجة أن أي تفاعل اجتماعي ينتج عنه وضوح الفارق، مرفوض.

كنت حريص على السبب الوحيد لتميزي، تفوقي الدراسي، رافض كل واي إلهاء ايا كان شكله ومصدره، لكن الغريب، أنني فوجئت ببنات كثير بيلفت نظرها الشاب الأنطوائي المنعزل! في الأول اعتقدت أن البنات بتحب الشاب الغامض الأشبه باللغز، لكن اكتشفت أن تفسيري أو انطباعي كان سطحي جدًّا، لأنني اكتشفت بعد التعمق في الحالة أكثر، أن الإنسان عمومًا سواء كان ولد أو بنت ميل للندرة، والإنسان المتكرر الشخصية وفيه منه كثير، لا يثير أي إعجاب من أي نوع لأنه بأختصار متوفر طبعا فكرة وجود مجموعة مخلصه لي، ومبهورة بتفوقي الدراسي، خلاني أرضي غروري لفترة، وبعترف أنني كنت محتاج إنني أشعر بالتفوق أو الريادة ولو حتى في جانب واحد من جوانب حياتي الجامعية، حسيت إنني رسمت خريطة نجاحي لمدة 5 سنين، هم مدة وجودي في الجامعة، لكن كل شيء انتهى أول يوم قابلتك يا بسنت.

اتقلب كياني أو بمعنى أصح انتهى كياني؛ لأنني اكتشفت بوجودك أن مرحلة الجامعة مؤقتة غصب عني! وإن لو توافرت لي الإمكانيات أنا كان محال آجل فكرة الارتباط بيك، واكتشفت كمان أن ليست كل الفرص قابلة للإنظار وان فيه فرص متعوضش! وأنا اتمنيتك لنفسي من أول يوم شوفتك فيه! طبعا بالنسبة لشاب في وضعي اللي سبق وشرحت، دي

متاهة تفكير ملهاش مخرج، أن إنسان يصبح مضطر لتغيير خطته في الحياة خلال أقل من 24 ساعة هي عملية في منتهى الخطورة لأنها بتحوّله لريشة في مهب الريح .

أنا لسه فاكر أول مرة لمحتك فيها، فاكرها وعمري ما حقدر أنساها، أنا كنت على وشك اتجنن وأرتكب حماقة أني أقرب منك وألمسك عشان أتأكد هل أنت حقيقة ولا خيال! لكن أنا كنت متأكد أنك حقيقية، والسبب هو أني عارف إمكانيات خيالي في رسم تفاصيل وملامح الأحلام عمرها ما تقدر ترسم صورة زيك، بجمالك، ضحكتك، مشيتك، لفتتك، حركة ايدك لما بتحبي تشاوري على حاجة وكأن الهواء بيطيها، ظهورك قصادي كان عبارة عن لقطة بتتشاف لأول مرة وآخر مرة في نفس المرة، شكلك، طريقتك، هدومك، صوتك، أنا لو رسمت لوحة بملامحك ومشيت أدور على صاحبها بين الناس عمري ما حلاقيها، فعلاً عرفت أن البنت مش بس مهمة في حياة الولد، لكن ده ممكن لو امتلكها يستغنى بوجودها عن الدنيا كلها .

لكن النصيب ساعات بيكون رحيم، لأن المشهد الرائع اتغير في ظرف ثوان، وفوجئت بشاب كان متأخر عنك خطوتين بيمد في خطواته، وبيقرب منك، وييمسك إيدك، ويقول كلام معناه أنه بيعتذر عن التأخير وأنه سابك تمشي لوحدهم الخطوتين دول لأنه كان مضطر يسلم على واحد صاحبه مشافوش من زمان! وأنت بتناديه باسمه شادي ساعتها عرفت أنك مقسومة لغيري حتى من قبل ما أعرفك، حتى مكنش فيه فرصة أنك تختاري بيني وبينه! رغم أني عارف أنك أكيد كنت تحتخاريه هو، مش بقلل من نفسي لكن بطبيعة الحال هو إنسان شبهك في كل حاجة، ماشيين جنب بعض كأنكم اخوات بسبب تشابه الملامح والتصرفات رغم أني عرفت أن عمر ارتباطكم لا يتعدى 4 شهور .

على العموم، مش حقدر أخدعك وأقول إنني وقتها قلت لنفسي خيرها في غيرها لأنك لا تقارني بحد ولا تتعوضني بحد ولا حد يقدر يحل محلك أو يملأ مكانك، وأظنك حتوافقيني في الرأي، لكن خليني في الخطة المرسومة لحياتي، الشاب المتفوق دراسياً اللي في حاله واللي مش عايز حاجة من حد ولا حد عايز حاجة منه .

كنتم أنتم الاثنين بالنسبة لي أشبه عالم موازي محتاج اتعرف عليه عشان اعرف إيه كان بيدور في الدنيا وأنا مشغول في الجري بين صفحات الكتب و المذاكرة والحفظ والملخصات ونماذج الامتحانات وتصوير الورق إلخ. عرفت الأماكن

اللي كنتوا بتخرجوا فيها مع بعض، ومنهم مكان عملتم فيه عيد ميلادك، أنا كنت حاضر على فكرة، بس واقف بعيد عشان محدش يشوفني، ولو كان حصل وحد من زملائنا في الجامعة لمحني بالصدفة كنت حقول أنني مواعد ناس، مستني واحد! صحبي، أي كذبة يعني يومها، الفندق مكان عيد الميلاد كان فيه جنينة كبيرة، وأنا عملت تصرف عارف أنه مش تصرف سليم لكن أوقات المشاعر بتخرج عن السيطرة، قطفت وردة، ورحت سألت الجارسون الكبير في المكان لو كان ممكن يديهالك و يقولك كل سنة وأنت طيبة وأنها هدية بسيطة من واحد متعريفهوش في الحقيقة الراجل بص لي من فوق لتحت، وسألني هل ما إذا كنت أنا مدعو؟ فلما كانت اجابتي بأني غير مدعو وأنت صديقة قديمة قابلتها صدفة بدون ادني علم أن عيد ميلادك انهارد فحييت اهديك الوردة، لا أكثر ولا أقل، فضل يتفحصن بطريقة غريبة، أشبه بطريقة محقق مع متهم محتمل، بعدها آخذ الوردة ووضعها بمنتهي الذوق على مكتبة وقال لي بالحرف: طلبك مرفوض، واتفضل عشان عندي شغل طيب، يعني من حقه يقبل أو يرفض، مقدرش أنكر عليه حقه، وخصوصاً أن بعض الناس بتفضل أنها تنأى بنفسها عن الدخول كوسيط في مراسلات عاطفية ومن المؤكد أنه شيء متعارف عليه، واعتقدت وقتها أنني أسأت تقدير الموقف لدرجة أنني اعتذرت له .

لكن وأنا بتفرج على عيد الميلاد، فوجئت بنفس الشخص كبير الجرسونات داخل ووراه جرسونات غيره، ولدين وبنيتين تقريباً، شايلين الهدايا والأكل والذي منه ومتوجهين لقاعة الاحتفال مكان عيد الميلاد وبمجرد ما دخلوا فوجئت أن كبير الجرسونات بيمسك المكيروفون ويقول أن باسمه وباسم إدارة الفندق بيتمنوا ليك عيد ميلادك سعيد، وبدأ يزيد في الكلام لدرجة أنه طلب منك ومن شادي تطلعوا على الـ Stage وتغنوا أغنية عاطفية كان هو يشارككم بعض كلماتها !

في الحقيقة، كنت على وشك عمل تحليل لحظي لأختلاف سلوك الرجل بيني وبين شادي، لكن رجعت وقلت ممكن يكون القائمين على أماكن الاحتفالات بيرفضوا استقبال أي هدايا من غير المدعوين تفادياً للمشاكل، يعني مث ممكن ل هدية غريب تعمل وقبعة بين أصحاب الاحتفال، وبالرغم من تناقض سلوكه، إلا أنني التمسث له العذر لكن رجعت البيت يومها وأنا محمل بكمية نتائج يعجز عقلي عن تحليلها، لكن مع الوقت قدرت أحلل بعضها. مثلاً، ارتباطك بشادي مش مجرد مشروع بين اثنين، ده مشروع بيحميه ويشجعه حوالي 35 إنسان! دفعتنا في الكلية مقسمة لمجموعات، وكل مجموعة بتتكون من 35 طالب، ومجموعتنا المكونة من 35 زميل وزميلة كلهم شايفين انكم تصالحوا

لبعض، كلهم بيكلموكم عن يوم فرحكهم بعد التخرج من الجامعة، كلهم لما أنت أو شادي بتوصلوا الجامعة بيرشدوكم متطوعين عن مكان وجود الثاني، حتى من قبل ما حد فيكم يكون سأل عن مكان وجود الثاني .

- يا بسنت، شادي في السيكشن .

-يا شادي، بسنت مستنيك في الكافيه .

على مستوى مختلف كانت فكرة الانسحاب من العلاقة والتراجع عنها وسط هذا الزخم أشبه بمستحيل، أوقات كنت بشوفك مضايقة، طبعا معرفش السبب لكن أول ما حد من الزملاء يقرب منك ويسلم عليك ويسألك عن شادي، لازم تتكلمي وأنت بتضحكي، ساعتها عرفت أن الظهور الاجتماعي شيء، وأحاسيسك اللي تقريبًا فشلتني في إيجاد شخص تشاركها معه شيء ثاني مختلف، وساعتها قلت لنفسني أن العلاقة دي اختبارها الحقيقي بعد الجامعة، وقتها استندت في تحليلي لعامل مهم جدًا لكن معظم المحيطين بكم تجاهلوه، وهو أن خلفاتك مع شادي كانت محصورة في وقتين أو ظرفين، الأجازة، والامتحانات! فترات بتكونوا مشغولين فيها والناس كمان مشغولين عنكم، بالتالي بتتحرروا نسبيًا من الالتزام! الوهمي بالظهور كثنائي الكل بيحسدكم على وجودهم مع بعض . ومثال آخر، أنك أنت وشادي متشابهين في المزاج، يعني بتحبوا نفس الخروجات، بتشجعوا نفس فريق الكرة، حتى نفس أنواع الموسيقى لدرجة أنني سمعتكم مرة بتتكلما عن فرقة أجنبية كانت بتغاني في الثمانينات! فعلا وقتها حسيت أن مجال المنافسة بيني وبينه على قلبك مقفول ومغلق لصالحه هو، حتى لو درست الأغاني الأجنبية واتصنعت التلقائية في الحديث عنها وعن ذوقي فيها . مستحيل أوصل أنني أعرف فرقة كانت بتغني في الثمانينات يعني رجعت لنمط حياتي المنغلق ذي المسار الواحد، إنسان منكب على دراسته ولا شيء سوى دراسته، الجامعة كانت بتقدم أنشطة رياضية وفنون وعرض مواهب لكن أنا إنسان بلا مواهب، بالتالي كنت بدعي أنني لا املك الوقت الكافي وان التفوق الدراسي أو استكمال رحلة التفوق الدراسي هي اولويتي، والغريب أن الناس كانت بتصدقني! بقيت عايز اقول يا ناس خلوا بالكم، ألف وش بيكون! مستحبي ومتداري ورا كتاب وعامل نفسه بيقرأ فيه وهو بيقرأ الناس اللي حوالبه في الفصل الدراسي الثاني من سنة ثالثة جامعة، كانت مفاجأة افقدتني الثقة في نفسي وفي الدنيا وفي الحياة كلها، وحوالتي لحطام إنسان، طبعا كان معروف أن الجامعة عاملة رحلة لألمانيا وحيتم اختيار عدد محدود من الطلاب يسافر على حساب الجامعة دورة تدريبية في ألمانيا، والأختيار كان حيتم بناء على مجموع درجات الطالب في مادة تطبيقية معينة، تم قبولي . وده طبعا شيء متوقع، لكن أن يتم قبول

شادي في نفس الرحلة كان بالنسبة لي بمثابة حدث قلب موازيني وكياني، لدرجة أنني مشيت اكلم نفسي واسأل سؤالين، طب لية؟ طب إزاي؟ طب ليه؟ طب إزاي؟ وأكرهم، لحد ما الناس كانت قربت تفتكرني مجنون، ومع ذلك، ولأنني فاهم طبيعة الناس كويس عرفت اخرج من غرابة تصرفي بكذبة صغيرة جدًّا، كذبة اجبرتهم يعتقدوا أنني سيد العاقلين بينما الحقيقة أنني كنت على وشك افقد عقلي، لما رجعوا يسألوني عن معنى سؤالني طب ليه. طب إزاي؟ قلت لهم أنني مصدقن نفسي من الفرحة لما عرفت أنني اتقبلت في رحلة المانيا. ساعتها بدأوا يضحكوا ويقولوا لي: بطل استعباط علينا، لو مكنش الأول على الدفعة يسافر مين حيسافر؟

شوفتي يا بسنت سؤالهم منطقي و وجيه إزاي؟ هو صحيح سؤال استنكاري مش استفهامي. إنما فعلاً كان سؤال في محله، لو مكنش الأول على الدفعة يسافر، مين حيسافر؟ أقول لهم أنا وأجاب مين حيسافر؟ حاضر، حجاب، والإجابة حتكون نموذجية وأنتِ شاهدة على مدى نموذجيتها: اللي حيسافر، إنسان تافه، معدوم الشخصية، لا يفقه في الحياة سوى بعض الحركات والأداء المصطنع، إنسان بيتصرف وكأن دائماً أبداً كاميرا تلفزيون بتصوره، إنسان بيضحك بدون مناسبة رغم أن الضحك من غير سبب قلة ادب، خدي بالك أنني عمري ما سمحت لنفسي أكون حاقد أو حاسد، صحيح شادي اتولد لقي كل سبل ووسائل الراحة والرفاهية متوفرة له، لكن أنا لو مكان والده - ربنا يصبره - كنت حعيش أبني في رفاهية أكثر من اللي شادي عاش فيها، وأنا فاهم ومدرك أن العاطفة الأبوية أوقات كثير بتخرج عن السيطرة، وأنا مش حاقد أو حاسد لسبب معين، أن حقدني وحسدي دائماً متوجهين ناحية أمور غير متوفرة في المحيطين بيّ، يعني مثلاً بحقد وبحسد ممارسين رياضة القفز بالمظلات! لأنني بشوف أنها متعة بتطلب مهارة واعجاب الناس بها إعجاب جنوني! بحقد وبحسد صيادين الأدغال، لأنني بشوفهم يتعاملوا بيقظة وحذر بحيث أنه لو غفل ثانية ممكن اسد أو نمر أو أي حيوان مفترس يأكله وينتهي أمره. وأكد طبعًا، وقبل أي غيره أو حقد أو حسد، فأنا تركيزي شديد على أي إنسان بيحاول ينافسني في التفوق الدراسي، وأظن دي واضحة مش محتاجة توضيح يعني .

لما عرفت موضوع سفر شادي معايا رحلة ألمانيا، اتصدمت نفسيًا من فكرة انهيار الحدود بين عالمي وعالمه، حوضح لك أكثر لما أدركت حقيقة أنك بتحبي شادي أو متورطة في حبه بمعنى أصح، ومش شايفه غيره، و متمسكة بالبقاء في علاقة معه بغض النظر عن مستقبلها بعد الجامعة، قلت لنفسي أن الحياة لا تعطي كل شيء، أعطتني أنا التفوق والذكاء والعلم والاجتهاد والاعتماد على النفس واحترام الناس، وأعطته هو إنسانة محترمة بنت ناس جميلة محط إعجاب الجميع

بلا استثناء. وفكرة أن تقسم العطايا أو المميزات بين الناس هي فكرة بتشعر الإنسان مهما كان محروم بأن هناك عدالة، وهي طبعا مسألة مريحة نفسيا وبتخلي الإنسان راضي عن نفسه وحياته بالتالي سيكون قادر يستمر .

لكن لما شادي استطاع الحصول على درجة في الامتحان تؤهله للسفر في رحلة أصلا للمتفوقين، حسيت بأني خدعت نفسي لما اعتقدت بفكرة الحدود بين العالمين، عالمي، وعالمه. هذا السياج المتصور هو وهم! لما أحب شادي السفر لألمانيا فاستغل وجود مسابقة ورحلة جامعية، فاجتهد مثل ما أنا اجتهدت! وأصبح مؤهل للسفر! المسألة في منتهى البساطة .

فكرة مرعبة أكثر من أي فيلم رعب أنك تشعر بأن خصمك متغاضي عنك بمزاجه! أي أن شادي يملك أن يتحول لإنسان متفوق إذا ما توافر له الدافع وفي هذه الحالة يكون امتلك، التفوق، والحياة المرهفة، والإنسانة التي يتمناها الجميع! في المقابل أنا مهاب عبد الخالق، لا أملك سوى وهم بسعي جاهداً لتحويله لحقيقة وفرضه على نفسي وعلي الناس، وهو أنني مختلف ومميز وعبقري وفذ ونابعة و... و... وإلخ!

طبعا فكرة السفر نفسها مكلفة، بالتالي كنا كطلاب متقبلين من اليوم الأول فكرة المبيت المشترك لأكثر من طالب في نفس الغرفة دون ادني اعتراض، تحت شعار، كتر خير الدنيا أننا سافرنا أساسا، لكن آخر ما كنت اتصوره، هو مبيتي أنا وشادي في نفس الغرفة. يعني بسبب كوننا مرافقين لبعضنا في الغرفة، كانت الرحلة بالنسبة لي أشبه بالتعذيب النفسي.

أولا، كانت أولى المرات اللي أشوفك بتحاول تتصلي بيه عشرات المرات، وهو للا مبالي، حاولت أوطد علاقتي به شوية، وتاني يوم قلت له بهزار: "يا عم الجو بيتصل يا عم"، فرد عليّ بهزار هو كمان وقال :

- سيبها ترن، خليها تتربى!

بعدها على العشاء عرفت منه أن حدث بينكم خلاف قبل السفر مباشرة بيدور حول فكرة أنك بتقولي لازم يكلمك صبح وليل يطمنك عليه، وهو يقول حبيقي وراه زيارات مصانع وحيكون مش فاضي وغير متفرغ بالمرّة طبعا، شادي لم يكن

يفارق حمام السباحة أبداً، أجرى عدد غير محدود من المحادثات مع نزيلات الفندق في حمام السباحة والبار، كان عدد منهن ييرفض وعدد آخر بيتجاوب ويستجيب! المهم، الخلاصة يعني أن الرحلة كان مدتها أسبوع، شادي زار مصنع واحد فقط لا غير لمدة ساعتين لا أكثر! وباقي الرحلة نزوات !

أنا بطلب منك تقديري إحساسي، أنا كنت إنسان بعيش حالة صعبة من عدم الاتزان لأنني ببساطة كنت شايف أن كل أسباب التوازن بتنتهي! البنت اللي بتمنها بتحب واحد بيديها فوق دماغها، والتفوق الدراسي ظهر لي منافس فيه الحافر أو الدافع عنده أنه نفسه يسافر أوروبا يتفسح! طب يعني فاضل إيه يخيليني اشعر أن الدنيا لسه بخير! ناس خدت كل حاجة وناس مخدتش أي حاجة. برضوا مقدرش أعفي نفسي من المسؤولية، بمنتهي الصراحة أنا ضحية زيف و خداع أهلي لما أوهموني في الصغر بأنني حكون جذاب بقدر ما أنا دودة كتب، كانوا لما يلاقوني يحاول أتعرف على بنت الجيران، يقولولي أن البنت حتعجب بيّ لما تلاقيني شاطر في مذاكرتي، وناجح في شغلي، وجيبي مليون وقادر أتحمّل المسؤولية .

اتفاجئت بدخولي الجامعة أن بنات كثير بتحب الولد الـ *Bad boy* وأن أمثالي في الحياة مفيش حل قصادهم غير أنهم يسألوا أفلاطون الله يمسيه بالخير هي المدينة الفاضلة بتاعتك فين عشان نروح نعيش فيها ! إحنا كائنات غير واقعية، وأنا أستحق أنك تضبعي مني وتعجبي بغيري، أنا حكمت على نفسي خلاص، ومش منتظر حد يحكم عليا، أنا لم أكن مؤهل بما فيه الكفاية أني أحوز إعجاب وقلب واحدة زيك. أظن مافيش صراحة أكثر من كده لكن حيث إنه اتضح أن وجودي في الحياة تقريباً بلا لازمة، وإنني مهما نجحت حي فضل نجاحي محصور في نطاق معين، يفرحني ويفرح المحيطين بيّ فقط لا غير، لكن لو فكرت أعدي السور وأدخل عالمك أنت وشادي ألاقيني بتحول لعملة قديمة اثرية غير معمول بها ولا يتم تداولها! فبدافع اليأس، قررت اكشف الحقيقة، حقيقة شادي وبعدها حقيقتي، يعني أنا صورت شادي بكاميرا تليفوني المحمول فديو وفوتوغرافيا في كل المواقف اللي أنا ذكرتها - أقصد النزوات - والغريب أنه كان سايبني أصوره ويضحك ويهزر معايا ! مش خايف مثلاً الصور دي توصلك بأي طريقة! فكرة أنه يعيش اللحظة مبداء عنده على كل شيء مهما كان الشيء يفترض أنه غالي .

في اليوم السادس من الرحلة، القبل الأخير، كنت بعاني من الأرق بسبب كثرة التفكير في رد فعلك لما تشوفي حبيبيك بينخونك كام مرة في اليوم ، وكنت مستني أنعلم عن دنيتكم أكثر عن طريق رد فعلك . وفي نفس الوقت كان متبقي يومين على رجوعي لمصر، حاولت اشغل نفسي بزيارات المصانع، ودخلت مصنع وناقشت خبير صيانة الماكينات في بعض النقط الجوهرية والملاحظات، الرجل تفضل مشكوراً وبعث برسالة للجامعة في مصر بيطلب منهم أستمرار بقائي في ألمانيا أسبوع كمان إضافي، طبعا نجاح ساحق ودليل تميز كنت في أشد احتياج له، يكفي أن في الجامعة لما يلاحظوا غيابي حيسألوا عني ويعرفوا أنني استمررت في ألمانيا أسبوع إضافي بسبب نجاحي المهني في التطبيق العملي، ويا سلام لو عرفوا أن ترشيحي كان عن طريق خبير صيانة كمان! مكنش مضايقني غير أن فضيحة شادي حنتأخر أسبوع كمان، و ساورتني بعض الوسواس بأني ممكن أرجع الأيكم تمت خطبتكم أو ما شابه، لكني كنت عارف أن جميع الخطوات مؤجلة لما بعد التخرج . قعدت في ألمانيا أسبوع وحيد ، بصراحة الناس مقصروش معايا وقاموا بالواجب وزيادة، لكن شعوري بالوحدة غير في شخصيتي كثير، يكفي أنني عرفت حقيقة أن مسار واحد في الحياة لا يكفي، وأن السعادة هي أنك تعيش أكثر من حياة في حياة واحدة، لومت نفسي كثير، لكن صالحتها في الآخر، قلت حنزل مصر ابعت لك كل ما يدين شادي ووقتها أنت حرة نفسك وصاحبة القرار الأول والأخير، فعلا حسيت بنفسي بعلو عن المشكلة وبتفرج عليها من فوق وكأني مش طرف ولا لي مصلحة . رجعت مصر ، ثاني يوم رحت الجامعة. عرفت الخبر. شادي اتوفى في حادثة عربية !

أنا فاكرو يومها أنني قطعت اليوم الدراسي، رجعت البيت، طلعت الصور والفيديوهات مسحتها من على الموبيل وحرقت اللي كنت طبعته منها، بقيت مستعد أتنازل عن أي شيء وكل شيء في مقابل أنني أعرف حالك عامل إيه؟ مستعد أتنازل عن حبي ليك وأقول لك وجهًا لوجه أنني بكرهك، بس أقدر أكون جنبك في أصعب موقف بتمري بيه في حياتك كلها. طبعا لا عندي عنوانك ولا تليفونك ولا أصدقاء مشتركين متعاونين يوصلوني بيك، فمكنش قدامي غير شئون الطلبة في الجامعة أو البحث عن زملائك ومن خلالهم أوصل لك، رحت الجامعة فعلا فضلت مستني في الكافيتريا على أمل يوصل حد من اصحابك واطلب منهم وسيلة توصلني بيك، مكنش فيه غيري أنا، و رجل كبير شكله محترم وأنيق افكرته في الأول دكتور في الجامعة. كان قاعد يبشرب قهوة وسرحان، لدرجة أنه نسي يقلع نظارة الشمس وإحنا جوة مكان بدون شمس .

بعدها بشوية وصلوا زملائك، قمت واستعديت للدخول في حوار معاهم وأني أطلب منهم تليفونك، لكن فوجئت أنهم جربوا بسرعة تجاه الأستاذ المحترم وببسلاموا عليه، بعدها اتلفتوا حوليهم شوية، واتفاجئوا واندعشوا أول ما شافوني! وبدأوا يشاوروا عليّ ويقولوا للأستاذ هو ده. هو ده. طبعا قرأت حركة الشفايف وسمعتها منهم بمنتهى الوضوح أنا قلت خير اللهم اجعله خيرا! فوجئت بالأستاذ الكبير بيقوم ويتحرك تجاهي ومن وراه زملائك! مشهد كان مرعب لدرجة أنني فكرت فعليا أنني أطلع أجري لكن سمعت واحد من زملائك قال للأستاذ :

-هو ده مهاب يا أونكل !

و نفس الشخص عرفني بالأستاذ: يا مهاب، الأستاذ يبقى والد بسنت زميلتنا. طبعا والدك طلب منهم يسيبونا نتكلم على إنفراد، وأنا قلبي عمال يدق لدرجة أنني حسيت أن والدك سامع صوت قلبي وأن الصوت مآثر على النقاش ، والدك فاتحني في موضوع، ححاول أختصر لك محتواه قدر المستطاع، لأنني أنا شخصيا استوعبته على دفعات ومراحل من كثرة تعقيده، والدك أبلغني أنه بعد وفاة شادي الله يرحمه، حضرتك أصيبتي بصدمة عصبية ونفسية، وبعض الناس المقربين من والدك أكدوا له أن السبيل الوحيد لعلاجك هي نظرية قديمة اسمها الامتداد العاطفي ، لو سمحتي يا بسنت ركزي معايا لأنني استوعبت موضوع الامتداد العاطفي أساسا بالعافية .

الامتداد العاطفي، هو أن يشعر الإنسان الذي يعاني من الفقد بأن الشخص الذي رحل لا يزال موجود، حاضر لكنه غائب، محل حديث الناس، لم ينس، سيرته تنتطقها الألسن، بتروي عنه مواقف وقصص لم يكن حتى المقربين يعرفوها، بالتالي بتتولد موجات من الامتداد العاطفي للشخص الراحل تحمل الشخص المتأثر جراء الفقد إلى بر الأمان -و تقبل الحقيقة - رويدا رويدا .

على سبيل المثال، إذا كان هناك كاتب مقالات، اعتاد قطاع كبير من الناس قراءة مقالاته مرة أسبوعيا على مدى سنوات، وأصبحوا ينتظروا مقالاته ويتناقشوا فيها بعد نشرها كل أسبوع على مدار سنوات، ثم حدث أن كاتب المقال هذا، قد توفاه الله، الفراغ المتروك بعد رحيل هذا الكاتب لن يملأ مباشرة، وإنما هناك طريقتين أو وسيلتين إحداهما قاسية جدا ألا وهي "الفراغ"، الفراغ المستمر منذ رحيل الكاتب وحتى تولى كاتب آخر زمام الأمور واستحواذه حب واهتمام

القراء، مستغلين تعطش القراء لفكرة المقالة التي توقفت بموت الكاتب الأول، وبما يشمل الانتظار من مخاطرة بضياح جموع القراء وتشتتهم واحتمالية إحجامهم عن قراءة المقالات مرة أخرى .

وحل آخر عاطفي! وهو المسمى بالامتداد العاطفي! سيكون في حالة الكاتب السابق تحت عنوان - القصة لم تنته بعد - بمعنى، أن الجريدة حتقول في افتتاحية لها، بأن الكاتب كان يحتفظ لديها بسلسلة مقالات نشرها كان مؤجل! ولكن الجريدة قررت نشرها تخليدًا لذكرى الكاتب وتقديرًا لحب قراءة له و... و.. إلخ .

أو أن شركة إنتاج فني تعلن عن إتاحة أفلام بطولة نجم رحل حديثًا للجمهور أفلام تم إنتاجها ولكن لم يتم عرضها لأي أسباب قد تتعلق بالذوق العام، الموجة الرائجة، ظروف إنتاج إلخ... الخلاصة أنه في المثاليين السابقين يظهر شخص أو كيان، الجريدة أو شركة الإنتاج، وبتزعم امتلاكها أشياء كان ينتجها شخص محبوب لكنه مع الأسف رحل، وظهور تلك الأشياء للنور يصنع حالة من الامتداد العاطفي لذكرى الراحل في وجدان المتلقي، لكن لا بد من تحقيق شرطين :

الأول: أن تكون الأشياء الظاهرة للنور بتعرض لأول مرة!

بمعنى أن تكون المقالات بتعرض للنور لأول مرة . و لم يسبق نشرها في جريدة أخرى لا يتابعها أحد أو مثلاً نشرها الكاتب في بداية حياته المهنية بينما كان لا يزال مغمورًا .

الثاني: أن يكون عدد تلك الأشياء الظاهرة للنور حديثًا مجهول ، وهو الشرط الأخطر و الأعمق أثرًا .

بمعنى، مستحيل أن تفصح الجريدة في المثال السابق عن عدد المقالات المتوفر لديها، وإلا فسد كل شيء. فمع كل مقال سينشر ستتقص مساحة من الامتداد العاطفي والمفترض أنه ممتد لأجل غير معلوم عند متلقيه، بالرجوع إلى والدك يا بسنت، و بالمناسبة مثال الكاتب والجريدة هو من الأمثلة المقتبسة من مناقشتي معه بخصوصك ، لما شادي الله يرحمه اتوفي والدك استشار ناس متخصصة في حالتك، لأنني عرفت أنك مريتي بحالة تشمل فقدان النطق، والناس دول

اقترحوا عليه فكرة الامتداد العاطفي، لكن والدك لما زار جامعتنا وبدأ يقابل زملائك، لفت نظره أن تطبيق فكرة أو لعبة أو نظرية الامتداد العاطفي مستحيل، لأن ببساطة مافيش شخص كان أقرب لك من شادي، وحتى أصدقائكم المشتركين معروفين عندك بالأسم، بالتالي لا بد من اللجوء لشخص خارج نطاق اهتمامكم وخارج نطاق تركيزكم عمومًا، شخص حيدخل في المشهد و يزعم أنه علاقته شادي أقدم من علاقتك أنتِ معه، ويبدأ يحكي حكايات ذات مدلول وأثر معين تجبرك على الأفتناع بأن شادي مكنش فيه أي شيء مميز .

وكانت نصيحة زملائك لوالدك، أني أنا أنسب شخص للمهمة، لأنني وجه جديد وذو مصداقية باعتباري أول الدفعة كل سنة. ولأنني عرفت شادي وخالطته عن قرب في رحلة ألمانيا ، أنا درجة حبي ليك يا بسنت حرمتني من مساحة اختيار حتى ولو ضئيلة للصورة اللي أقرب بها منك، يعني أنا افتكرت أن لو وقفت جنبك وساندتك واخذت بيدك، حقدر أكون إنسان قريب منك، لكن الظروف ظلمتني مرتين، مرة لما اجبرتني أفضل بعيد عنك لأنك مرتبطة بغيري، ومرة ثانية لما اجبرتني أضحى بحبي ليك وامثل دور صديق مخلص شادي عشان تفوقي من الحالة اللي كنت عايشاها ! و طبعًا وأنا بكتب لك رسالتي فيه ناس بتسألني مالك؟ حكيت لأخواتي والمقربين مني على القصة كلها لكن طبعًا بدون ذكر اسماء ، الغريب رغم اختلاف شخصياتهم إلا أنهم اجمعوا على أن نتيجة رسالتي ستكون نتيجتين :

أولاً : أنك تحترميني جدًا

وثانيًا: أنك عمرك ما تحبيني ولا تحسي بحاجة اتجاهي!

ولما حاولت أستفسر منهم على سبب استحالة النتيجة الثانية، فوجئت بأنهم بيأكدوا لي أن موقعي في قصة حياتك مياهلنيش إلى أنك تحبيني بأي حال من الأحوال. وموقعي في قصة حياتك رغم أنها متغيرة، إلا أن كلها هامشية

- مرة ألعب دور العاشق المستخبي في الركن البعيد الهادي، بالتالي محدش شايفه

- مرة ألعب دور الصديق المخلص واحاول أوصل لك أن حبيك بيخونك! وتفشل خطتي لأسباب أخلاقية

-مرة ألعب دور صديق قديم لحبيبيك، وأكذب بتأليف قصص وحكايات عكس الواقع !

يعني أحلامي اتحققت لكن بالعكس! بلبس هدومي وأتشيك عشان عندي ميعاد ورايح أقابل البنت الوحيدة اللي حبتها في حياتي، عشان احكيلها، قصص مختلفة وملفقة عن وفاء شخص أساسًا خائن! طب والحقيقة؟ والحب الحقيقي؟ طب والحقائق الفعلية اللي بتقول مين مخلص ووفي ومين خائن وكذاب؟ خلاص مبقاش لهم لازمة؟

لما حسيت أنني مش قادر أكمل في المسرحية الهزلية المسماة الامتداد العاطفي حصل اللي حصل، اعترفت لك بكل حاجة، وبحقيقة شادي. يومها خدتي شنطتك ومشيتي، مش عارف ليه كنت حاسس أنها آخر مرة حشوفك فيها! الظاهر الحياة بتخلينا نلعب أدوار معينة في حياة بعض وأول ما أدوارنا بتنتهي بنعرف أن وجودنا أصبح غير مرغوب فيه .

بحبك يا بسنت، وحفضل أقولها طول ما أنا مش عارف أقولها واسمعها لك ولا اطولها، أنا طالب منك طلب واحد فقط لا غير، اعرفك بنفسي، وبعدها تقبليني أو ترفضيني قرارك وأنت حرة فيه. بس بشرط، نتقابل وكأنك متعرفنيش، ولا عمرك شوفتيني، نتقابل مرة وكأننا بنتقابل لأول مرة .

تعليق السمسار البوسطجي علي رسالة مسؤول الامتداد العاطفي

غريبة قصة مهاب، كل إنجاز كان بينجزه في حياته ويتخيل أنه إنجاز حيزيد من مساحة حريته واستقلالته في الحياة كان بيكبله أكثر وأكثر. يعني حتى حق الانسحاب والتراجع من المسار أصبح حق لا يملكه لأن مستقبل أخته ونظرة زوجها لعائلتهم أصبح مرتبط بوجوده في جامعة دخلها بالتفوق الدراسي فقط لا غير! ولما أدرك مهاب أنه يمثل نجاح أسرة وقفت وراء ابنها لحد دخوله جامعة عريقة وأنه لا يحق له الانسحاب أو اتخاذ قرار منفرد أصبح لا مفر من أنه يتعامل مع الوضع وكأنه وضع طبيعي، وهو بالطبع وضع غير طبيعي بالمرّة، فكرة أن تجد نفسك مع أناس لا يشبهونك في أي شيء .

تدخلت العاطفة وظهر الحب، وفترة الدراسة الجامعية هي موسم مدته أربع سنوات من التقلبات العاطفية المستمرة، فأصبح يقع عليه عبء الاقتراب من المحبوبة، ولكن المحبوبة مرتبطة بشخص آخر، وهناك فارق في المستوى! الاجتماعي، المهمة بتزداد صعوبة وثقته في نفسه بتهتز وتصل لأدنى مستوى لما غريمه شادي تم ترشيحه لرحلة المانيا، فبدأ يسلك سلوك الضرب تحت الحزام عبر تصوير شادي مع اخريات وتفكيره في اىصال تصويره للمحبوبة. لكن المدعو شادي يتوفي ويصبح هناك مانع أدبي يحول دون كشف الالاعيب هذا الراحل. بل وينجح مهاب في الاقتراب من محبوبته ليلعب دور مسؤول الامتداد العاطفي بالنيابة عن شخص كان مهاب نفسه شاهد على خيانتته وبعد كل ما كان النتيجة أن مهاب لن يطال الحب طال الزمن أو قصر، وإنما تم تصنيفه في خانة أبدية اسمها خانة الأصدقاء. وهي خانة من دخلها لا يخرج منها أبداً، ولا يعاد النظر في أمره مهما حدث. قد يرى البعض مهاب متطفل على مجتمع غير مجتمعه وعلى علاقة سابقة ومستقرة على إعجابه ببسنت، ومتطفل كمان على الجامعة ككل. لكن ما هو جوهر الحياة التطفل!

جوهر الحياة أن هناك أشخاص بيخوضوا صراعات لا ناقة لهم بها ولا جمل فقط للبحث عن فرص جديدة في الحياة، من المستحيل أن يقنع الإنسان نفسه بأستحالة المنافسة وإلا يبقى استسلم قبل الأوان، وخصوصاً الحياة كلها عبارة عن

محاولات. تتكون الحياة من عدد لا محدود من المحاولات، بعضها فقط هو الذي ينجح، في حين يصعب تذكر كم محاولة فشلت لأن الفشل بات يبدو أنه الأصل .

مع احترامي وتقديري لمهاب، إلا أنه فشل حتى في أن يكون له السبق في إخبار بسنت بكامل الحقيقة؛ لأن شقة بسنت المرسل إليها الرسالة اشتراها أحد أقاربي السماصرة وأنا كنت بتطوع بسبب إدماني الاطلاع على البريد المهجور والمنسي بأني أزور الشقة وأطمئن عليها من وقت لآخر. ولما قرأت الرسالة رجعت أتصل بقريبي وطلبت منه يشرح لي سر بيع صاحب الشقة لها رغم أنها لا تعوض وفاخرة جدًا! فقال قريبي أنها كانت شقة رجل ميسور الحال يعيش مع زوجته وبنته الوحيدة، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، خطيب بنته اتوفى واكتشفت أنه كان بينحونها مع صديقتها وعرفت الحقيقة متأخر، فأصببت بأزمة نفسية ووالدها أصر على السفر للخارج لعلاجها .

لكن معنى ما سبق أن كان فيه أكثر من شخص هدفهم فضح الراحل شادي وتدمير علاقته ببسنت، أحدهم فشل واعترف بفشله في رسالة لم تصل لبسنت وإنما وصلت لي أنا. لكن اتضح أن هناك آخرون كانوا يبسعوا في نفس الاتجاه وكان في رسائلهم ما يشير إلى أن شادي خان بسنت مع إحدى صديقاتها المقربات يعني رحلة المانيا كانت جزء من المشهد وليست المشهد كله، بالتالي الأمر تخطي مهاب بكثير، وهو لا يزال يظن نفسه كاتم الأسرار ومحور الأحداث وبؤرتها، وهو ليس أكثر من شخصية هامشية .

الرسالة الحادية عشرة :

تفادي اللقاء والفراق

المرسل : نجوي

المرسل إليه : منير

كل سنة وأنت طيب يا منير. يا رب تكون بخير وأحسن حال، اعذرني لو مقدرتش أشوفك السنة اللي فاتت لما نزلت مصر، لأن حصلت ظروف اضطررتني أرجع أمريكا ثاني، ومنعاً للبس واللخبطة، أنا نجوى ولازم أقول اسمي حتى لو أنت عارف ومتأكد الجواب مبعوت من مين، لأن عدد كبير من زملائنا وأصحابنا سافروا واستقروا هناك، وآخر حاجة أتمناها أنك تقرا جواب وأنت شاكك في هوية مرسله .

عارف يا منير، شعور الاحترام والتقدير من أقوى أنواع الشعور، لأنه بيستمر إلى ما لا نهاية، رغم أنه مرت سنين على آخر مرة اتقابلنا فيها، ورغم كل الأحداث والظروف إلا أن صورتك في عيني عمرها ما اتهزت، نتفق نختلف، وأنت بالنسبة لي رمز الاحترام، فعلاً ما فيش إنسان يقدر يجبر غيره على أنه يفضل يحبه، لكن ممكن يجبره على أنه يحترمه، وأنا احترامي وتقديري لك فوق الوصف. كفاية أنك كان ممكن تطلب رقم تليفوني من حد من أصدقائنا، لكن اخلاقك وكرامتك وعزة نفسك منعوك، واصريت على أن رقم تليفوني لازم تأخذه مني أنا شخصياً وأنا اللي اعرضه كمان. مرت سنة. واتنين. وثلاثة. واربعة. وكل سنة زملائنا في الجامعة بيعملوا احتفال لم الشمل لدفعتنا، وأنت بتيجي، وبتقعد على كرسي ساكت وسرحان، بتبادلهم الضحك وبمجرد ما تضحك عنيك ترجع تسرح ثاني، تسرح في باب مكان الأحتفال، لأنك بتكون مستنيني أدخل عليكم. صح كلامي سواء كان صديقنا صادق في سببه، أو الأيام جعلت منه إنسان بيحيد تغليف الأخطاء بغلاف مقبول عند الناس، فأنا ممتنة له في الحالتين، لأن بسببه أخذت قرار وخطوة كانوا مؤجلين من سنين طويلة، من ساعة تخرجنا من الجامعة وما بعدها من أحداث متتالية، وصولاً لسفري وانتهاء كل شيء .

خلينا نتفق على أنني بكتبتك رسالتني كصديقة. بصفتي صديقة. مجرد صديقة لا أكثر ولا أقل، يا ريت تعتبرني حتى صديقة غير مقربة، يعني أي أيام خوالي أو ذكريات أو أي ماضي يا ريت ننساه، المفروض ننساه، الصبح أننا ننساه، يمكن لما بتفتكر قصتنا بتلاقي عدد معقول من الأسئلة بدون إجابات، لكن أنا عمري ما كنت انسانية منظمة لدرجة أنني اجاب على كل سؤال مطلوب مني إجابة وافية، وأنت أدري الناس بي وبطبيعتي، فكن مستعد إلى أنك تقرأ أكثر رسالة مليئة بالغموض والخبطة ممكن تتعرض لها في حياتك، لكن يكفيني أنها رسالة صدق، صدق أنت تستحقه لأنك إنسان محترم، وقد إيه احترامك لنفسك ولغيرك عرفني أنك عملة نادرة ميفرطش فيها غير جاحد أو جاهل، وأنا زمان كنت أكثر براءة وطيبة وسذاجة من أنني أكون جاحده، أو أنني استوعب معنى الجحود وامارسه، لكن أنا جهلي بنفسي وبغيري وبالدينا وصل لمعدل استحقق معه جائزة الغباء المفرط. لكنه كان غباء متعمد، وحشر لك معنى الغباء المتعمد لأنني عارفة أنه مصطلح غريب عنك .

أهم سطور جوابي عبارة عن طلب حطليه منك، عشان متصعبش الأمور عليّ وعلى نفسك. يا ريت يا منير متحضرش حفلة لم الشمل السنة دي لأنني حكون موجودة فيها. هو في الأصل حفل لم شمل واحتفال بمناسبة رجوعي، صحيح هو مش رجوع دائم لأنني قسمت حياتي سنة في مصر وسنة في أمريكا، لكن تقديرًا من أصدقائنا القدامى يشكروا عليه.

طبعا لو كنت بتسمع الأخبار دي للمرة الأولى، يبقى الظاهر أن أصحابنا استجابوا لطلبي بأن محدش منهم يوجه لك دعوة على احتفال لم الشمل السنة دي، لكن أنا مقبلش ولا أرضى يكون فيه كلام عنك من وراء ظهرك. عارفة أن ده ممكن يسبب وقية، لكن أنا عرفت أن بعد التخرج انعدمت العلاقة الشخصية بينك وبين زملائنا، وحتى بين أغلبهم وبين بعض، والدعوة لحفل لم الشمل عبارة عن إجراء روتيني بغض النظر عن الدعوة موجهة لمين، وأصبحت احتفالات لم الشمل كل سنة عبارة عن حفل للمقارنة بين إنجازات زملاء الماضي، تباهي وتفاخر وتعاللي، وبدون أدنى نسبة عاطفة أو حنين للذكريات أرجوك متحضرش حفلة السنة دي. حنبقى فرجة لكل من هب ودب، كل الناس حتكون مستتية تنفرج على ردود افعالنا في أول مرة بنشوف بعض فيها من سنين، كثر كلام وهمز ولمز وغمز. وبعدين ما أنا قلت لك أنها مش حفلة لم شمل دي حفلة بمناسبة رجوعي مصر، مش هي دي الحفلة اللي كانت بتتعمل كل سنة وأنت بتضطر تحضرها وتستحمل تهكم وسخرية زملائنا أو الناس اللي كانوا في يوم من الأيام زملائنا؟ من أول ناس بتقارن إنجازها بإنجازك ويحسوسوك أنك قليل وصولاً إلى جملة "مستني حبيبة القلب" واللي لسه يجيبوا فيها سيرتي وسيرتك لحد

دلوقتي؟ لذلك قررت أكتبلك، لكن محتاجة اخوض في بعض التفاصيل قبل دخولي في الموضوع أنا كل فكرة كانت بتدور في عقلي، سواء فكرة بتفسر وضع أو بتحلل مسار، كنت بكتب لك بيها جواب وأتردد في أبعته، واتكرر الموضوع أكثر من مرة لدرجة أن درج مكتبي أصبح ممتلئاً برسائل قصيرة أشبه بخواطر كان من المفترض إنها توصلك، لكن لما جمعت كل رسالة كتبته وأعدت قراءتها بتأني، اكتشفت أن كلها عبارة عن مراحل في حياتي، بالتالي اعتبرت حياتي بمثابة رسالة واحدة كبيرة بداخلها مراحل، أو فترات ومتقطعة وكل فترة أو مرحلة لها عنوان، كل عنوان بيعبر عن مرحلة أنا عشتها من ساعة فراقنا ولحد لحظة قراءتك لرسالتي، أنا يا منير امتلكت حقيقة حياتنا على مراحل، ولو كنت امتلكتها مرة واحدة، دفعة واحدة، كان يمكن زمني أنا وأنت مع بعض في مصر، أو كان زمان حاجات كثير اتغيرت وأنت أكيد فاهم أنا قصدي إيه. بعد اذنك، نبدأ المراحل وكأن اكتشافاتي فيلم سينما أنت بتتفرج عليه مشهد وراء الثاني :

لا صورة تبقى إلى الأبد .

مبدأ استقرار في وجداني وكأنه حقيقة بتفرض نفسها بلا استأذان، لما اتجوزت طليقي مراد وجينا البلد هنا وخلفت بنتي رولا، ورغم كثرة الأحداث وتتابعها إلا أن مساحة الفراغ كانت بتزيد مش بتقل، مساحة اختلائي بذاتي كانت تقريباً معدومة، أنا كنت أشبه بإنسان آلي بيؤدي مهامه بأفضل شكل ممكن لكن بدون إحساس أو شعور، المشكلة أنه فقدان الإحساس أو الشعور أثناء أداء المهام الحياتية، بيكون مفيد في بادئ الأمر لأنه بيحولك إلى إنسان واقعي وعقلاني، لكن مع الوقت لما العاطفة بينخفض مستواها لدرجة أنك تفشل تستوعب معاني مشاعرك واحساسيك ساعتها لازم وقفة بين الإنسان ونفسه .

وأنا لا أدعي قدرتي على اتخاذ وقفة حاسمة أو حازمة إطلاقاً، لكن أقصى ما استطعت فعله أنني أدخل في خلاف مع مراد وقتها وأعبر له عن مدى مللي من نمط حياتنا، هو بيخرج الصبح يشتغل ويرجع بليل، وبنتي في الحضانة أغلب الوقت، مهامي كزوجة وربة منزل من تنظيف لطبخ الخ لا تستغرق أكثر من ساعتين زمن، فتم الاتفاق على أنني حتنظم في مدرسة خاصة لتعليم الفن التشكيلي أنا فشلت في الفن التشكيلي، والسبب بسيط وهو أنني في حياتي كلها مرستمش حتى أبسط الأشكال، لكنني استفدت أقصى استفادة من محاضرات شرح فلسفة ونظريات الفن التشكيلي.

محاضرات علمتني استوعب معنى خروج الإحساس الصعب على هيئة شكل يبدو غير مفهوم في الأول لكن بعد شرحه وتوضيحه بتحس أنك نفسك تقدم للفنان التشكيلي جائزة تليق بإنجازه. طبعًا، زملائي في الصف اكتشفوا حقيقة علاقتي بالفن التشكيلي، وهي علاقة انسانية بتحب الفن لكن عمرها ما كانت فنانة! ومع ذلك كونت صداقات وبقيت أشجع زملائي في طريقهم، أروح الدروس أشرب معاهم في الاستراحة شاي وقهوة، وأثناء ما يبشتغلوا بفضل اتفرج عليهم واستمتع بكل فكرة أو إحساس بيتم ترجمتهم على هيئة أشكال ملونة .

جملة واحدة في محاضرات فلسفة الفن التشكيلي دخلت قلبي بدون خروج، وهي ألا صورة تبقى إلى الأبد، أو بمعنى أوسع لا صورة تبقى كما هي للأبد. لازم يطرأ تغيير على الصورة، وفي يوم حنتتهي الصورة تمامًا، إما بتغيير ملامحها واللوانها وزيوتهها كليا، أو بحريق أو سرقة أو إفساد أو إهمال أو التلف عمومًا حتى لو بفعل عوامل الزمن، شأن أغلب مكونات الحياة، لازم وحتما كل صورة مصيرها يكون إلى زوال .

زمان لما كنا أنا وأنت مع بعض، أنا رسمتلنا صورة. كلنا سواء كنا فنانين أو غير فنانين بيورد على تصوراتنا صور مرسومة بوضوح، ولها ألوان وشكل و معنى، لكن الفارق بين الفنان وغير الفنان أن الأول يقدر يظهر الصورة للناس ويعرض لهم صورة مصدرها قلبه، لكن غير الفنان وهو أنا بطبيعة الحال، اتكتب عليّ أعيش بصورة أنا الوحيدة اللي أقدر أشوفها، ومهما اكلم عنها الناس، كل الناس تنكر وجودها . بعد تخرجنا من الجامعة بحوالي أسبوعين، أنا كنت بالفعل بعيش مرحلة من أخطر مراحل حياتي، مرحلة اضطراب وهوائية وتشتت، حمل الدراسة وتعبها ومجهودها اتضح لي أنهم يبشكّلوا صمام أمان يحمي الإنسان من نفسه مؤقتًا، بيكون عندك وقتها حجة أنك تأجل وتسوف ابسط مواضيع النقاش المحتدم بينك وبين نفسك، لكن لما بتسترد حريتك بعد انتهاء الدراسة، بتكتشف أن كمية المواضيع المؤجلة وغير المحسومة بيمنعك تتقدم في حياتك باعتبارها أمور عالققة بين الإنسان ونفسه .

لسه متذكرة أول مكالمة استقبلتها منك وطلبت مني فيها أننا نتقابل، نتقابل وتصارحني بحقيقة مشاعرك ليّ، وأنت إنسان ياريت الحياة تسمح لي أكون معه، لكن أنا رسمت معاك صورة واحدة فقط لا غير، ومرة واحدة لاقتني داخله في منافسة وسباق بيتطلب أنني أرسم ألف لوحة وكلهم حلوين حلوين بمعنى أنهم ينالوا إعجاب الجمهور، والجمهور هو الأهل والأصدقاء والمعارف والمحيطين بينا حتى لو كانت معرفتنا بيهم سطحية، طب أعملها إزاي؟

بعد تخرجنا من الجامعة، سرعة الأحداث كانت مخيفة، فعلاً كنت بشعر أنني بسوق عربية بسرعة وفاقدة التحكم في حركتها، هي صحيح العربية ماشية في طريقها لكن مستوى القلق والتوتر نتيجة انفلات زمام الأمور وفقدان السيطرة كان محسني أن الوصول لبر الأمان صعب، وكل شوية واحد من الركاب يقدر يرمي نفسها خارجها، واللي حيفضل من العربية هو الوحيد اللي حيكون بيضحى بنفسه حتى لو كان السواق .

معنى كلامي أنني كنت وقتها بتلقي تليفون شهرياً من زميل أو زميلة من زملائنا يبلغوني فيه بخطوة كبيرة اتخذوها في حياتهم أو حتى اتخذوها آخرين أهاليهم يعني - بالنيابة عنهم، خطوات من أول السفر لحد الوظيفة المرموقة . وصولاً إلى فكرة تأسيس مشروع خاص حسيت وقتها أنني أشبه بمياه راكدة . واني منسية وأن النسيان حيطويني فقبلت عرضك لكن بترتيب مشاعر واولويات مختلف، أو لأنه يعتبر مطر خفيف على صحراء حياتي، وثانياً لأنني عارفة أنك بجد بتحبني من أيام الجامعة واتوسمت في نفسي أنني ممكن أحبك .. لما صارحت أهلي بفكرة ارتباطنا بعد مرور حوالي 5 شهور، اكتشفت أنني مرسوم لي صور كثيرة وأنت مش فيها، أهلي شافوني في أكثر من لوحة مرسومة بأكثر من قصة حياة، لكن ولا واحدة منهم كانت معاك، فيها منها صور أنا بفضل فيها وحيدة، زي أنني اسافر برة أكمل دراسات عليا، أو أنني أنضم لجمعية وأتبنى تحقيق أهدافها، أو أنني أتوظف وظيفة تليق بأسم عائلتنا .

وفيه صور ثانية متصورينها في وجودي مع شخص يكون مستوفي شروطهم، إنسان في وظيفة مرموقة وتكون عائلته معروفة ومواصفات وشروط رغم قلة الإحساس فيها إلا أنها كلوحة هي براءة جداً وتشد الأنظار، بالتالي قصاد ضعف موهبتي في الرسم ومهارة جميع المحيطين بينا في رسم صور بأدق تفاصيلها كان صعب أنني اتمسك بيك، لكن كانت حاجتي بتتمثل في المماثلة والتسويق وتأجيل عرض لوحاتهم قدر المستطاع، وقتها أنت كنت بتبني امانني واحلام وأنا كنت بتمني أن يوم فراقنا يكون ابعده ما يكون، لكن مع الأسف، اتقدم عريس كانوا مبهورين بيه، واتجوزنا، وسافرنا، وخلفت بنتي في الغربية، لكن كل يوم بصحي . وأنا ذاكرتي متوقفة عن يوم ما كلمتك وقلت لك انساني واقطع علاقتك بيّ صورتي معاك، اتغيرت كثير عن وقت رسمها، استحالتها وصعوبتها وعدم تقبل الآخرين لها خلقتها وكأنها صورة منبوذة، صورة رسمها فنان طائش غير دراس لمقاييس الفن ومعاييره، بالنسبة للمحيطين بيّ هي صورة فجّة، وبالنسبة لي أنا كانت آخر صورة ارسمها وأنا مصدقة نفسي، لنفسي مش للناس .

الذكريات لا تصلح كرابط .

جمعتنا ذكريات، وذكريات الناس أشبه بلغة مشتركة بين اثنين ولا يفهمها سواهم، لكن وبعدين؟ هل ينفع نعيش أسرى للماضي بصورة طالما أننا اتفقنا أن الصورة بتتغير أكثر من مرة لحد ما تفقد أي علاقة لها بالرسمه الأصلية؟ أوقات كنت بقول لنفسي أن المتمسكين بالذكريات هما أشخاص فقدوا قدرتهم على صناعة أحداث حاضرهم، فمتبقاش غير بعض ذكريات الماضي وبعض امانى للمستقبل، لكن تمسكي أنا بالذكريات كانت اسبابه مختلفه، لأن تمسكي بيكشف لي حقيقة الماضي، هل أنا اتسرت ولا كان معايا حق في أنني اختار طريق الكل بيحسدوني عليه! هل لو كنت اتجوزتك وعشت معاك، هل كان حبنا حيتحسد من الناس زي ما بيحسدوني دلوقت؟ ولا كانوا حيعتبروني تنازلت في مقابل الحب هل للمكسب أي شعور بالرضا عنه في حالة ما إذا كان الناس شايفين خسارة مش مكسب؟ أنا نجحت لما انضمت لأشخاص في لوحة كان كلهم كانوا يتمنوا يتصوروا فيها، بنت جامعية بنت ناس محترمين اتجوزت رجل اعمال شاب وناجح وسافروا بعيد، وهناك خلفت وعايشة حياتها سعيدة، وتوتة توتة خلصت الحدوتة، حتى بعد ما عرفوا خبر طلاقى، بدأت أسمع كلام عن حسن حظي إنني أجمع بين مقدار من الحرية زائد الحياة الراغدة تتصور؟

بقول عندي ذكريات معاك، كل واحد من زملاءنا يملك زيبها، أو يمكن أكثر منها، هي ذكريات تخص فترة أنا كنت فيها إنسانة متخبطة فاقدة اتجاهي في الحياة، مش عارفة طريقي فمضطرة امشي في كل واي طريق بدون حسابات، لكن بدون قصد أربكت لك حساباتك أنت الشخصية، ودخلتك في دوامة لساك مش قادر تخرج منها لحد النهارده .. الذكريات لا تصلح كرابط بين أي اثنين، الذكريات هي لحظة كانت تحت ظروف معينة وانتهت، بعد اللحظة ما تعدي إحنا بقينا اتنين مختلفين، زي صورنا وإحنا اطفال، هل ينفع تقدم صورتك وأنت طفل لأي جهة بصفتها صورتك؟! خلاص مبقتش تدل على ملامحك، مبقتش عنوان ليك، مبقاش فيه أي صلة تربطك كشخص ناضج بصورة طفل بريء حتى لو انتوا الاتنين كنتم في يوم نفس الشخص. أنا مش خاينة للذكريات، أنا مخلصه للواقع، والواقع يقول أننا ناس تانيين غير اللي حبوا بعض زمان، حتقول أنك متمسك بالماضي، وأنا كمان متمسكه بيه، لكن متمسكة بيه كلوحة جميلة الزمن فضل يغير فيها لحد ما اختلفت كثير عن أول مرة اترسمت فيها، ولو أنت لسه بتحب لوحتنا ومتمسك بيهما يبقى أنت متمسك بحاجة مبقاش لها وجود، زي صورنا وإحنا صغيرين تمام، الصورة موجودة لكن الأصل اتغير كثير ومبقاش له علاقة بالصورة .

بعيد عن العين، قريب من القلب

أول ما سافرت، مريت بفترة نقاهة، كانت مدتها حوالي ثلاثة شهور، اعتبرت فترة تعافي من ضغوط الفترة السابقة عليها، أخيراً ارتحت من مكالمات الأصدقاء والتباهي بالخطوات والأنجازات، ارتفاع مستوى القلق والتوتر نتيجة أنني بمحققش أي انجاز، ثم مراد طليقي بيتقدم لي واهلي بيوافقوا عليه وقصة انفصالي عنك في ظروف متوترة جداً ..

طبعاً أول ما وصلت البلد هنا، كان مراد طليقي - جوزي - وقتها بيخرج يروح الشغل وأنا لسه مكنتش خلفت بنتي فكان عندي وقت استرجع الأحداث واحللها، كنت بقضي عدد ساعات كبير نسبياً في البيت وحيدة وكنت بعترها فرصة مراجعة حساباتي في الحياة كلها وفي آخر مرحلة خصوصاً، لما كنت بكلم ماما في مصر واقولها أنني بعاني من نوبات من الحنين، حنين لكل اللي فات، كانت تقول لي أنني بكرة حنسي، ولما كنت بسألها عن مصدر يقينها وتأكدها من نسياني كانت تقول لي البعيد عن العين بعيد عن القلب لكن لو أحكي لك وأقولك على إصرار زملائنا على التواصل معايا في الغربية، مش حتنصدق، حتى الناس اللي كانت معرفتي بيهم غير وطيدة وبستخدم لفظ مهذب نسبياً عشان اتفادي وصف معرفتي بيهم بالسطحية، دايمًا مكالمات ورسائل وتواصل على حساباتي في شبكات التواصل الاجتماعي، لدرجة أنني حسيت بأني لو كنت فضلت في وسطهم مكانوش ادوني هذا القدر من الاهتمام أبدًا، لدرجة أنني عرفت بعد كده أنه فيه ناس منهم لا تتواصل مع بعض رغم أنهم جيران في نفس الشارع بقدر تواصل الطرفين معايا !

أنا مش مجنونة عشان أظن في نفسي قدرات خارقة على جذب الآخرين لكنني اكتشفت أن الحياة اختلفت كثير عن جيل أبهاتنا وأمهاتنا وحتى عن جيلنا في بداية شبابه، زمان كان البعيد عن العين بعيد عن القلب، لكن دلوقت العين بتزه كل قريب، وبتعشق كل بعيد عنها، وده ملوش غير معنى واحد وهو أن الحياة اتغيرت، الحياة اللي أنا وأنت اتقابلنا فيها وعرفنا بعض وحبينا بعض بمقاش لها وجود، أنت حاسس أنني حبيبتك اللي اتسرقت منك، وأنا حساك حلم مقدرتش اكمله للأخر، لكن التوقيت أهم مما تتخيل، صدقني فات الوقت، وعدي . كثير لدرجة أن حتى المحاولة أصبحت لا تستحق العناء أما علاقتي أنا وأنت بموضوع أن البعيد عن العين قريب من القلب، هو أن المسافة ما بيننا، كانت عامل مؤثر جدًا في أن الأمل يستمر، الأمل في أننا نتلاقى ونتجمع من جديد، أنا سيده مطلقة وعابشة في الغربية لوحدي مع

بنتي، وأنت نسان عازب طول عمرك عايش على ذكرى أول وآخر تجربة كانت في حياتك - على حد علمي - ولسه متمسك بيها، يمكن لو كنت استنيت قدام عنيك وقرية منك حتى بعد ما بعدنا عن بعض، كان الإحساس بداء في الخمود بالتدريج، لكن فكرة أن حلم قديم عنده فرصة يتجدد في ظروف تبدوا بالنسبة لك أفضل وأفضل لي، هي فعلاً ممكن تكون السبب في تعب قلب صاحبها، وإحنا سواء حيننا الماضي ل أو كرهناه، فكرة أننا نتلاقى أنا وأنت ونعيد القصة من الأول أو نكملها من آخر نقطة وقفنا عندها زمان، هي لعبة في منتهي الخطورة، صدقني يا منير لا في مصلحتي ولا مصلحتك أننا نحاول من جديد، وأنا متأكدة أنك لو فكرت بعقلك مش بقلبك حتقولي أنت صح .

لازم نحرر بعض .

عشان تبطل تفكر فيّ، لازم أبطل أفكر فيك، وعشان أبطل أفكر فيك، لازم تبطل تفكر فيّ !

دي مش كلمات أغنية، دي الطريقة الوحيدة اللي ممكن تخلينا نعيش ونبص لقدام والماضي بالنسبة لنا يفضل ذكرى جميلة فقط لا غير، إحنا كل واحد فينا بيلعب في حياة الثاني دور الحاضر الغائب، يعني كل الكلام اللي بيوصلني عنك وبعترف أنني بكون حريصة على معرفة أخبارك أول بأول، هي أنك بتحضر حفلات لم الشمل الخاصة بدفعتنا، تفضل قاعد سرحان ومنتح وبترد ردود مختصرة على كل حد واي حد من زملائنا بيحاول يفتح كلام معاك، حتى لو اتعزم عليك بقطعة جاتوة أو مشروب، بتفضل ماسك الطبق أو الكوباي ةفي إيدك و معلق إيدك في الهواء و عنيك سرحانة ...

وأنت كمان حاضر في حياتي كل يوم، لكن بشكلين مختلفين :

الشكل الأول: هو أنك بتيجي في بالي على هيئة فكرة اقتحامية، فكرة بتولد عندي فضول أعرف أخبارك أو أكلم الناس اللي تعرف أخبارك، وساعتها بتحول لشخصية متناقضة وبتمني امنيتين عكس بعض، بتمني أنك تكون في أحسن حال ومتجوز وعندك أسرة وأولاد عشان يكون تعويض لك عن اللي أنت عشته معايا واستحملته مني، وبتمني كمان أنك متكونش متجوز ولا عندك بيت ولا أسرة ولا أي اهتمام في حياتك يسلبك من الاهتمام بيّ في بعادي. أنا عارفة أنها انانية، أنانية مفرطة كمان، لكن حتى لو مقدرتش أفوز بالجائزة، فمش حقدر أسلمها للي يستحقها بأيدي. فاهمني صح؟

الشكل الثاني: وهو أنك بتظهر على شكل طريق بديل للحياة في أي لحظة بحس فيها أن حياتي ممكن اضطر اغير شكلها، ووصلت ذروة الشكل الثاني، أني أنا ومراد طليقي لما كنا ماشيين في إجراءات الطلاق ومتفقين على كافة المسائل اللاحقة، معيطتش دمة واحدة، لدرجة أنه كان مستغرب، مراد ابو بنتي إنسان ذكي ولماح وعارف أني كأنسانه محترمة عمري ما يكون ليّ حياتين في نفس الوقت، لذلك كان نفسه يسألني. مالك؟ تتصور واحد بينفصل عن واحدة وآخر سؤال عايز يسأله لها يكون، مالك؟ إيه اللي مقويكي؟

أنا معرفش إيه اللي كان مقويني. لكن كانت بتيجي في بالي صورة أني لورجعت مصر في أي وقت حلاقيك زي ما أنت بنفس إحساسك وشعورك اتجاهي بالتالي حرجع لحياتي الأولى معاك. سداجة أو عبط أو هبل لكنها أفكار بتزورني من حين لآخر، زي ما أنا عارفة أن فيه أفكار بتزورك أنت كمان مثال غبي تصور أنك سايق عربيتك على طريق سفر، والبنزين يدوب على قد الرحلة، وبسبب الغفلة فوت الاستراحة، ومكتشفتش أنك فوتها غير بعد ما كنت قربت توصل مدينة أنت مسافر لها، تفتكر حتقدر تلف وترجع؟ هل حيكون سهل عليك أنك ترجع لنقطة في منتصف الطريق بعد ما أنت خلاص وصلت لآخره؟ أكيد صعب.

أنا عارفة أني ممكن أكون اخترت مثال غبي، والتشبيه فيه غير دقيق، لكن ما هي دي قصتي وقصتك يا منير، إحنا معندناش طاقة إننا نلف ونرجع نرتاح في استراحة عشان نقدر نكمل المشوار، إحنا كل واحد فينا وصل لمرحلة في حياته أصبح معها فكرة الرجوع لأي اختيار في الماضي مستحيل. أتمنى تكون فهمتني تفادئ اللقا، تفادي للفراق مش حنعيده تاني، وأنت أكيد فهمت معنى العنوان، بتفادي اللقا عشان أتفادي الفراق، عشان أتفادي اتحط في موقف اختار فيه بين نفسي وبينك أو بين حياتي معاك وحياتي بدونك، فهمت ليه بحاول أتفادي ألقاك؟ أنا وضحت لك كل حاجة، افتكر أنت دلوقت فهمت الصورة بالكامل، المسألة مسألة حفاظ على مكتسبات وحمايتها حتى من صاحبها، خلي كل واحد في طريقه لأننا بقينا عارفين طريقنا أكثر ما إحنا ممكن نتعرف على أي طريق جديد ممشنناش فيه قبل كده .

اعذرني

نجوى

تعليق السمسار البوسطجي علي رسالة تغادي اللقا والفراق

كاتبة الرسالة الفاضلة نجوى أصبحت تتكلم من منطلق لغة المبادئ. وكل مبدأ عندها أصبح له أسم ، مما يعني شدة وضوح في الرؤية. يعني أذكر منهم مبدأ لا صورة تبقى إلى الأبد، ومبدأ الذكريات لا تصلح كرابط، ومبدأ البعيد عن العين قريب من القلب .

وأصعب أنواع الجدل أو محاولات الإقناع بتدور دومًا بين اثنين لدي كل منهما مبادئ مختلفة عن الآخر، وليس أحدهما فارغ بينما الآخر مليء. كلاهما صاحب تجربة وكلاهما مقتنع بصحة تجربته وتفوقها على أي تجربة أخرى. مما يزيد الأمر صعوبة كن ما يؤلمني حقًا هو فكرة وجود شخص. شغله الشاغل في الحياة هو الانتظار! انتظار حبيبة الماضي البعيد تأتي في نفس ثوبها القديم. كنت أتمنى وهو تمنى تخيلي بطبيعة الحال إذا جمعني موقف حوار مع الفاضل المسمى أستاذ منير هو سؤاله. سافر لها أنت.. ببساطة! أم أنك أدمنت الانتظار لمجرد الانتظار! أم أن لقاءك بها هو حدث جانبي على هامش الحياة بينما الانتظار تحول إلى إدمان وونس يفوق وونس اللقاء بها شخصيًا .

الرسالة يا حضرات وصلت على شقة بحسب توصيف حارس العمارة لها بأنه تخص رجل محترم عايش في حاله يبيع الشقة وقطعة أرض صغيرة في بلدهم عشان يسافر أمريكا.

طبعا بمطالعة الرسالة أنا فهمت أن أستاذ منير مسافر للأستاذة نجوى بدون أدنى فكرة عن محتوى رسالة بنطلع عليها جميعا دلوقت. ومع ذلك ورغم تأخر رد الفعل، إلا أنه يعتبر أكثر الأفعال إيجابية في تاريخ اطلاعي على الرسائل، لكنه لا يعلم ما ينتظاره من جدل منطقي مستند لمبادئ وخبرات حياتية هناك .

الرسالة الثانية عشرة :

صح متحف .. مصطلح جديد

المرسل : رامي

المرسل إليه : الدكتور سليم

جدو باشا وحشنتني قوي، أتمنى متكونش لسه مخاصمني لدرجة أنك ترمي الجواب أول ما تعرف أنه مني. اوعي يا جدي تفتكر أن كتابة الجواب دي حاجة سهلة، ده أنا بقالي أسبوع أو أكثر بحاول أجمع أفكارى ويا ريتنى قدرت أجمعها بشكل كامل .

يا جدي أنا مخترتش أسيبك وأبعد عنك، صدقني الظروف كانت أقوى مني بكثير خصوصًا في الأيام الأخيرة وقبل ما أسيبك وأسافر، أنا وأنت عشنا طول عمرنا متفاهمين ومكتفيين ببعض. لكننا تناسينا وجود عالم وناس ملهمش نفس أفكارنا ولا مؤمنين بنفس مبادئنا. إنكار وجودهم مكنش الحل، وأنا لا أدعي أنني كنت أملك حل لمشكلتنا لأنها كانت أكبر مني وأنت عارف، لكن على الأقل كان لازم آخذ خطوة لأن السلبية كانت حتدمر حياتي يا جدي .

أبويا اللي هو أبنيك يعني، هو و أمي بيشتغلوا بره من يوم ما أنا تولدت، عهدوا إليك بتربيتي وأنت متطوعًا قمت بالمهمة على أكمل وجه رغم أنك أكيد شايفني مش متربى، ماشي عشنا سنين سوا أنت بالنسبة لي فيها الأب والأم. وأنا بالنسبة لك فيها الأبن و الحفيد في نفس الوقت، اختصرنا مراحل في العلاقات العائلية والأسرية وكنا بنكتفي أنا وأنت ببعض. أنا حتى فاكر لما عرضوا عليك تتجوز واحدة معرفة، رفضت ورديت وقلت لهم مش فاضي. بربي أبني، أبني مش حفيد، و لما كبرت عرفت أنها تضحية كبيرة أنك تحرم نفسك من الحياة الطبيعية عشان تربى حفيدك، اللي هو حفيدك مش أبنيك .

لما كان بابا وماما بينزلوا لنا زيارات، أنا وأنت كنا بنعاملهم معاملة الأعراب كنا بنحس أنهم مش فاهمنا، وطبعًا طلبهم الملح بأنني أول ما أخلص جامعة أسافر لهم هناك وحيجيبيوا لي شغل كان بالنسبة لي مرفوض تمامًا، إزاي اسيب جدي لوحده؟ حتى كنت بتكلم مع بابا في الموضوع ده كان يقولي أن جدك حيعرف يخلي باله من نفسه. ويتحججوا بفكرة أنهم عرضوا عليك تسافر وتعيش معاهم هناك وأنت رفضت من الآخر، أنا عشت ظروف وأحاسيس كانت صعبة الاستيعاب على طفل أو مراهق في سني وقتها، يعني أنا اتربيت نفس تربية بابا، لأن اللي رباني هو جدي. ومع ذلك أنا عكس بابا تقريبًا في كل حاجة وعلى طول الخط، أنا كنت من الأطفال القلائل اللي شافوا خلافات بين جدهم وأبوهم والخلاف بيدور حول أسلوب تربيتي وطريقته! أنا لو عليّ كنت ادخلت واخترت أسلوب التربية اللي أنا شايفه مناسب، لكن هو فيه طفل في الدنيا بيختار أسلوب تربية وهو شايف جده وأبوه مختلفين عليه؟

المشكلة كلها بدأت لما الدنيا بدأت تتحرك بيّ وأنا كنت رافض الحركة، اتعرف على بنت ناس من أسرة محترمة والديها يصروا على أنهم يقابلوا بابا وماما، مهما أقول جدو موجود مكنش حد راضي يعترف أنك بتحل محلهم، رغم أنك ملثت حياتي بحاجات كان مستحيل عليهم يدوهالي، ده كان بيخليني اتمسك بيك أكثر وأصر على وجودي جنبك لأنك بتمثلي نوع من التحدي للناس، وأنا بحب اتحدي للناس، وأنت عارف أنني فيّ الطبع ده من زمان مع الوقت فعلاً بدأت ألاحظ أنني مختلف، لكن الإنسان لما بيحس بأنه مختلف بيكون ميال أكثر لفكرة أنه متميز، وبطبيعة الحال مش كل اختلاف بيكون تميز، احتمال يكون الأختلاف ما هو إلا مقدمة لتحول إنسان ما لمنبوذ كل أصحابي بيروحوا النادي، يلعبوا كرة ورياضات دفاع عن النفس، لكن أنت يا جدي اخترت لي رياضتي، يوم ما رجعت البيت ولاقيتك اشتريت لي كل أدوات لعبة التنس من أول المضرب لحد الهدوم، لعبة التنس بالنسبة لك بتمثل الرقي في صورته الرياضية، بالتالي بدأت فكرة اختلافي تتأصل، لأنني فعلاً كنت بحب الكرة. فيما يخص ألعاب التسالي، الشطرنج والطاولة هما الوحد اللي مسموح لي العبههم، وبسببهم أنا اتحولت لمحط إعجاب أساتذتي في المدرسة لكن عمري ما قدرت أحظى بإعجاب زملائي. أنا بالنسبة لهم شخص مختلف، وحتى البنات لما بيشدهم اختلافي وتميزي بيدوني فرصة أقدم شكل اختلافي ومعناه، لكن بمجرد ما بيتأكدوا أنه اختلاف زمن أكثر من كونه اختلاف ذوق، بيترفض أي عرض كنت بقدمه، حتى لو عرض بهدف التعارف لا أكثر.

بالنسبة للموسيقى، أنا اتريبت على الموسيقى الكلاسيكية لعمالقة مؤلفي الموسيقى الأوروبيين ، أي شخص كان يحول يشاركني اهتماماتي كان يبعث لعدم قدرته على مجاراتي في نمط حياتي وأسلوبها، ومع الوقت بدأت وحدتي تزيد وحيث إننا جينا سيرة الموسيقى فموضوع رفضك التام لأنني ألعب آلة الجيتار أو حتى أجيب سيرته مكنش له أي مبرر واضح غير مزاجك الشخصي يا جدي أنت عندك الحنية ، وبابا وماما عندهم الحرية. والغريب أن الحنية والحرية مبيجتمعوش أبداً، أوقات كنت بفكر في أن كل طرف فيكم كان بيظهر إغراء عشان يستميلني لصفه لكن مافيش طرف قدر يديني كل حاجة وده طبيعي لأنكم في الأول وفي الآخر بشر، لكن يا جدي أنت كنت في يوم من الأيام شاب في سني، واكيد فاهم الرغبة المجنونة عند أي شاب في استكشاف العالم، حتى لو كان العالم ده هو شارع اللي ساكن فيه أو حتى إعادة اكتشافه لذاته هو شخصياً كان فيه نقطة مش في صالحك يا جدي. وهي أنني لما كنت بقابل أحفاد أصحابك ناس من سني ومفروض أننا متساوين في الظروف والدرجة، كنت بتفاجئ بالفرق بيني وبينهم، أنا بالنسبة لهم واحد من جدودهم لكن سني صغير، كنت بقعد وأسمعهم بيتكلموا وأنا خارج نطاق التفاعل في أغلب موضوعاتهم تقريباً إلا لو مثلت وعملت نفسي فاهم، وأنا أكيد مش فاهم وادعيت معرفتي وسابق خبرتي في موضوع مطروح للنقاش معاهم، أوقات كنت أسمعهم يقولوا أنهم بييجو الزيارات دي مع جدودهم مجاملة لهم مش أكثر وإنهم بيعتبروها قعدات مملّة، وقتها كان ببقى نفسي أقولهم أن الساعة أو الساعتين اللي انتوا مش قادرين تتحملوهم من الملل هما حياتي كلها !

الجزء الأصعب أنني كنت عارف أن حياتنا كحياة كلاسيكية وقديمة لها عدة عناصر، ومن ضمن أهم عناصرها مجموعة الناس القرييين منا، لأن هما دول صمام الأمان لرؤيتنا التقليدية للحياة، لما اكتشفت أن الناس دول ناس منافقين وبوشين. أنا اكتشفت أننا مخدوعين، واسمح لي احكيلك موقف يمكن بحكيه لأول مرة حضرتك عارف الست أم قنديل اللي كانت بتشتغل عندنا في البيت. الست دي كانت فاهمة دماغك كويس، واشتغلت عليها مطبوط، كانت لما تعملك الفطار الصبح و تقعد تحكي لك وتشكي لك من حال الناس وإزاي الناس اتغيرت ووقت وحشة، حضرتك تتبسط وتتمزج قوي بكلامها أو لأنها بتسليك بأخبار الدنيا اللي إحنا انقطعنا عنها وكمان بتحسسك أنك بعزلتك وكأنك في قلعة حصينة، أو حصن منيع، ويومك يبقى أجمل يوم لو بدأ بشكوى الست أم قنديل من أحوال الناس وأن البشاوات اللي زيك خلصوا خلاص من الدنيا يا بيه. قصدي يا جدي.

مع الأيام ومرة كنت واقف في البلاكونة وشفقتها وهي نازلة من عندنا، مش عايز أجيب سيرتها بحاجة وحشة لأنها رغم كل شيء ست غلبانة وخدمتنا كثير بس أقل ما يقال إنها ست في منتهي الخلاعة، على طول هاتك يا ضحك وهزار مع كل من هدب ودب، كل الناس اللي بنتعامل معاهم من أول بواب العمار لحد دكان البقال والمكوجي، تروح تدي قميصين تقف تضحك لمدة ساعة تزيد متقلش الله.

طب ما هي الدنيا حلوة اهه و الناس طلوعوا كويسين وبيضحكوك! وطبعًا هي لا يمكن أن تحاسب على تصرفاتها لأنك بتعتبرها صمام أمان لنمط حياتنا، أوقات يا جدي ومتزعلش مني، كنت بحسك عارف وساكت، عارف أنها سيئة السلوك لأنك لا تملك شجاعة البحث عن بديل، بديل قد يكون عصري ومتحضر وصريح وواضح وممكن ينفر مننا ومن نمط حياتنا، بالتالي نفاقها كان يشفع لها مع أن ملامح الصعابيات مكنتش بتظهر غير قدامك أنت بس .

في يوم لما استأذنتك أنها تجيب معها بنتها، عشان تساعدها في الشغل، كان يوم فاصل بالنسبة لي؛ لأنه يوم نهاية آخر حجة كنت بحاول اصطنعها لتقبل المتناقضات اللي حوالينا، طبعا مش لاقى أوصاف محترمة أوصف بيها بنتها، وخصوصًا يا جدي أنك كنت ميال في الفترة الأخيرة وقبل سفري لتسطيح الأمور وتبسيطها أكثر من اللازم، لكن يعني أقل وصف توصف به بنتها أنها لا مؤاخذة . هشتك بشتك، بنت مُلعب يا جدي من الآخر. يلا أديني قلتها وخلص.

مرة واحدة وبدون سابق إنذار لاقيت باب أوضتي بيخبط، لسه وقبل ما الحق أقول "اتفضل" لاقيت بنتها داخلة عليّ وقال إيه عملا لي كوباية شاي! يا ست وهوانا طلبت منك حاجة! ولما سألتها وقلت لها: هو أنا قلت لك ادخلي لما خبطتي على الباب؟ ضحكت ضحكة رقيقة وقالت لي ما أنت كنت حتقولها، بيني وبينك يا جدي قلت لها: طب اتفضل لي على المطبخ وكشرت في وشها بعدها بشوية وأنا قايم أتسحب ناحية المطبخ سمعت أجمل حوار تعليمي وتثقيفي بين أم وبنتها، يعني فعلاً يا زين العلاقة الوطيدة، وعلى فكرة أنا وأنت يا جدي كنا موضوع المحادثة اللي بينهم وبين بعض، أسمح لي أنقل لك جزء منها، هو صحيح جزء قاسي شوية، لكن مش أقسى من سماعي له أول مرة .

الأم : ده راجل عجوز ومجنون، مخه ضارب ولاسع، لسه عايش في أيام البشاوات والبهاوات وفاكر نفسه واحد منهم، اشتمي في الناس وفي الأيام والعيشة واللي عايشينها حتلاقيه اتبسط، مش بقولك راجل أنزوح وميحش الخير غير لنفسه،

بيتمزج لما يلاقي الدنيا خربانة وهو حاله عمران، ونصيحة مني الواد ابنه ولا حفيده ده ميه من تحت تبين، حاولي تشتغليه عشان أعرف أحطك في البيت .

البت: ما أنا سمعت كلامك ودخلت له أوضته وكرشني منها .

الأم: طردك النهارده مش حيطرديك بكره، بس ما هو تلاقيه زي جده، ادخلي عليه دخلة صدقني يا أستاذ مبقاش فيه شباب مؤدب وابن ناس ومحترم زيك اليومين دول حتلاقيه داب ووقع طابب على بوزه.

أكمل يا جدي ولا كفاية؟ أنا بقول كفاية. كفاية قوي أن بسبب تعنتك وتحيزك لأفكارك دخلت بيتنا ناس بالأخلاق دي وكمان كنت فاكهم مخلصين لأفكارك وبتبديهم عن أقرب الأقربين لنا، الست دي أنت تكفلت بمصاريف جواز بنتها الكبيرة، ولما عمي طلب منك مصاريف مدرسة ابنه رفضت! أنا مش بحاكمك، ولا أقدر أحاكمك، أنا بحاكم وجودي في حياتك لأنه كان عبء عليك وأنت مش داري بكفي أنني لما كنت باخد درس مع مدرس، ورغم أنه مدرس غير متمكن من المادة اللي بيدرسها لي، بمجرد ما بيعرف سكتك ويعرف أنك بتحب تمجيد الماضي بتجبرني على الاستمرار معه حتى لو درجاتي كانت وحشة في الامتحان، وألاقيك تهتم به وتعزمه على شاي بعد الحصّة. طب لحد امتي حنفضل لعبة في إيد الناس!

أصعب موقف مر عليّ لما أعجبت بواحدة تبقى حفيده واحد صاحبك، حفيده أونكل باهر، سلمى أكيد أنت فاكرها، لما مرة قابلتها في النادي واتكلمت معها عارف يا جدي، أول مرة كنت أتمنى إنسانة تشاركني عمري كله، أنا حبيتها من بعيد لبعيد لأنني كنت شايف نفسي غير مؤهل لفكرة الارتباط من أساسه، ومع ذلك طلبت إنني أقابلها مرة عشان مكنتش قادر أكتفم جوايا وأخبي حقيقة شعوري أكثر من كده، طبعا أكيد عرضي اترفض بدليل أن خطوبتها كانت من حوالي خمس شهور وأنت حضرتها كمان، لكن أثناء ما كانت بتترفضني عملت فيّ أكبر جميل ممكن إنسان كان يعمله ليّ، شرحت لي حقيقة وضعي ونظرة الناس ليّ بكلمتين اتنين بس، كلمتين فقط لا غير كان فيهم حل المسألة، اسمح لي يا جدي أتقل عليك وأحكى لك أصعب موقف مر عليّ، لأنني مكنتش عندي الجرأة احكيلك وقتها عشان خفت من رد فعلك لما تعتبرني أخرجتك مع صاحبك أونكل باهر .

- يعني أنا سألتها طب لأ ليه؟ سبب رفضك إيه !

- قالت لي الرد المختصر إياه إنني بالنسبة لها أخ وصديق .

بصراحة يا جدي أعصابي يومها كانت وحشة قوي، وكنت شبه منهار في مكان عام، بدأت اقولها طب مش عاجبك ليه؟ طب أنا فيّ إيه غلط أو وحش وأنا مستعد أصلحه، طب أي تفاهم. طب أي حل وسط، والظاهر البنت كثر خيرها قررت تتعاون معايا لأنني صعبت عليها، وأخيراً اتكلمت وصارحتني، حنقك كلامها بالحرف :

- قالت: بص يا رامي، أنت مافيكش أي حاجة غلط، بالعكس أنت صح بزيادة، لكن اسمح لي أنت صح متحف!

طبعا ساعتها عرفت أنني مرفوض، وإن سبب رفضها ليّ أكبر من أن يتم إصلاحه لكن حيث إنها خسرانة خسرانة، ضحكت لها بصفاء وقلت لها: حيث إنك رفضتيني وده أكيد حقك. يبقى حطبل منك خدمة أخيرة، حاجة أستفيد منها وأفتنكرك بيها بكل بخير. أنا عايز أفهم يعني إيه صح متحف، وتأكدني أنني عمري ما حزعل مهما بلغ بيك مستوى الصراحة .

بدأت البنت تتكلم ببطء، ثم بدأ إيقاع كلامها يتزايد من حيث السرعة، وكأن ترددتها في الكلام كان مقتصر على أول دقيقة أو دقيقتين، لكن الصراحة فرضت نفسها. بعترف أن إختيار كلامها كان سيئ وكان بيحتوي على ألفاظ شبه جارحة، لكن ما هو أنا كان لازم أتجرح عشان أفوق .

أولاً فوجئت بها على يقين من أنني مليش تجارب ولا خبرات حياتية في الارتباط، وأنا من جهتي ماكدتش على كلامها ولا حاولت أنفيها، وإنما تركيزي كان منصب على محتوى سبب رفضها، وهو بيدور حوالين أنني شاب بلا أخطاء، وبالتالي تعليمي ناقص كثير، وأنها بتتمنى إنسان تستفيد من خبراته وتجاربه، وقالت لي كمان، أنني صح متحف بمعنى أنني نموذج عفا عليه الزمن، حتى لو صح ومؤدب ومجتهد ورائع، إلا أنني غير مناسب للعصر. شكرتها ودفعت ثمن

العزومة رغم أن محدش فينا مد إيده وأكل ولا لقمة واحدة، ووصلتها بيتها وروحت أنا، على فكرة، المفاجأة أنني مش شايف كلامها صح، لكن كان فيه جزء مني موافقها عليه، جزء مني مش راضي عن نفسي، وعارف أنني أستحق يكون لِيّ تجربتي الخاصة في الحياة. إحساس غريب جداً أن إنسان يضطر لابتكار مصطلح عشان يوصفك بيه!، وكأن حالتك أغرب من أن يوصفها مصطلح موجود قبل كده ومتداول بين الناس! فعلاً كنت بتعرض لمواقف غريبة، لكن اتضح لي بعدين إنها مواقف طبيعية وأنا اللي كنت غريب، على فكرة يا جدي، أنا وأنت لما المنطق انتهى ما بينا، حاجات كثير بيني وبينك اتغيرت، لما كنا نتناقش وأوصل معاك لنتيجة، كنت بتلجأ لفكرة الإهانة، صحيح هي إهانة خفيفة وكنت بحب أسمعها منك الا وهي كلمة بجم، واللي أنا واثق ومتأكد أنك قلتها لبابا أكثر ما قلتها لي بكثير، لكن بجم مكانتش حل في حد ذاتها، بجم متقدرش توقف عقارب الساعة، بجم كانت حل مؤقت جداً يا جدي يعني مثلاً فكرة أنني حعيش عمري معاك وجنبتك أنا كنت حاببها من كل قلبي لكن حبيتها لما كانت اختياري، لكن لما فهمت أنها نتيجة خلافات بينك وبين بابا وعمي، حسيت أنني اتورطت بدون ادني ذنب، أو بمعنى أصح، صعب عليّ أنني مولود متورط في وضع أنا مش السبب فيه!

يعني فكرة أن بابا اتجوز ماما رغم خلافات قديمة كانت بينك وبين والدها، والدها اللي أنت كنت بترفض أقول عليه جدي، ولما بابا جه يسافر وعمي طلب منك يعيش معاك في الشقة هو ومراته وابنه أنت رفضت، وسبب رفضك كان (...). وأظن ده كلام مينفعش يتقال، البيوت أسرار وأنا مليش الحق اخوض فيها، أنا اسف يا جدي أنني فتحت الموضوع ده، عشان بكلمك بصراحة فنسيت نفسي في الكلام.

أنت ربنتني وكبرنتني وعلمتني وخليت بالك مني، وعمي وأبنة الصغير ملهمش غيرك، وليهم حق في حنانك ورعايتك زي ما أنا لِيّ تمام، وأنا اكتفيت. وكبرت وجه دوري اشق طريقي في الحياة، ولو أنت اتعودت على وجودي جنبك، فأنت بالنسبة لي إدمان. لكن بلاش يا جدي نظلم ناس ثانية. عمي وأبنة لو جالهم تليفون منك بكرة الصبح بأنهم يعيشوا معاك وأنت اللي تراعيهم قلوبهم حتصفي منك ومني أنا كمان، لأن بسبب رعايتك لِيّ أنا بالذات هم شايفين إنني أخذتك منهم واستحوذت عليك عاطفياً، صحيح هما مقالوهاش لكن مكنش لازم يقولوها بلاش حبنا لبعض يكره الناس فينا، هم دلوقت في اشد لحظات احتياجهم لك وأنت عارف، ولو أنت فاكرني مرتاح ويقول الكلام بسهولة، فأحب

أقولك، كفايا عليا إني لما أجي أزور بيتك اللي هو بيتي واللي اتريبت فيه طول عمري، حزوره وأنا غريب، وأوضتي
حتبقى أوضة ابن عمي يعني حنام في أوضة المسافرين ... شفت بقي؟

مش قادر أحكي لك ولا أوصف لك حجم العزلة الاجتماعية اللي أنا كنت عايش فيها، فعلاً حسيت أنني مليش لازمة في
الحياة، و أنت يا جدي كنت دائماً تقولي إنك مقصرتش معايا في حاجة ووفرت لي كل سبل ووسائل الراحة، وأنا معترف
بده، لكن أنت تستحق التقاعد و حياة التقاعد، و لأنك تعبت كثير في حياتك وبدأت من الصفر و ربيت بابا لحد ما بقى
موظف محترم وجوزته و ربتني و شلت حملي اللي هو أساساً مكنش مفروض عليك، لكن أنا، إزاي أتقاعد وأنا أصلاً لسه
مبدأتش؟ بص يا جدي، بحسابات الورقة والقلم. أنت تكسب، لأنك عايش بنمط حياة ملتزم وتقليدي وخالي من أي
مستجدات، لكن أنا بحبك يا جدي ومقدرش أخبي عليك أن حساباتي غير حساباتك، وحساباتي لسه صغيرة ومفهاش
ورقة وقلم، فيها شخبطة وألوان وطلوع ونزول ودحرجة وحاجات ثانية كثير بالنسبة لك إزعاج وضوضاء ودوشة. وعشان
تعرف أن الصورة مختلفة عن ظنونك، أنا مروحتش لبابا وماما، أنا عايش في مدينة ثانية خالص في شقة صغيرة لوحدي،
وكونت صداقات واشتغلت وعملت خلافات في الشغل ورجعت صلحتها، عملت حياة من الآخر، حياة فيها الصح
والغلط والحلو والوحش، لكن الحياة طلعت أصعب مما تخيلت يا جدي، لكن مش حتكون أصعب من أنني كنت أعمل
نفسي مش شايفها .

حفيدك الولد البيجم

رامي الصح متحف

ءعللق السماسر البوسطجى على رسالة صء مءءف؁ مصءلء ءءىء

أول مرة أشعر بأنى مءءار وءىر قاءر على ءكوىن وءهة نظر سللمة ءول موءوع رسالة يعنى العء ربى وكبر العفءىء واعءنى به وفى المقابل يفءرض أن العفءىء ءىعش بالقرب من ءءه لرد العمىل. لكن بءءصل أءءاء بءءفع العفءىء للاسءقال والسفر للءارء؁ فى نفس الوءء العفءىء ءأخر زمئىاً وعانى من عزلة اءءماعىة نءىءة ءىاة مع العء؁ مضاف إلى ما سبىق فءرة النفاق والرءاء النفسى اللى بىمارسه العء على نفسه أولاً و على العفءىء ءانىاً بفءرة أنهم بىءموا لزمىن وءقالىء لم يعء لهما وءوء ! وطبعاً العفءىء بءءكشف له مع الوءء زىف ءءعة القوءعة؁ قوءعة كانت بءءمى العء من انهىار مباءئ وقىم مصءنعة ءاول ءفظاظ علىها بءقلل الأءءكاك مع العالم الءارءى .

ولأن الانعزالبىة لا بىمكن ءصورها فى ءىاة بشكل كامل؁ فإن العفءىء بدأ بمراقبة بعض الوافءىن على ءىاته مع ءءه؁ من أول سبىءة بءءءم فى منزلهم هى وبءها مروراً بمن هم فى مءل سنه من أءفاء أصدقاء ءءه. وصولاً لموءف رفض عرض ارءباط من بنت وءلقبىه بالصء مءءف. واءصء أن الوافءىن على ءىاءهم نوع من اءنىن؁ إما منافقىن. أو رافضىن لنمط ءىاته بشكل كامل .

موءف الأءراض على العبءار والسماء بالبىانو فقط لا ءىر كبوابىة لءءول عالم الموسىقى له أكثر من ءلالء؁ لكن اءءصاراً ممكن نزم بأن العء رفض ما ءرمز له الء العبءار ولبس العبءار نفسه كأءة عزف؁ العبءار هو رمز للءءاءة وءءمرد فى ءىن البىانو رمز للءلاسىكىة بكل معانىها؁ بىءوا من الرسالة بأن العء كانت إراءءه مءءهة إلى الأءفظاظ بالعفءىء ءاءل نطاق زمنى معىن ءىر مسموع بءءاوزه بشرء ءفاصل وملا بساء الرسالة؁ فأنا قابلء هذا العء الفاضل الوارء ءكره فى الرسالة وهو طبىب ءىر ممارس بءعى ءءءور سللم. هو رءل ءابىة فى الأءءرام والوقار وفى مءءهى ءزن أيضاً. ومن مءابءى له أءءقء أنى أصبءء أملك ءفسىراً بعض الأنءاز المءروءة فى الرسالة فى ءءامل ما بىن العء والعفءىء.

أولاً : الدكتور سليم هو رجل ييحاول تمثيل دور الشخص الكتوم لمدة لا تتجاوز في أحسن حالاتها الخمس دقائق، وبعد مرور الخمس دقائق يتحول الدكتور سليم إلى شخص لديه إسهاب غير طبيعي واستفاضة لم أري لها مثيل في الكلام، لدرجة أنني أوقات كنت بشعر أنه لا يعاملني كسمسار وإنما كفرد من عائلته، وأعتقد أن تفسير هذه الألفة سببه تشابه في السن بيني وبين حفيده، وحفيده له أكثر من صور في صالة منزلهم بالإضافة إلى شعوره اللانهائي بالوحدة .

ثانياً : لما طلبت من الدكتور سليم بأنه ينسى أنني سمسار ويعاملني معاملة الأبن أو من هو في منزلة الابن، أعتقد أنني لمست الجرح بدون قصد، لكنني كنت محتاج اعرف منه سبب رغبته في بيع الشقة، في الحقيقة الرجل التزم بمحاولة الكتمان السابق ذكرها لمدة خمس دقائق ثم انهال في شرح الأسباب، لكن اعتقد أنها لا يمكن اعتبارها أسباب قائمة بذاتها وإنما هي مجموعة عشوائية من المشاعر والمواقف إذا ما اجتمعت مع بعضها البعض اعطت حافز وسبب مقبول لتغيير المكان، والأرجح نقلها حرفياً من على لسانه إلى الورق على هيئة فقرات متتالية تفادياً لضياح المعنى.

قال الدكتور سليم :

** أنا أصبحت أرمل وأنا عمري 33 سنة، وأصبحت أب مسئول عن ولدين وكان هناك محاولة وقتها أنني أتزوج مرة ثانية عشان عملي كطبيب وقتها بيتطلب تفرغ كامل، وأنا بطبيعة الحالة لا أستطيع لعب دور أب وأم وطبيب في نفس الوقت، لكن في الحقيقة يبدو أن العروسة كشفت الخدعة وصارحتني بأنها فاهمة ومدركة بأني عايزها كأم بديلة فقط لا غير، وأني محبهاش لشخصها وذاتها وأنهم لو بدلوها بمربية وقتها أنا مستعد أتجوز المربية فوراً وبدون تفكير، بالتالي توقف مشروع الزواج .

** بصراحة، وأنا بكلمك زي أبنني، أو حفيدي، لكن ما هو أنا وضعي خاص لأنني بعتر حفيدي بمثابة أبنني، وقتها أنا شكرت العروسة أو اللي كان مفروض تكون عروسة على صراحتها، واكتشفت حجم الظلم اللي كنت حظلمه بدون قصد لأنسانة، لأنها كانت حتربي ولدين مش أولادها وكمان حتكون محرومة من زوجها أغلب ساعات اليوم، وكمان كان هناك التزام باتفاق بأننا لا ننجب في أوائل سنوات زواجنا، بدون تحديد رقم يفيد حظر الإنجاب حيمتد كام سنة

تحديداً !

** الحمد لله على كل شيء، أنا كنت أمارس الطب لأجل المتعة وسمو رسالته وأكد كنت بحلم زي أي طبيب شاب وقتها أنني أنجز أبحاث علمية تبهر المشاركين والحاضرين في المؤتمرات الطبية، لكن لم يكن هناك بديل سوى اعتزال الطب إلى أجل غير مسمى، ولا مجال للتذرع أو التحجج بالحاجة إلى المال، لأنني بتمني لعائلة لديها ما يكفيها والحمد لله.

** أنا ربيت أولادي على الصراحة، أبنني الكبير اتجوز واحدة كانت زميلته في الجامعة أبعد ما تكون عننا وعن عاداتنا وسلوكياتنا رغم أنني أشهد لها هي وأسرته أنهم أخلاقياً محترمين، لكن فرق الثقافات شاسع لدرجة إنني حسيت نفسي قاعد مع أجانب تحت سقف بيت واحد .

** و أبنني الصغير اتجوز وسافر وهو شاب لا يتعدى عمره ال 26 سنة، كان حابب يجرب حظه لكن بيدوا أنه أدمن الغربية، ومع ذلك أبنني سافر وهو سايب ابنه اللي هو حفيدي رامي في عهدتي أنا، اتفقت أنا أبنني زمان بأنه حر يخاطر و يغامر في الغربية زي ما يحب، لكنه إذا كان صادق في وعده بأن مسيره يرجع تاني يبقى يسيب أبنه معايا أرحاه وأخلي بالي منه، والمقترح لاقى ترحاب، سواء منه أو من زوجة ابني وحتى من حفيدي ذاته !

** لكن المشكلة يا أستاذ ... هو حضرتك كان اسمك إيه؟

أجبت: فارس يا فندم .

فأكمل: المشكلة يا أستاذ فارس أن أوقات أبسط الأسئلة بتكون بدون إجابات، يعني أنا احترت في وضعي و وضع حفيدي أثناء حياتنا سوا. هل إحنا علاقتنا علاقة أب بابنه. أب خلف ابنه على كبير مثلاً ! ولا علاقة الجد بحفيده لها وضع مختلف حتى لو كان الأب متغيب ؟. أنا بعترف لك أنني فشلت أجابوب على هذا السؤال، وكانت تصرفاتي في الحيلة والحذر مبالغ فيها جداً، لحد ما حفيدي قرر يسافر السنة اللي فاتت. وأصبحت إنسان مضطر يكون وحيد لأنه إختار طريق آخرته كانت لازم تكون الوحدة.

** اختار طريق لازم تكون أخرته الوحدة لسبب. وهو أن مرور السنين غير كفييل بخلق أوضاع مستقرة، وأنا لما أبني الكبير راح عاش في محافظة ثانية عشان يصون املاك زوجته، وأبني الصغير صارحني برغبته في الهجرة، أنا اتخذت من حفيدي تعويض ! تناسيت أنه لازم يجي وقت ويطلب مني حق تقرير المصير هو كمان. أوقات كنت بتعامل معه وكأني امتلكته. وكأنه جزء من اتفاق مبرم بيني وبين والده، اتفاق مفاده بأني تركت أبني يسافر و يعيش في الغربية ويمارس حريته بشكل كامل، في مقابل أنه يسيب لي نسخة طبق الأصل منه بين أحضاني .

** أصارحك بشيء غريب. لما أصبحت مسئول عن حفيدي أنا شعرت بشبابي رجع لي من ثاني، حسيت أن الدنيا رجعتني سنين للوراء عشان لعب دور الأب من أول وجديد بدون أي أخطاء، لكن للأسف بلغ الوهم اقصاه، لأنني كنت بعتر نفسي أكثر رجل محظوظ في الدنيا، واتضح عكس ذلك .

** لو حضرتك تتذكر يا أستاذ فارس البنت اللي كان بيني وبينها مشروع زواج وحكيت لحضرتك عنها في بداية كلامي، تمر الأيام ونتقابل أنا و هي طبعاً هي حالياً أصبحت واحدة من أشهر الطبيبات ولها تلاميذ في كل مكان ، و أتضح كمان أنها تزوجت من صديق صديقي و أصبحت أرملة من بضع سنوات، و أنجبت منه بنت و ولد البنت مترجمة و الولد طبيب زي والده ، ما هو أصل أنا و والده و صديقي كنا كلنا دفعة واحدة، المهم تشجعت أفتح معها كلام بأني ممكن أكلم أبنها و بنتها و أقنعهم أننا نتزوج، ضحكت وقالت لي أن حياتها مفهاش مكان ، أولادها وأحفادها مليون عليها حياتها! وقتها فكرت في نفسي. واتضح لي بأني أصبحت وحيد في لحظة ما افتكرت أنني قادر على الاحتفاظ بأبنائي واحفادي حواليا. أنا بنيت سور امنعهم يبعدوا عنها ويهربوا، بالتالي اتعلموا التسلق والقفز من فوق السور بسببي أنا، في حين أنني لو كنت خليت الحياة تمشي في مسارها الطبيعي وأتجوزت وخلفت ثاني أو تركت لهم حرية الاختيار بدون مقايضات كان زمانهم كلهم حالياً في حضني .

** على العموم يا أستاذ فارس، أنا عارف أن حضرتك حتشتري الشقة لنفسك بالتالي لا داعي من معاملتك كسمسار ومجادلتك في السعر، أنا عارف أنك اتوسطت في بيع شقة الدكتور مؤنس جاري العام الفأنت وأنا حتى وقتها أعجبت بالسعر وأشدت بيك وقلت إنك حقاني ومكنتش لسه أعرفك. أنا عايز نفس المبلغ اللي ادفع لدكتور مؤنس جاري السابق مقابل شقته وخلال أسبوع حكون مسلمك الشقة، ولو احتجتني لاستكمال أي إجراءات أنا عنواني سهل، لأنني حسكن

في دار المسنين اللي على بعد شارعين من هنا، ما أنا أغلب أصدقائي هناك وأنا ياما حرمت نفسي من الصحة واللمة الحلوة، فأنا رايح أعيش لي يومين وأعوض شوية من اللي فات .

الرسالة الثالثة عشرة :

طلب إعادة تسطيح

المرسل: وائل رشوان

المرسل إليه: الأستاذ رجب

يا أستاذي العزيز أنا وائل رشوان، ولو مش فاكر مين وائل رشوان لأنك معلم أجيال وخرج من تحت إيدك ناس كثير، فأنا الطالب الوحيد اللي أنت كنت بتسمح له يدخل حجرة المدرسين ويقعد فيها معاكم لأنني كنت دايماً بقولكم إنني لما أكبر عايز أطلع مدرس زيكم من كثر ما حبيت المهنة منك، كنت بالنسبة لك طالب استثناء، أظنك كده افكرتني، إزيك يا أستاذي وإزي باقي أساتذتي. يارب كلكم تكونوا بخير وعاشين راضيين ومبسوطين .

أنا عارف أنها قلة ذوق مني أنني مجيش أسأل عليكم، لكن بعد ما خلصت مدرسة ودخلت المعهد كل يوم كنت اقول حعدي عليهم بكرة. حعدي عليهم بكرة. لحد ما بكرة زهق مني وقالني بقولك إيه، ما تبعت جواب أحسن. واديني

بكتبتك يا أستاذي، عشان خاطري أرجوك لو الجواب فيه أخطاء املائية ونحوية وده أكيد طبعًا وإلا مبقاش وائل تلميذك امانة يا أستاذ رجب تعديهاالي، أنا الحياة نستني اسمي مش بس العربي .

بص يا أستاذ رجب، زمان لما كنت بقعد معاكم في حجرة المدرسين، قعدتني خلتنني اشوفكم بصورة مختلفة عن باقي زملائي، انتوا مش ناس بتدخل تشرح كلام على السبورة وتسأل كام سؤال في الموضوع وخلص الكلام، انتوا ناس شايلة هم عيالها وعيال ثانية كثير قوي، انتوا بتكلموا شوية عن اسركم واولادكم، وباقي الكلام بيكون عننا إحنا، تلاميذ المدرسة، ياما شفت تلاميذ اولياء امورهم بيشتكوا لحضرة الناظر أن ولادهم مش فاهمين دروسهم منكم، كان بيقني نفسي ادخل اقتحم المشهد واقولهم، طب ما ابنك اللي غبي يا أستاذ المدرسين يعملوا إيه. لكن مقصدي أني عرفتكم عن قرب. عرفتكم لما بتكونوا أشداء وعرفتكم لما بتكونوا في قمة اللين لما تعرفوا أن تلميذ من تلامذتكم عنده ظروف، كنتم بتمارسوا الحياة وكأنكم أساتذة في الحياة زائد موادكم التعليمية، تتصور يا أستاذ رجب أني عمري ما فكرت اطلع مدرس؟! أصلها صعبة عليّ قوي، مقدرش.

شخصيتي متسمحليش. الموضوع بيطلب قدرة على التحمل وأنا زي ما حضرتك عارف، أنا في الفترة الأخيرة عرفت قيمتكم، لأنني قابلت أبهات مبيعرفوش يتعاملوا مع ولادهم، و رايحين يتعلموا إزاي يكونوا أبهات عدلة، لكن أنت وباقي استاذني سواء رجالة أو ستات، كنتم خبرة في التعامل مع كل أشكال البني آدميين، علمتوني كثير، بس أنا لّي عتاب ولوم عليك أنت بالذات يا أستاذ رجب، زمان في حجرة المدرسين كان بيجيلكم أولياء أمور مقدمين طلب إعادة تصحيح أوراق أولادهم، وكنتم بتعيدوا تصحيحها بالفعل، أنا بقى جبي بعد السنين دي كلها أطلب طلب مشابه، لكنه مش طلب إعادة تصحيح، وإنما طلب إعادة تسطيح، فإكر يا أستاذ رجب لما زمان نصحتني وقلت لي يا وائل يا أبني بلاش تبقى إنسان سطحي، وفإكر لما سمعت كلامك؟ أنا دلوقت بطلب منك تدلني أرجع إنسان سطحي زي الأول ثاني. تلميذك تعب بمنتهى الصراحة، أنا تعبت نتيجة كوني إنسان غير سطحي، أو إنسان سطحي تنازل عن سطحيته عشان يتحول لإنسان عميق، كسبت أنا إيه من التعمق في المسائل غير وجع القلب؟ كنت زمان بعيش اليوم بيومه، لا يفكر في بكره ولا بعده ولا حتى يفكر في يومها بليل، دلوقت أنا يفكر في سنين جيا ربنا يدينا جميعا طول العمر، والتفكير العميق حولني من إنسان بسيط لإنسان بيحسب كل حاجة بالورقة والقلم، ومن كثر الحسابات الحياة مبقتنش ماشية .

زمان يا أستاذ رجب كنت اتخايق، أطيح، أفرح بلحظات السعادة وكأنها لحظات حتستمر معايا العمر كله، لكنني مع الأسف انهاردة اتحولت لإنسان ممكن يكون قاعد في فرح ويحسب تكلفة الفرحة كام! الناس من حوالي بترقص وتغني وأنا على وشك أطلع الآلة الحاسبة وأحلل التفاصيل وأعمل إحصاء لعدد المعازيم، من ساعة ما بدأت أفكر في العواقب والنتائج وأنا بقيت إنسان تاني، رجلي ثقيلة، والهواء مبيأخذنيش ويطيير بي، أنا الفرحة بقيت بخطط لها عشان تكون سعادة حقيقية، لكن مقدرنش اخبي عليك وأنكر أن وحشتني الفرحة اللي مصدرها مفاجأة حلوة غير متوقعة، وحشتني المغامرات، وحشتني الغد المجهول، نسيًا!

على المستوى العاطفي، أنا ناوي أخطب الأسبوع الجاي إن شاء الله، يمكن ده من ضمن أسبابي في أنني أكتب لك جواب يا أستاذ رجب، لما بحس أنني داخل على خطوة كبيرة يرجع للناس اللي كلمتهم عندي ليها وزنها حنطب عروسة بنت ناس طبيين، وهي كمان بني آدمة طيبة، أنا كشفت على تاريخها العائلي كله، وكنت بتتحرك على محاور مختلفة :

- وضع أسرتها المادي، لحسن يكونوا طمعانيين في

- وضع البنات العاطفي، بعدين تكون هوائية ومتقلبة ووخداني على سبيل التجربة

- وضع إخواتها وظروفهم، عشان لما نجيب أولاد ميتعايروش بخال أو خالة

أنا تعبت يا أستاذ رجب، زمان وحضرتك أدري بزمان أنا كنت باخد بنت واقعد معها في الجينة وفي أيدي الجيتار بتاعي. أو بمعنى أصح الجيتار اللي أستاذ علاء مدرس الموسيقى كان بيسمح لي استلفه منه ساعة ولا اتنين، واقعد اغنيها في الجينة وأهبل أي هبل، واتنحج بصوتي، نفرح وننسط وأنا حتى معرفش اسمها بالكامل إيه، لكن منكرش أن السعادة كانت بطعم الهواء، خفيفة وبسيطة، صحيح كانت بتروح بسرعة، لكن ما كل يوم كان فيه جرعة سعادة خفيفة، حاليًا السعادة جرعتها مكثفة و على فترات متباعدة، أنا عارف أن حاليًا حياتي أفضل وأكثر استقرارًا، لكن مقدرش أنكر أن النمط الأول كان مناسب لشخصيتي أكثر، مفرحني أكثر، نمط اليوم بيومه، لا حسابات ولا تعقيدات، الحياة ماشية زي المركب في البحر، فيه هواء المركب بتقوم وتمشي وتتحرك في طريقها، مافيش اديها واقفة مكانها، لكن دلوقت أنا

عقلي بيخطط لسنين قدام ومافيش مخلوق يقدر يخطط لثانية واحدة قدام. عرفت بقي يا أستاذ رجب أنا حالتي شكلها إيه ! ...

أنا بطلب منك طلب إعادة تسطيح، زي ما حولتني زمان من إنسان هوائي ووسطحي وميفكرش في أي حاجة ولا بيحسب أي حسابات إلى عقلاني بيحسب كل خطوة لحد ما مبقاش عارف يمشي أساساً، أرجوك رجعتني تاني زي ما كنت ، أنا فعلاً بعيش نمط حياة عظيم لكن ميناسبنيش، واهي تبقي برده إشارة ليكم كأستاذة إلى أن الطالب لما بيحاول يغير شخصيته بصورة كلية وبنسبة مئة في المئة بتكون النتيجة أنه بيضيع. أستاذ رجب سؤال اخير. هو أنا عندي نقص نضوج في الشخصية صح؟ قل لي الحق متخببش عليا، مستني ردك لأنك الوحيد اللي تقدر ترجعتني زي ما كنت تاني .

تلميذك

وائل رشوان

تعليق السماير البوسطجي على رسالة طلب إعادة تسطيح

تخيلوا حضراتكم المحادثة التالية :

-فتح عينك وشوف الدنيا على حقيقتها متخفش !

-افتح، على ضمانتك؟

-أيوه فتح عينك خليك جريء

- أديني فتحتها، إيه ده؟ إيه ده؟ إيه ده؟ الضوء قوي وشديد، أنا كده حفق البصر

-معلش حاول تستحمل .

-معاك نظارة شمس؟ أنا كده حتعمي من قوة الضوء .

نظارة شمس! لا أنا آسف بصراحة مكنتش عامل حسابي، وأنت دلوقت لا حتقدر ترجع تغمض عينك زي زمان لأن اللي بيفتح مرة عمره ما بيغمض تاني، ولا حتقدر تحمي نفسك من اللي شوفته بعد ما فتحت عينك ولا أنا حتى أقدر أساعدك ، أنا آسف .. !

هي محادثة تخيلية بين شخص أدرك الحقيقة وآخر كان يحرضه أو يساعده على إدراكها، بالطبع أنا أرى أنها رسالة رمزية، فمن المستحيل تخيل رسالة من طالب إلى أستاذه السابق يلوم فيها الأخير على حسن إسدائه للنصائح ويؤخذ محتواها حرفياً، وإنما هي شكوى من فيض الكيل والاحتمال من مكابدة الحياة وفعلاً التحول من عالم اللامبالاة إلى عالم المبالاة والاهتمام حتى بصغائر الأمور هو تحول درامي لدرجة أن شخصية الإنسان بتختلف ويكون صعب عليه التعرف على نفسه. خصوصاً أن الإنسان بيكون عارف أنه مهمل ولا مبالي، فيحاول يعوض فترات الإهمال واللامبالاة في الحياة بتركيز واهتمام أكثر من اللازم .

الغريب أن صندوق بريد هذا المعلم الفاضل بيحتوي على قرابة التسع رسائل ، كان أغلبهم رسائل ذات محتوى غير لطيف وتهكمي، والبعض منها يصل إلى مرحلة السب والقذف . وأغلبها كان من تلاميذ قدامى فشلوا في مساراتهم الحياتية، مما يجعلني أجزم بأنه دائماً الفاشل ما يستجدي شماعة لتعليق أخطائه عليها حتى ولو كانت معلم سابقاً في مرحلة الشباب أو حتى الطفولة، وعلى العموم، من حسن حظ هذا الأستاذ أن الشقة بيعت لي، وأنه اتجه للحياة من ابنته الوحيدة وزوجها في إحدى البلدان العربية ولم يقرأ تلك الرسائل وما تحويه من حقارة مستمدة من أشخاص كاتبها، ولكن كنت أتمنى أن يقرأ رسالة تعطيه ولو جزء من حقه في التقدير على شاكلة طلب إعادة تسطيح .

الرسالة الرابعة عشرة :

مهر الزوجة الهاربة

المرسل: عماد

المرسل إليه: رعوف

أنا مختكش يا رعوف، أنا صاحب عمرك وأخوك ومتريبين سوا، الناس كلها كانت بتقول رعوف وعماد دول إخوات، فين وفين لما يعرفوا أن إحنا أصحاب شوف كنا فين ودلوقت بقينا فين، أنا بكتب لك الرسالة وفيها عنواني، لأنني بسبب غبائي وأنت عارف أنني غبي وأنا معترف أنني غبي، لعبت دور المشبوه والهربان، رغم أنني صاحب حق، وحقي عليك أن تسمعني في كل كلمة حقولها ولحد ما أخلص كلامي، أهو منها أبقى خلصت ضميري، ومنها أعرفك حاجات أنت أولى الناس بأنك تعرفها، لأنها حاجات تخصك وملكك، وأنت أولى الناس بمعرفتها .

أنا فكرت في فكرة الجواب مش لأنني بخيل ومستخسر ثمن المكالمة دولي، لكن لأنني كل مرة كنت بحاول أكلمك في التليفون، كنت يا إما بسمع منك إهانات وشتيمة وملحفش أقول كلمتين على بعض، يا إما الناس اللي حواليك سواء أهلك أو جيرانك أو الناس اللي أنت خلتهم أصحابك من بعدي يفضلوا يشتموا فيّ ويقولوا خاين وندل لحد ما أعصابي تتعب وألاقيك أنت قفلت السكة في وشي. وكمان أديني بيعت لك رسالة عشان تتأكد أنني عايش في بلد من أبعد بلاد الدنيا عن بلد الست مراتك، ده لو كانت لسه على ذمتك يعني، اهدا بقى وأسمعني، لأنني بمجرد ما أخلص كلامي لو موصلنيش منك اعتذار وأسف وكتبت لي جواب بتقولي فيه أنك بتحب على رأسي وبتأسف لي أنا حنساك يا صاحبي وكأنا متقابلناش في يوم، و أهون عليّ أنسى عشرين سنة فانت ولا أنني أعيش متعذب لآخر العمر، وبعدين يعني، ما خلاص أنا هاجرت بلد ثانية وعايش فيها لوحدي، يفرق معايا إيه أكتب لك وأوضح لك الحقيقة وتصدقها أو متصدقهاش؟ كل الناس اللي حواليك دول اللي عاملين نفسهم دلوقت أصحابك وحبائيك أنا مش حقابلهم ولا مرة في حياتي بعد كده، ولا حقابلك أنت كمان، لكن أنا بكتب لك عشان تعرف أن صاحبك اللي أنت خسرتة مافيش حاجة في الدنيا حتعوضه. وآه بتكلم عن نفسي وده مش غرور .

نحكي اللي حصل من الأول؟ يلا على البركة .

بصفتنا أنا وأنت اتنين شباب عواطليه، كنا بنقول أننا عايشين سوا على الحلوة والمرّة، لكنه كان مجرد كلام، إحنا كنا عايشين على المرّة بس، لأنه أساسًا مكنش فيه حلوة، لحد ما أنا وأنت اتقابلنا في يوم وقررنا أننا زهقنا من حياتنا كلها، كل واحد فينا اتنطط في كام وظيفة واطول وظيفة فيهم مطولتش شهرين على بعض، مرّة بياعين، مرّة بنرد على التليفونات مرّة عمال صيانة، وولا حاجة من دول جابت همها أو كان لها لازمة، دايمًا بنشترط أننا نكون مع بعض ونفضل سوا، فتكون النتيجة أننا لما نترفد. لازم بنترفد سوا برضوا .

لما اشتغلنا بياعين، الراجل صاحب محل الملابس كان صريح معانا بأن زمالة العمل مع زميلاتنا البائعات لازم تكون في اضيق الحدود، ولما عرف أنك مصاحب واحدة منهم والبت راحت تعيط له وتشتكيه منك لأن علاقتكم دخلت في الغويط والبت بقت مستبيعه وقالت عليها وعلى اعداءها، الراجل عداه العيب، قال جملتين بالعدد: قالك أنت مرفود، وبصلي وهو سعيد ومبتسم قوي وقال لي حصل صاحبك، صحيح أنا كنت رحت غيرت يوني فورم المحل بدون استأذان، إنما أنا كان نفسي اكمل في الوظيفة بصراحة، طب أنت راجل فلاتي ومش مؤدب. أنا مالي يا اخي. أنا مالي! الراجل افتكرني غيرت اليوني فورم عشان متضامن معاك وحمشي أنا كمان، لكن الحقيقة أن تكييفات المحل كان عطلانه وأنا كنت على وشك احاول اصلاحها فحفت على اليوني فورم يتوسخ .

ولما اشتغلنا تسويق تليفوني، والإدارة سمعت مكالماتك، الناس وشها احمر من الخجل الناتج عن سماع كلامك مع الجنس اللطيف، لكن المرّة دي أنا فاكرها كويس، لأنني لما سألتهم: أنا مالي بتطردوني ليه إذا كان هو إنسان متجاوز! ردوا عليّ برد منطقي جميل، وقالوا لي بأنك أنت كنت متوسط لي في الوظيفة، وحيث أنهم حيرفتوك بيقى مافيش داعي لوجودي أو وجود حد من طرفك، واللي حيتعين جديد بيقى يجيب حد تبعه ومن طرفه هو بقى لأن نظامهم كان كده، الصاحب يتوظف عندهم ويجيب اصحابه عشان بيقوا ضامين بعض! لكن أنا بقى لو عملت حاجة غلط مين يضميني؟ إذا كان الضامن بتاعي طلع بيعاكس أي زبونة في التليفون خلي سمعة الشركة في الأرض .

لما اشتغلنا عمال صيانة تكييفات، وكانت آخر محاولة قبل أطول فترة نقعدها من غير شغل، بصراحة كانت فرصة ذهبية بالنسبة لي لأكثر من سبب، أولاً لأنني أنا حكون الأسطي وأنت المساعد بتاعي بالتالي حقدر اتحكم ولو شوية في طيشك وتهورك، ثانياً، أنت لا تفقه شيء في التكييف والتبريد، يعني أنا ضامن المرة دي محدش حيرفدني بسببك لأنك أساساً مش متخصص، ثالث حاجة، أنا شاطر في صيانة التكييفات بجد، يكفي أنني كل بيت كنت بدخله وحتى محل الملابس اللي حكيت قصته في الأول لما بلاقي تكييف عطلان خلال نصف ساعة على الأكثر يكون مرجعه قطب شمالي بيرد اللي ميبردش .

ومع الوقت الأحوال اتحسنت وبقينا عال العال، وبقت الناس تطلبنا بالأسم عشان شاطرين وأمناء وكمان شكلنا ولاد ناس ومحترمين، لحد أما طلبونا نعمل صيانة تكييف في شالية في الساحل الشمالي. فاكر هبيت إيه هناك؟ فاكر نيلت .إيه؟ أفكرك لأنك ممكن تتصنع النسيان وتعمل نفسك مش فاكر الموضوع بدأ لما رحنا لزبون البيت في القاهرة واتبسط من شغلنا على الآخر كلمنا بعدها بيومين يطلبنا نروح نعمل صيانة في الشاليه بتاع ابنه في الساحل الشمالي، مكذبناش خبر وسافرنا طوالي. لكن طول الطريق وأنا كنت حاسس إحساس غريب قوي منك، كنت حاسس أن الهادئ المتزن الرزين حبيداء يرجع لعبي زي الأول تاني، خصوصاً أنك قلت جملة اكدت لي صدق إحساسي ..

- ساحل شمالي .. يبقى حنهيص !

لا إحنا مش رايحين نهيص، إحنا رايحين نشغل وحنرجع القاهرة على الطول رايحين نثبت ونأكد سمعتنا اللي الناس بقت بتطلبنا بالأسم عشان خاطرها إحنا ناس ورانا اهل والتزامات وورانا مهمة اسمها تحسين وضعنا، يعني من الآخر لما رديت عليك يومها رد ناشف وقلت لك: شيل الهبل ده من دماغك خالص، مكنتش بفتري عليك .. وقتها بدأت أنت تدحلب بقى، وتقولي ماشي يا باشمهندس، كلام الأسطي لازم يمشي، وتعمل نفسك مسكين وغلبان وتابع ليّ ومغلوب على أمرك، وتمتدحني على أنني بسبب شطارتي بقى يجيلنا شغل في أماكن كويسة، وطبعاً لأنني راجل أهبل وأهطل، فكيت على طول. وبقيت آخذ وأدي معاك وحسستك بالأمان، وأنت اللي زيك لو حس بالأمان لازم يعمل بلاوي .

وصلنا الشاليه، استقبلنا الراجل وجاب لنا حاجة ساقعة، وعرفت أن عدد التكييفات المطلوب تصليحها اثنين مش واحد زي ما أنا كنت مفكر، بس قلت إن شاء الله قدها وقودود وخلال ساعة زمن حتكون التكييفات رجعت تشتغل بكفاءة زي ما خرجت من المصنع تمام، بعد الكشف على التكييفات اتضح أن العيب فيها يكمن في الكهرباء، يعني حضرتك حتكون بكل أسف حر نفسك! لأن التكييفات نظيفة من الداخل وفعلاً أنت متقدرش تساعد بأي شيء، ولأنك ممثل بارع. استأذنتني بمنتهى الأدب أنك تطلع برة الشالية في الهواء لحد ما أنا أخلص. شغل حيث إنك ملكش لازمة ولا لك أي دور تقوم به .

طبعا غلطة عمري كانت أنني وافقت، صاحب الشالية راح مشوار، ومراته وأختها لبسوا مايوهات ونزلوا البحر، وأنت، أنت، حاجة من اثنين، إما أنك جي من القاهرة عامل حسابك ولا بس شورت مايوه تحت البنطلون. أو أنك سرقت مايوه صاحب الشاليه. ما هي أصلها ملهاش حل ثالث، مافيش تفسير مقنع يوضح لي إزاي قدرت تنط في البحر وتحاول تفتح كلام مع أخت مرات صاحب الشالية، وبعدين يا أخي البنت رفضت مرة واثنين وثلاثة. ما خلاص كفاية! أنت ! إيه! لزقة ! مبتحشش ! كل ده وأنا أهبل فاكرك مستني برة وممكن أناديك وقت ما أحب، على فكرة أنا كنت صلحت تكييف منهم بالفعل، والثاني كنت شغال فيه، لحد ما سمعت صوت خطوات ورايا، واتضح أنها أخت مرات صاحبة الشالية تقريباً بتحاول تهرب منك ومن معاكساتك لها، وسمعتك بتقولها: بتصلحوا التكييفات ليه؟ ده أنت سبب الحر اللي في المكان !

وقبل ما آخذ قرار مناسب، أحاول أعتذر، أتأسف، أطرده برة، لاقيت أختها جيا وراها وعينيها بتطق شرار، يليها خطوات صوتها كان أشبه بصوت دبابة ماشية على الأرض، عن خطوات زوج أختها صاحب الشاليه اتحدث، وأختها شاورت له علينا إحنا الاثنين، ذنبي أنا إيه! كالعادة معرفش، لكن متأكد من وجود تفسير ورد. مقنع على فكرة أنني محسوب عليك، كالعادة برضوا ...

هي تجربة فريدة من نوعها فعلاً، لأنني أول مرة اتجاب من قفايه! هو ضربك أنت شلوت ولا اثنين وطردك برة الشاليه، ومسكني أنا وسحبني من ياقة القميص وقال لي - وأنت كمان برة - وراح شايط عدة الصيانة برجله. أصل أنا كنت مستهبل وعمال أكمل شغل وصيانة على أساس أن اللي بيحصل ورايا ده ميخصنيش حاولت أمثل أني منهمك في الشغل

لدرجة أنني مش سامع ورايا أصوات ناس بتتشال وتتحط وأصوات حاجات بتتهبد وأصوات ستات بتصوت وبتقوله خلاص يا عمرو حرام كفاية. م الآخر حضرتك أخذت علقمة محترمة حتعيش طول عمرك تفتكرها .

طبعي أنني كنت أعاني من حالة ضحك هيسترية، بضحك وبعيط في نفس الوقت، يمكن صعبانه علي نفسي، أو يمكن مش طايقك ومش قادر أقول لك أنني مش طايقك، لكن كنت عارف أن بمجرد ما نوصل القاهرة شركة صيانة التكييفات حتبلغنا أننا مرفوتين، وقد كان فعلاً . وخلاص المرة دي اتعلمت أنني معملش جو الصعبانيات والمسكنة والغلبنة إياه، اتعلمت مسألش طب وأنا ذنبي إيه! ما أحنا خلاص بقي. اتعلمنا واتشطرنا اوي اوي، أنا خلاص عرفت أن ذنبي هو صحبي. بعد الرفض الأخير من شركة التكييفات، استمرت حالة الاكتئاب قرابة سبع شهور، سبع شهور كنت فيها مثال للشباب العاطل الملتزم، من البيت للقهوة ومن القهوة للبيت، لحد ما أنت دخلت علي بموضوع الغردقة. والغريب أنك فتحت معايا الموضوع بشخصية ولسان وصوت واحد تاني وكأنك اتغيرت 180 درجة لدرجة أنني سألتك مالك يا رءوف؟ قلت لي بمنتهى الجدية أننا مش عارفين قيمة نفسنا ! وإن جهلنا بحدود إمكانياتنا هو سبب المشكلة .

طبعا العشرة الطويلة علمتك إزاي تقدر تزغلل عيني. فلما فتحت معايا موضوع السفر للغردقة وإن الشغل هناك كثير وإننا ممكن ندرس إرشاد سياحي ونشتغل شغلانة تكون مجال لإظهار مواهبنا. كانت أحلام جميلة لكن درجة التزامك في أي وظيفة كان أبعد ما يكون عن تحقيق حتى ولو ربعها، حبيت اختبرك لكنك طلعت ذكي ونجحت في الاختبار لأنك أكيد كنت متوقع السؤال ومتوقع أنني متشكك في نواياك .

- قلت لك: لكن إحنا مبتكلمش لغات !

وقتها أنت ابتسمت، ورحت فاتح كيس كان معاك، وطلعت منه كتاب شكله قديم لكن قيم، وقلت لي حنتعلم عشان نوصل! وقلت لي إنه كتاب تعليم لغة بطريقة سهلة !

السؤال هنا بقي: هل أنا في تلك اللحظة كنت في وضع يسمح لي أرفض أي حاجة؟ بالتأكيد لا. أنا كنت ماشي في ظلمة وفجأة ظهر وميض، سواء كان نور شمعة ولا كشاف عربية ولا ايا كان مصدره، فأنا مكنتش املك غير أنني اتحرك

في اتجاه الضؤ ونهاية النفق. نفق حياتي اللي من ساعة ما وعيت على الدنيا وأنا عمال امشي جواه بلا هدف ، ولما أنت أضفت لكلامك إحساسك بالذنب كونك اتسببت في رفتي من حوالي ثلاث وظائف، صدقتك. قلت يمكن أخيراً فهم الدنيا ماشية إزاي وفهم أننا متأخرين كثير قوي وأكثر من اللازم .

وسافرنا الغردقة، الغريب أنني مكنتش مطمئن لك نهائي! حاولت أقنع نفسي كثير بأنك محتاج التغيير في حياتك أكثر مني وأنت المرة دي حتكون إنسان مختلف لكنني فضل جوايا شك ملازمي، قلت طب بدل ما اتبهدل معاك زي كل مرة، طب ما أعملك اختبار، ألبس شخصيتك وأكلمك بلسانها، ولو أنت كداب وملاوع يبقى أكيد حتتنساق ورايا وتنسى كلامك المدوق.

نزلنا مكان، ديسكو ورقص وتهييص، وأنا عمال أدور وألف زي النحلة وأزغلل عينك أنني بكلم البنت دي شوية، وأرقص مع البنت دي شوية، وأنت ولا أنت هنا بتضحك لي من بعيد لبعيد وخلص! ده كان أقصى رد فعلك! أنا قلت في عقل بالي هو الموضوع بجد ولا إيه؟ طب ما لو موضوع بجد وأنت بقيت إنسان محترم وجي تشتغل وبس، ما لازم مكنتش أنا بلعب دور المحرض على أنك ترجع لطباعك القديمة تاني. حاولت أدور عليك في الديسكو كله ملقتكش .

طلعت بره الباب لاقيتك واقف مع واحدة، قلت فعلاً اللي فيه طبع مبيطلوش، لكن فوجئت بيك بتندهني وعابز تعرفني عليها وبتقدمني لها على أنني صاحبك وأنها تقدر تتكلم قصادي براحتها! بأمانة أنا استغربت الموقف جدًّا، خصوصًا أن لبسها وطريقتها يعني تحسها أن قصدها الحقيقي من الخروج أنها تروح مكتبة !

أيوه فعلاً أنا لاحظت في عينيها دموع. لكن مكنتش فاهم الموقف. ولما أنت أديت لها منديل تمسح بيه دموعها وأنا طلبت لها عصير تشربه، فوجئت بيها بتقول بعربي مكسر: سكرًا سكرًا. اللي هي مفروض شكرًا شكرًا يعني، وفعلاً طلعت أجنبية، أنا كنت شاكك لكن لما اتأكدت عرفت أنك طلعت بره الديسكو لاقيت واحدة بتعيط قلت لها بمنتهي الشهامة أنا من اهل البلد واتفضلي معايا ولو عندك مشكلة أنا تحت امرك ولو عابزة تكلمي أهلك أو تائهة أو أي ظروف خارجة عن إرادتك فأنت عرضت مساعدتها. بصراحة موقف شهم جدًّا ومليش أي تعليق عليه .

كان عندي مقابلة عمل يومها الصبح في وظيفة كنت بدعي أني أتقبل فيها فسبتكم واعتذرت وقلت إنك لو احتجت مني حاجة حتكلمني. والصبح أنت جيت لي وحكيت لي القصة كلها، بصراحة يعني كانت قصة غريبة، لكن الدنيا مليانة قصص وحكايات، و على رأي المثل اللي يعيش ياما يشوف، فكرة أنها بنت أبوها اتخلى عنها واتمسك بزوجة ثانية وأولاده منها، وكانت النتيجة أنه أوضح لبنته أن ملهاش مكان في حياته وانه تكفل بالصراف عليها أو الاستمرار بالصراف عليها بشرط أنها تسيب بلدهم وتسافر، وعشان كده جت مصر وعايشة بتحويلات فلوس ابوها ليها، يعني هو وضع أسري معقد شوية لكن لازم نفتكره عشان نعرف أن الأمور كانت معقدة من أول يوم معها .

طبعا بنت اللي هي بقت زوجتك بعد كده تولد عندها مخزون من عدم الشعور بالأمان كان هو المحرك الأساسي لكل تصرفاتها. وأنا اشهد لها أنها فعلاً انسانة محترمة وحبتيك من قلبها، وكنت بشوف مدى احتياجها ليك وخوفها وقلقها عليك لما تتأخر، لكن فلسفة حبها ليك كان صعب عليك أنك تفهمها، لأنك يا رءوف ورغم تجاربك الكثير في الحياة وكل اللي مرينا به سوا، إلا أنك دائماً مصر على أنك تعيش الحياة ببساطة. وعشان كده لما ظهر نموذج زوجتك ده، حساباتك في الحياة اتلخبطت .

أنت اتجوزتها. وجبتها تعيش معاك في بيتك مع والدتك، وطبعاً مفهوم أنها كانت هي المتكفلة بكافة الأعباء الأسرية، على الأقل لحد ما أنت تلاقني شغل بعد ما سبت الغردقة، وأنا بعترف أني أنا المرة دي ظلمت نفسي ومحدث ظلمني، لأنني لما لاقيتك سبت الغردقة أنا كمان سبتها، مكنش لي حظ فيها وخصوصاً أني مش شاطر أنا قوي في موضوع اللغات والتعامل مع الأجانب والدنيا دي. بس كنت عملت قرشين كويسين. يعني يسندوني لحد ما أوصل القاهرة وأدبر حالي .

وفي يوم لاقيت الواد رامي أخو ربيع صاحبنا الصغير بينادي عليّ من الشارع، ويقولني البس هدومك بسرعة واطلع على بيت رءوف حالاً عشان مراته اتخطفت ! طبعا راعيت ارتداء الحد الأدنى من الملابس بس أنت فاكر أني نزلت لك يومها بالفانلة الداخلية، صح؟ وبعدين رحى على بيتك واستلفت قميص منك، واتوزعنا أنا والرجالة كل واحد يدور على مراتك في حتة شكل، ما هي أساساً خوجاية يعني حتكون راحت فين بس وهي ملهاش حد ! وبعدين ده أنتوا مفاتش على جوازكم شهرين ومكانتش بتنزل الشارع من غيرك، ويوم ما تنزل لوحدها تتخطف !

أنا يومها مسبتش مكان مدورتش عليها فيه، حتى لمؤخدة بيوت أصحابنا ومتسألنيش ليه. ومع ذلك مقدرتش ألقاها في أي مكان لدرجة أنني رجعت منطقتنا أنصحك تبلغ البوليس عن اختفائها واللي شافها خارجة من منطقتنا يقول ويدلي بشهادته بالصدفة وأنا راجع كنت حركب مواصلة من الميدان لمنطقتنا، المواصلة اتأخرت، قلت أحسن، دخلت محل ايس كريم لأنني كنت محتاج أي حاجة ساقعة لأن من كثر المجهود واللف في الشمس من الصبح ولحد بليل كنت حاسس أنني حقدت الوعي في الشارع وتضطروا تنزلوا تبحثوا عني أنا كمان .

دخلت المحل وطلبت ايس كريم، وقعدت أستنى الطلبات توصل، بتلفت بعيني ناحية الركن، لاقيتها قصادي، قصدي مراتك طبعًا، كنت عايز اقولها يا بنت ال (...)، بقى أنت موجودة هنا في التكييف والأيس كريم قدامك وسايبه منطقة بحالها تدور عليك وفاكرينك اتخطفتي! معلش يا رءوف اعذرني ما إحنا برضوا كنا أغبياء، حتكون اتخطفت إزاي يعني من جوه بيتكم وهي مبتزلش ولا تطلع غير معاك! أكيد نزلت بإرادتها. وعشان حضرتك محرر تقول قصادي رجالة المنطقة إنك عارف أنها نزلت فهمتنا أنها اتخطفت! ياه يا رءوف، كل ما أفكر عميلك وتصرفاتك أحس أنني عايز أحرق الرسالة دي قبل ما أخلص كتابتها وتوصلك. المهم، قربت منها لاقيتها سرحانة كالعادة وعمالة تبص في الأيس كريم لدرجة أنه ساح وهي لسه مكلتش منه حاجة، سلمت عليها وقعدت معها لاقيتها بتبتسم ابتسامة خفيفة، وجنبها شنطة هدموها! كان نفسي اكلمك القولك الحق يا رءوف مراتك ناوية تهرب وتهج وتسبب البيت. صحيح أنت عشرتك لا تطاق ويشهد بذلك أقرب المقرين إليك، لكن الموقف كان مفاجئ بالنسبة لي .

لاقيت مراتك طلعت من شنطتها لاب توب صغير، أنا عارف أن عندها واحد من زمان لأنه كان معها من أيام ما قابلتها في الغردقة، دخلت على موقع غريب الشكل، موقع عبارة عن قاموس لكن قاموس متطور جدًا، صفحة مقسومة اثنين على اليمين اللغة العربية وعلى الشمال لغتها هي، تكتبلي سطر في صفحتها تظهر لي ترجمته للعربية على صفحتي، أكتب لها أنا بالعربي في صفحتي كلامي يترجم فوري إلى لغتها ويظهر على الجزء الخاص بيها من الصفحة وكأن شاشة الكمبيوتر مقسومة اثنين :

كتبت لها: ليه سبتي البيت ومشيتي! رءوف إنسان كويس وميستاهلش كده أبدًا؟

كتبت لي: وهو أنت كنت عايش معانا عشان تعرف مين الكويس ومين الوحش!

بصراحة أخرجت، قلت يمكن هي مش عايزة تدخل أغراب في الموضوع، بس حتي لو كان أنا قدامي تصرف من اثنين، ياما أقوم أكلمك في التليفون تيجي وأنتوا الاثنين أحرار في بعض وأخرج أنا من الموضوع. أو أنني أوصلها لحد البيت باعتباري لاقيتها تايهة في الشوارع ومش قادرة توصل للعنوان فوجئت بيها بتكتب: لحد امتي حتعيش كده يا عماد! كل مرة رحت شغل مع رءوف كنت عارف أنك حتترفت معه، وأوعى تنكر أنك كنت بتروح وأنت عارف شكل النهاية، متهيأ لي أنك إنسان بيخدع نفسه، أنت أدمنت الشعور بالرفض، وأدمنت منطقتك اللي اتولدت فيها، أدمنت فكرة أنك كل كام شهر لازم ترجع لأهلك وناسك بقصة كفاح مكتملتش، عشان تفضل في نظرهم الشاب المجتهد اللي عمل اللي عليه وزيادة، لكن النصيب والظروف والأيام والناس، واي حجة تتقال غير أنك خايف تطلع برة الشرنقة اللي اتولدت لاقيت نفسك فيها.

محدث لعب بيك قد أنت مالعبت بنفسك. وتمسكك برءوف مصدره حاجات مختلفة عن الصداقة والأخوة وعشرة العمر، مصدره أنك محتاج شاهد ملازم ليك على كفاحك ومحاولاتك تحسين وضعك، ورءوف فيه مميزات مستحيل تواجهها في أي شاهد غيره، زي أنه جارك يعني حيقول للمنطقة كلها أنك راجل شغال ومش مقصر لكن العيب في الناس والظروف، وزي أنه رءوف بيعمل مشاكل ويثير المتاعب في كل مكان بيروحه بالتالي حتقدر تجيب اللوم كله عليه والناس حتصدقك، وكمان أن رءوف بسبب طيشه وتهوره بيحسسك قد إيه أنت عاقل ورزين وبسبب تصرفاته بتجدد ثققتك في نفسك، وكمان لما الناس بتسألك سبت الشغل ليه، بتجاوب وتقول رءوف، مجرد اسم رءوف بيخلي الناس تقولك طب وإيه جابرك عليه ما تسيبه! تقوم أنت تلعب دور الصديق الوفي الطيب أبو قلب حنين، وتقول لهم جمالتك المشهورة: رءوف ده عشرة. عمري، فالناس تعجب بتمسكك بصاحبك حتى ولو على حساب نفسك .

بص يا رءوف، مخبيش عليك، أنا أعرف أن فيه أنواع كثيرة من التحاليل ممكن تتعمل للبنني آدم، لكن كانت أول مرة يتعمل لي تحليل شخصية! تحليل الشخصية ده صعب اوي يا رءوف، بتبقي لمؤخدة حاسس أنك عريان رغم أنك لابس

كل هدومك، بتحس أنك شفاف، مهما تداري برده اللي جواك باين وظاهر، بتحس أنك مفضوح، وأسوأ ما في الفضيحة أنك بتكون معترف بها وفاقد القدرة على الإنكار أو حتى الجدل بس هو أنا طلعت إنسان مخادع لنفسه وللآخرين أوي كده؟ طلعت بمشي الطريق وبتمنى مكملوش؟ يعني أنا طلعت اللي الناس بيسموه عدو نفسه؟ إيه ده. يكونش حد دعا عليّ وقال روح لعبت عليك نفسك! ولا أنا مريض! أكنش مريض ومحتاج أتعالج؟

حاولت أشتت تركيزها شوية، قلت لها طب أنا إنسان فاشل في حياتي وأنا حر حضرتك هربانة من بيتك وجوزك ومعاك شنطة هدومك عشان تقابليني صدفة! وتعملي تحليل شخصية قالت إنها محتاجة تبعد شوية، لأن رءوف اللي هو حضرتك يعني مدفعتش مهر لا قبل الزواج ولا بعده ولا جاب شبكة! بيني وبينك أنا اتبرجت. اتلخبطت أوي يعني هو فعلاً المفروض أنك تدفع مهر، لكن ما هو أنت كنت موضحلها ظروفك وأنتك لو اتجوزتها حتضطر ترجع بيها القاهرة وهي تتولى أعباء المعيشة لحد ما أنت تلاقى الشغل وأنا كنت شاهد على الاتفاق ده كمان، فأنا شايفك مش غلطان وإنما هي اللي رجعت في كلامها لكن أرجع وأقول، الأصول أصول. أيوه البنت من حقها مهر، وأخاف يعني أنها تفتكر أنك استغللت ظروفها العائلية المفككة، وتقريباً اتجوزتها ببلاش! فطبيعي أنني بدأت أدافع عنك وأقولها الحقيقة، وهي أن والدك الله يرحمه ساب لك أنت ووالدتك كام قيراط في البلد، وأنتك ممكن تبيعهم وتدفع لها اللي هي عيزاه، ومش رءوف أبداً اللي يعيش من فلوس واحدة ست، وأنتك أكيد حتعوضها عن أي مصاريف هي تكبدها .

فوجئت بها بتقول: أنها مش عايزة مهرها فلوس، لأنها عارفة أنك يا رءوف من النوع اللي يبصرف الفلوس من غير ما يحس بها وإيدك فرطة، وأنتك آخر واحد بتفكر في بكرة والادخار لبكرة، لكنها عايزة مهرها من أعلى حاجة في حياتك، من عمرك !! بيني وبينك أنا خفت وتراجعت في حدة نبرتي معها، يعني إيه عايزة مهرها عمرك؟! طلبت منها توضح لي، وفعلاً وضحت لي .

قالت إنها اتولدت في بيئة الناس ممكن تدفع فيها فلوس ومجاملات ونفاق ورياء في سبيل الوصول لأهدافهم، لكن اكتشفت بحكم تعليمها أن فيه شيء واحد فقط لا غير لا يستطيع الكذاب أو المنافق التفریط فيه، وهو الوقت . بالتالي هي عايزة مهرها يكون سنة من عمرك بمعنى أنها تغيب عنك سنة وترجع تلاقيك مستنيها وتكملوا حياتكم سواء، ده إذا كنت أنت صادق في حبك لها . أكيد أنت مكنتش حتوافق، إزاي تقعد سنة متعرفش عن مراتك حاجة ! أنهى راجل

ممكن يقبل كده! لكن على العموم هي قالت لي أن قرار سفرها لا رجعة فيه وأنها لازم تختبر حقيقة إحساسك ناحيتها، فكرت أتصل بيك تيجي بسرعة تلحقها خوفتني وقالت لي أنني لو عملت كده لازم أستحمل رد فعلها وبصت في عيني بصة خوفتني أوي، قلت لها خلاص خلاص، حاضر، مش حبيب لرءوف سيرة، لكن حقوله بعد ما أنتِ تمشي. سكتت. قلت الحمد لله بس الموقف يعدي على خير وحاجي وأحكيك كل حاجة، جيت أحاول أقوم، لاقيتها بتقولني أقعد طب أقعد ليه؟ هو كده، مش حتقوم غير وأنا قايمه، الظاهر كانت بتأمن نفسها من فكرة أنني أحاول أبلغك بخبر هروبها المهم، وقتها حسيت باكتئاب وبأس شديد، حسيت أنني إنسان فاشل في كل حاجة، وبعد التحليل النفسي بتاعها أنا كمان حسيت أنني مخادع أكثر من كوني فاشل، لأنني دايمًا بحاول الصق فشلي في غيري. والظاهر أنني منتبتهش إلى أنها بتسألني :

-زعلان؟

-أجبت: جدًا

مراتك حذرتني وقالت لي إنني لو رجعت البيت، حرجع مكثب، حغير هدومي وأتعشى وأقعد أتفرج على التلفزيون وأنام، وحصحي بكرة ناسي كل حاجة في حياتي كان نفسي أعملها، لأن شخصيتي من ضمن عيوبها عيب خطير اسمه رد الفعل المؤجل، وهو أنني بختزن رد الفعل لغير أوقاته ومبكونش قادر على إظهاره في التوقيت المطلوب، ولما بيظهر بيكون فات الألوان ومبيقاش له لازمة بالتالي مبتخذش قرار!

بصراحة يا رءوف أنا مهما كنت بحبك وبعزك أنا نفسي أعرف سر وسبب فشلي في حياتي من واحدة شكلها خبيرة في النفس البشرية بالطريقة دي، قالت لي أنني أروح البيت ألم هدومي وأطلع على أي مكان، ومن أي مكان على أي مكان ثاني، المهم أنني مرجعش خطوة للخلف، بالشكل ده تقدمي في الحياة وفكرة أنني وحيد حتخليني أعيد بناء قدراتي من ثاني في عدم وجود شماعة أعلق عليها أخطائي اللي هي المفترض أنها “حضرتك” وإحنا قايمين وماشيين سألتها: طب حترجعي لرءوف إمتي! سألتني عن تاريخ يومها! جاوبتها أن تاريخ النهارده هو 7 - 6 - 2018 ، قالت لي زي النهاردة السنة الجاية وسلمت عليّ ومشيت، فضلت قاعد في المحل حوالي أربع ساعات لوحدي بفكر في حالي، وبفكر في

تحليلها لشخصيتي، فعلاً معها حق في أنني إنسان يفكر في رد فعل الناس أكثر من تفكيره في خطوات حياته، ولو حاسس أن الناس يتقدروه رجعت البيت وش الفجر، لميت هدومي، وسافرت الغردقة، وبعد ما استقرت في الغردقة 6 شهور، سافرت أوروبا. وأديني بكتب لك من هناك.

طبعا المظهر العام كان يقول أن واحد مراته هربت وصاحبه هرب بعدها بكام ساعة! يبقى أكيد كانوا متفقين يهربوا مع بعض! مقدرش أحدد ما إذا كان معاهم حق ولا لأ، خصوصاً إنني وأنا نازل من الشقة قابلتني أم واحد صاحبنا معانا في المنطقة وسألتني رايح على فين الساعة دي يا ابني! قلت لها مسافر يا حاجة! طب مراتك أكيد هربت وسافرت ووالدة واحد صاحبك بتحككي لك ثاني يوم أنها قابلتني وش الفجر على السلم وقلت لها إنني مسافر، يعني أكيد أنا ومراتك هربنا مع بعض ومسافرين مع بعض ...

عنواني موجود في الرسالة لو حابب تزورني في أي وقت، مشكلة الإقامة اتحلت وبقيت أقدر أستقبل ضيوف زي ما أحب، ومراتك حترجع حسب كلامها والعهددة على الراوي، ووقتها تكون أنت سدوت كامل ثمن مهرها بانتظارك مرور سنة من عمرك وأنت وحيد، مرور سنة من عمرك هو مهر الزوجة الهاربة. ولو أنني عارف أنني آخر شخص ممكن أنك تقبل منه نصيحة، لكن أنا من رأيي تستناها، أصله فات الكثير ما بقى إلا القليل، ولو هي صادقة تبقى حظك ونصيبك، ولو كدابة كدبها مش حيصرك في حاجة .

أنا عارف أن قصتنا أغرب من الخيال يا صاحبي وأتمنى متكونش زعلان مني وأنا متنازل عن شرط أنك تعتذر لي عن شكك فيّ؛ لأن بطريقة ما أنا ظلمتك كثير من غير ما أنت تعرف أنني ظلمتك، بالإضافة إلى أنني وضعت نفسي في موضع الشبهات بغير قصد، مع أنني المفروض إنسان ناضج وبحسب كل خطواتي في الحياة زي ما المفروض حاجات كثيرة قوي في الدنيا دي تكون محسوبة، لكن مع الأسف الحسبة بتطلع غلط ..

صاحبك وأخوك

عماد

تعليق السمسار البوسطجي على رسالة مهر الزوجة الهاربة

وضع الأستاذ عماد أشبه بوضع فأر تجمد خوفاً ورعباً بنظرة القطة إليه صحيح هو مثال وتشبيهه سخيف نسبياً لكنه مشهور بين الناس، حيث أنه معروف أن القطة نظرة عيونها بتسبب خوف لدى الفأر وبالتالي بتجمده ثم تشل حركته وتبقيه ثابتاً في مكانه ثم تلتهمه !

مع الأسف أستاذ عماد خسر أكثر موقف كان مفروض يبذل فيه قصارى جهده لإعادة زوجة صديقه الهاربة. لكن خسره لسبب خارج عن إرادته، موقف اتضح له فيه حقيقة شخصيته بعد سنين من الخداع الذاتى بينه وبين نفسه ثم بحسب اعتقادي. نحن معشر الرجال. مدربين بالفترة على التصدي لمواقف معينة. يعني مثلاً لو كان عماد دخل محل الأيس كريم ولقي زوجة صديقه رءوف مع رجل آخر في وضع غير لائق! تحت أي ظرف اكاد اجزم بأن رده فعله كان يختلف، لكن يلاقيها وحيدة، ويقعد معها، ويكلمها، فتحلله نفسياً، فيكتشف حقيقة نفسه، فيستحوذ عليه التفكير، فتقول له أنها مسافرة لكن حترجع في تاريخ يوم محدد ومعين، لأنها رافضة أن مهرها يكون مبلغ نقدي وإنما طموحها أكبر من ذلك! مواقف أصعب من أن إنسان عادي يستوعبها في وقتها دفعة واحدة والمسألة لا تقتصر فقط على الاستيعاب وإنما اتخاذ ردود أفعال مناسبة وفقاً للاستيعاب، بالتالي المسألة غاية في الصعوبة .

وفكرة أن الزوجة الهاربة كشفت لعماد حقيقة قصاده نفسه هي ممارسة اعتيادية بالنسبة لبعض المثقفين أو الدارسين في هذا المجال بالتالي الموضوع لا يشمل أي عبقرية أو تفكير فذ. لكن اشتراط الزوجة الهاربة أن تكون عملة مهرها هي سنين عمر زوجها شرط لا بد من التوقف أمامه .. هو شرط غريب، لكن أعتقد أنه منصف لأن الزواج شركة عمر، مش فلوس ولا احتياج مؤقت، وهي عايزة الشبكة والمهر من نفس عملة الشركة، يعني سنة من عمر شريك حياتها .

تجدد الملاحظة أن الرسالة وصلت إلى شقة تم بيعها من قبل أصحابها ورجوعهم لقرية ريفية تعتبر مسقط رأسهم، وكان النقاش المطروح وقتها بحسب ما ا تذكر برغبتهم في العودة للجذور الريفية وتزويج ابنهم الوحيد - من أحد قريباته هناك واستكمال حياته في القرية بدلاً من القاهرة. اعتقد بأن تأخر المعلومة عن رءوف كان أحد أبرز أسباب دعمه لقرار

السماار البوسطجى - برىء كان مسءءءل

والءىه فى الرءوء لقرىءءهم ءصوءًا أن فىءرة ءرك أسرة لمنزلها ءمامًا كانت من سوء ءظ ءمىع أطراف رسالة مهر الزوءة الهارىة .

الرسالة الخامسة عشرة :

البائع ساو فاسو!

** ساو فاسو: هو تعبير من اللغة الفرنسية يصف حالة التعامل بين شخصين بدون تكليف أو احترام واجب أو التزام بأصول التعامل، وجرى على لسان بعض الناس استخدامه في حالة تجاوز الآخرين لحدود معينة ورغبتهم في التعامل بالمثل أو الند بالند أو بالعامية المصرية رأس برأس، رغم تفاوت المراكز بين الطرفين .

السماسر البوسطجي .

المرسل: نسمة

المرسل إليه: رحاب

اسمعي يا رحاب يا بنت عمي عشان أنا عمري ما كدبت عليك في حاجة، نسمة أختك وحببتك المرة دي بتقولك إنك غلطانة، مش أنا كنت دايماً واقفة جنبك وفي صفك ويقول أنا عمري ما أتخلي عنك أبداً ! لا المرة دي اعتبريني أول واحدة واقفة ضدك، أنا ببقى معاك في أي تصرف بشوفه صح. ولو غلط بكتفي بالنصيحة وأني مقاش مشاركة معاك فيه، طالما أنه غلط مبتضريش بيه حد غير نفسك وأنت أكيد حرة في حياتك، لكن لما عملي غلط يخلي أبوكي وعمك يخسروا بعض وأصحابهم التجار يضروهم في الشغل وبضيقوا عليهم، اسمحيلي أقولك تبقي مش أنت رحاب اللي أنا عرفتها واتربيت معها، وعلى العموم يا ستي أنا طلبت من أبويا وعمي مهلة أفهمك فيها الموضوع. ولو فهمتاه وفضلتني مصرة علي اللي في دماغك، يبقى إحنا كلنا من سكة وأنت من سكة والحق ميزعلش يا بنت عمي .

بصي، أنا وحسين جوزي اتكلمنا بصراحة لأنني مكنتش عارفة أحكيك الموضوع إزاي فمكنش قدامي غير أنني أستشير عشان أكون صريحة معاك أنت صعبانة عليّ، لأنك مهما تسمعي مني حتفضلي تقولي طب وايه يعني! ومش بعيد تطلعينا إحنا الغلطانين، فأنا لازم أفهمك الموضوع من الأول وأعرفك مين هو حاتم راضي اللي أكل بعقلك حلاوة ده .

زمان لما جدنا اتوفى ساب محلين في الوكالة، محل بقى من نصيب عمي اللي هو أبوكي، والمحل الثاني من نصيب عمك اللي هو أبويا. حلو الكلام لحد هنا الصف في الوكالة كان بيضم سبع محلات، أبويا وعمي محلين والخمس محلات المتبقية بتاعة ناس تانيين اغلبهم ناس نعرفهم لأنهم تجار أصحاب أبويا وعمي ناس ورثوا المحلات عن ابائهم بنفس نظرية أبويا وعمي .

سواء اتكلمنا عن جدنا أو عن الملاك الأوائل لباقي المحلات في الصف، فطريقة امتلاكهم للمحلات أو بمعنى أوضح قصة امتلاكهم للمحلات كانت هي نفس القصة، جدنا وباقي تجار صف المحلات كانوا بدأوا حياتهم عمال بسطاء في نفس المحلات اللي كانت وقتها مملوكة لناس غيرهم، وشوية شوية كونوا نفسهم وقدروا يشتروها من اصحابها، لكن مش هذا الحدث تحديداً هو المشكلة وإنما تفاصيله هي المشكلة ...

تلاقي صورة جدنا لسه موجودة جوة المحلين بتوع عائلتنا لحد انهارة، راجل طيب وشه سمح لابس جبه وقفطان، وطبعاً الولدين، أبويا وعمي، وولاد أصحاب المحلات المجاورة، الخمس محلات، كلهم عاشوا بيحافظوا على نعمة ربنا عليهم بكل ما اوتوا من قوة، الناس دي كانت بتنام جوة محلاتها خوفا على بضائعها من السرقة ، وكانوا مبيرجعوش بيوتهم بالأيام! أنت متخيلة يا رحاب؟! المهم الحال مشي والرزق وسع بفضل الله، والسبع محلات أو الصف كله بقى أشهر صف في الوكالة، الأمانة وحسن معاملة الناس خلت سمعة عائلتنا في السوق زي الجنيه الذهب، لكن عايزين نقف شوية عند مسائلة المعاملة الحسنه دي لأن هي السرفي الموضوع. حاولي تركزي معايا وتفهميني عشان الموضوع بقى مصيري يا رحاب .

دلوقت لما زبون كان يدخل المحل بتاع أبويا أو عمي، أو محل من الخمس محلات بتوع الصف في الوكالة، كان صاحب المحل يقوم يقف على حيله و يستقبل الزبون بنفسه، ويقوله أوامر سيادتك، طلبات معاليك يا باشا، أي خدمة لجنابك، فالزبون يسأل صاحب المحل، أنت اسمك إيه؟ فيكون الرد خدامك فلان، أو محسوبك فلان. ولما الزبون يطول في الفرجة على البضاعة، يقوم صاحب المحل جايب الكرسي الشخصي بتاعه ومنصفه بأيده رغم أنه نظيف، ويدعو الزبون للاستراحة عليه. ولما الزبون يطلب طلب موجود في المخازن مش في المحلات يقوم صاحب المحل يشخط في الصبي أو العامل الصغير المسكين ويقوله: امشي يا ض أنجر بسرعة روح هات طلبات البيه من المخزن، رغم

أن العامل مبيكونش اتأخر لأنه لسه مخدش الأوامر أساسًا، إنما كل ما سبق هي تفاصيل الحياة اليومية داخل محلاتنا ومحلات الصف، المهم جت فترة كانت غريبة شوية، كان فيها نقص كبير في العمالة، اللي قدرت أفهمه وقتها أن السبب كان أن نسبة كبيرة من العمال مستقلين بحجم مرتباتهم الشهرية، وأصحاب المحلات رفضوا يرفعوا الأجر، فكانت النتيجة أن نسبة كبيرة من البياعين مشيا وسابوا المحلات وخرجوا من الوكالة، اللي راح وسط البلد واللي راح مصر الجديدة ...

طبعا مخدش في الوكالة بيستأمن عمال من خارجها، يعني أنت عارفة أن كل عمال محلاتنا جايين عن طريق اقاربهم اللي بيشتغلوا في محلات جوة الوكالة، وهكذا. لكن نظرية نجيب حد منعرفوش نوظفه دي كانت ولا تزال مستحيلة. المهم في يوم أصحاب محلات الصف تعبوا من عدم وجود بياعين، واتخلوا عن حذرهم وحرصهم، وكل محل علق ورقة على بابه مكتوب فيها "مطلوب بيع". ومن هنا بدأت القصة الحقيقية كلها، في يوم أبويا كان قاعد في المحل بتاعه ودخل عليه شاب طول بعرض، لابس قميص وبنطلون، وعلى رأي بابا نفسه، أن البياع ده شكله أفندي أوي، مش شكل البياعين اللي كانوا في المحل قبله. المهم بابا قال نجربه وميضرش طالما أننا مش لاقيين حد ومحتاجين بياعين ضروري .

أثناء التجربة، دخل زيون على بابا المحل. والبياع الجديد هو اللي أمسك بزمام الموقف من اللحظة الأولى. جه بابا يتحرك عشان يقوم يشوف طلبات الزبون فوجئ بالبياع يقوله :

-خلي حضرتك مرتاح، أنا جيت وحلازم الزبون .

بابا استغرب وحس أن فيه حاجة بتحصل غريبة، لكنه مقدرش يقول عليها غلط، خصوصًا يعني أن مساحة المحل مش كبيرة والمشهد كله تحت عين ومراقبة أبويا، فلو شاف حاجة غلط حيقوم من على مكتبة في ثواني . المهم فضل الزبون يتفرج على البضاعة أكثر من مرة، ومدة المشاهدة طولت الظاهر أن جيل أبويا وعمي نجحوا في كل شيء إلا في تعلم الصمت أو الانتظار. أو عشان مبقاش ظالمة الظاهر أنهم من كتر ما انتظروا حاجات كثير مدد طويلة أصبحوا غير قادرين على المزيد من الانتظار لأن بابا حاول يتكلم مع الزبون وسأله :

-أقدر أساعد حضرتك يا أستاذنا؟

راح البياع تدخل وقال لبابا: لو الأستاذ احتاجنا في حاجة حيقول، اتفضل يا أستاذ والمحل محلك!

طبعا عمك كان على وشك يطرد البياع. لكن حجم استفزازه من الزبون كان حاجب نوبة الغضب عن البياع، وبعد ما عدت ساعة بالتمام والكمال، وأبويا وصل لذروة عصبيته من الزبون، تدخل البياع للمرة الثانية وقال للزبون :

-المحل حيقفل كمان ربع ساعة يا أستاذ عشان دي الاستراحة بتاعتنا وبنقفل لكهرباء كمان عشان نريح الموتور . الزبون بص للبياع من فوق لتحت، وبص لبابا لقي ملامحه راسمة رد فعل غير مفهوم، لا هو موافق ولا معارض، فالزبون بالعند في البياع قال: خلاص حشترى القميص ده. و عشان يطلع من الموقف كسبان ساب إكرامية كبيرة للبياع، تقريرا واللي فهمته أن فيه نوع من الناس بتدخل المحلات عشات تتسلى بدل قعدة البيت مش عشان تشتري، وفهمت كمان أن المحل بتاعنا عمره ما كان له فترة استراحة ...

ولما الزبون طلب يقيس القميص عشان يتأكد من أنه على مقاسه البياع قال له :

- شايف حضرتك الستارة البرتقالي اللي هناك دي! هي دي غرفة القياس .

طبعا بابا كانت حالته غريبة، المفروض أن البياع ياخذ القميص من على الشماعة ويفتح زرايره ويجري يسبق الزبون على غرفة القياس ويفتح الستارة ويقول للزبون اتفضل ويقفلها ويفضل مستنيه برة في حالة ما إذا الزبون احتاج لشيء بعد انتهاء الموقف. بابا مكنش لاقى حاجة يقولها للبياع. ومع ذلك كان بيعيش أولى لحظات حياته اللي بيشوف فيها نوع ثاني من البياعين مبيعاملش الزبون على أنه "دائما على حق" لأن مافيش إنسان دائما على حق، والتوازن مطلوب حتى لو العلاقة بتستغرق دقيقة واحدة مسافة بيع وشراء قطعة ملابس ومع ذلك ومن باب الجدل بابا نصح البياع بأنه لازم يحط الزبون فوق رأسه وأنه لازم عينه تفضل مركزة مع الزبون عشان ميحسش بالإهمال، وإنه لازم الزبون مهما تأخر في

الشراء ساعة اثنين ثلاثة يكونوا صبورين معه، وطبعًا لو الزبون طلب يقيس الهدوم قبل شرائها لازم البياع يجري يهرول على غرفة القياس .

ضحك البياع وقال لبابا: كام واحد بيدخل يتمشى في المحل وميشتريش يا حاج!

سكت بابا ومرضيش يجاوب .

قال البياع: على فكرة الزبون ده مكنش ناوي يشتري ولا حاجة، أنا اللي أجبرته يشتري لما أخرجته

قعد بابا يزعق ويهلل ويتعصب على البياع ويوصله من فوق لتحت، ويقوله أنت مش حتعلمني شغلي، أنا بشتغل في المحل ده من وأنا لسه عيل صغير ومن قبل أنت ما تتولد، أنت شكلك مش بتاع شغل، وكل ده والبياع طبعًا ساكت مبيردش.

المهم بابا وهو مروح البيت اتنين أطفال راكبين بيسكلتات كانوا مأجرينها من عند العجلاتي خبطوا فيه، واللي فهمته عشان أبقى بحكيك الحكاية بالتفصيل أن الأطفال دول كانوا بيحروا بالبيسكلتات عشان يهربوا من العجلاتي نفسه لأنهم كانوا رافضين يرجعوا البيسكلتات اللي مأجرينها، موضوع ميخصناش يعني بس بحكيه لسبب ، لأن بابا لما اتخبط وقع على الأرض ورجله ورمت جامد، والعجلاتي كان بيحروا الصبيان فوقف وساعد بابا يطلع البيت على أساس أنهم جيران . واستعوض ربنا في العجلتين؛ لأن العيال طلوعوا مش من المنطقة وطفشوا بيهم .

المهم بابا كان كلم عمي بالليل عشان يروح المحل ويعمل حاجتين .

الأولى: يطرد البياع

والثانية: يعلق ورقة على زجاج المحل بأن المحل مغلق أسبوع للتجديدات!

ويوم ما أبوكي اللي هو عمي راح يطرد البياع لقي البياع بيديله ظرف مليون فلوس! ويوريه كشف اليوم وهو عامل فرق أرباح مخيف. رجع عمي لأبويا وبلغه أنه حياًجل قرار الرفت شوية لحد ما أبويا يقوم بالسلامة، وإداله ظرف الفلوس و قاله إن الاحتفاظ بالبياع حل مؤقت ليس إلا، لكن ساعتها أبويا كان قلقان لأنه يقول إن البياع حيطفش الزبائن، وعمي يطمئه ويقول أنه حيفتح المحل الصبح ويقفله بالليل بمعرفته ويشرف على البياع كمان .

المهم أبويا قعد في السرير حوالي أسبوعين لحد ما رجليه رجعت سليمة ورجع قادر يمشي عليها، رجع المحل وقابل البياع، حصلت مفاجأتين قلبوا كيان أبويا وحاله ...

المفاجأة الأولى: أن كل البضاعة في المحل اتباعت لدرجة أنها كانت أول مرة يشوف الأرفف فاضية!

المفاجأة الثانية: أن كل مشتري البضائع هم زبائن جدد وما فيش زبون واحد قديم اشترى حاجة!

وبدل ما أبويا يحلل سر بيع الهدوم كلها كان مهتم بسؤال ثاني خالص، لأنه سأل البياع :

- الزبائن بتوعنا فين؟

وهنا نطق البياع، وقال: الزبائن القدام مشيوا وعمرهم ما حيرجعوا ثاني لأنهم مكنوش بيشتروا منك الهدوم عشان عجباهم، كانوا بيشتروا منك الهدوم مقابل أنك بتحسسهم أنهم بني آدمين على حساب نفسك، بيبقي الواحد بيتعامل أسوأ معاملة في كل مكان، ويجي هنا يعمل نفسه بني آدم عليك، وعمرهم ما اشتروا حاجة غير أقل وأصغر حاجة، عشان يدوا نفسهم مبرر يرجعوا ويشوفوك بتحاول ترضيهم بكل طريقة وفي الآخر يرجعوا بيوتهم شاعرين بقيمة نفسهم على حسابك أنت، أنت بيتعمل عليك شغل يا حج، العيال الصيع بتيجي تشتري قميص تخرج بيه خروجاتهم المهمة، وبعد ما الخروجة تخلص يرجع ثاني ويرجع القميص ويسترد ثمنه، وأنت تخاف يا حج تقولهم مينفعش لحسن يبقي اسمك خسرت زبون، وهو فين الزبون ده يا حج؟ دول نصايين، نصايين أنت اللي بتعملهم بطريقتك بشوات، كل الحكاية أني

علقت لافتة بتقول البضاعة المباعة تستبدل ولا ترد، يعني لو عايز يرجع حاجة لازم يدفع الفرق ويأخذ حاجة مكانها، فمقاش بيدخل غير الزبائن الحقيقيين، مش أصحاب العقد النفسية ومركبات النقص، وما فيش حاجة اسمها أنا خدامك يا حج، إحنا موظفين زي أي موظفين، يحترمونا نحترمهم، وما فيش حاجة اسمها الزبون دايمًا على حق، لأن كل إنسان معرض للغلط سواء إحنا أو هما، كان زمان بيدخل ١٠٠ زبون، بيشتري منهم ١٠ ، دلوقتي بيدخلك ٥٠ زبون، بيشتري منهم ٣٠ ، أنت كنت فرحان بالرجل اللي داخلة خارجة على المحل يا حج، لكن الرجل دي كانت بتدوس على المحل وناسه. أنهي حسبة الكسبانة يا حج؟

أبويا قال للبياع كلمتين بالعدد : اطلع .. برة !

بحسب كلام أبويا، كان أغرب مشهد في الموقف كله هو مشهد أبويا وهو بيدي البياع باقي حسابه. لأن أبويا لما فتح درج المكتب ولقى الفلوس اندهش! شوية واندھاشه بان، وسحب منها مبلغ وإداه للبياع وقاله ملناش شغل مع بعض .

أنا عارفة أنه أكثر تصرف متسرع ممكن يكون أبويا عمله في حياته ، لكن الموقف والمشاعر المصاحبة للموقف كانت فعلاً معقدة أكثر ما أي إنسان يقدر يتخيل، لو أبويا كان اعترف للبياع بصدق كلامه ورجاحة وجهة نظره، كان أبويا حيكون بيعترف أنه بيدل ويهين نفسه على مدى 15 سنة فانت! فقرر أن حماية نفسيته وصورته قصاد نفسه أهم ألف مرة من أن الشغل يطور نفسه، واكيد السطر الأخراني ده مش كلام أبويا، لكن الكلام اللي كان نفسه يقوله وكبرياءه وعزة نفسه منعاه .

فاكرة لما قلنا إن صف المحلات في الوكالة بيضم سبع محلات؟ خلينا نرجع للحكاية دي ثاني لأنها تكلمة الموقف الأولاني .

أول محل في الصف من جهة اليمين، هو محل أبويا، وبيبع ملابس، وآخر محل في الصف بتاع شاب صغير ورث المحل من أبوه، وبرضوا بيعع ملابس. وكان الاتفاق أن المحليين دول يكملوا بعض، بمعنى أن اللي يطلب حاجة وميلاقيهاش في محل منهم المحل بيعته طالوي على المحل الثاني وطبعًا العمولة محفوظة على كل زبون وبحسب طلباته .

رجع البياع ظهر ثاني، في المحل بتاع الشاب اللي ورثه عن أبوه، البياع لقي الشاب لسه خام وجديد في المهنة وميعرفش حاجة، رسم وخطط وظبط بحيث أن المحل يبقى نمرة واحد في الوكالة كلها، والشاب كان فرحان بالفلوس وسايب الإدارة كلها للبياع، وأول قرار أخذه البياع كان وقف التعاون بين محل أبويا والمحل بتاعهم وقال البياع للشاب صاحب المحل إن محلنا مبيبتش زبائن وإنما بيأخذهم بس يعني بمجرد ما الزبون يدخل محلنا بندفع عمولة لمحلهم مرة واحدة فقط لا غير وبعدها يبقى الزبون بتاعنا وبخصنا ومننا له طوالي ومحلهم يخرج منها من الآخر أفشى أسرار محلنا اللي عرفها أيام ما كان بيشتغل فيه ، و اللي هي طبعا كانت تعليمات أبويا .

عايزة الحق؟ آه كان بيحصل .. شوفتي الصراحة وصلت بيّ لفين ؟ طلعت أبويا ملاوع وغشاش ، لكن ماهو لازم عشان أكشفلك اللي أنت طايبة من الفرحة بوجودك معاه ده يطلع مين وعمل ايه زمان ، أنا أبويا خسرت لما أفنكر أنه ممكن يكسب كل حاجة من غير ما يضحى بحاجة، وأنا أتعلمت أنني لازم اضحى بحاجة قصاد أنني أخذ مقابلها حاجة . هي دي سنة الحياة . ودلوقت أنا بضحى بسمعة أبويا قصاد أنني أكشفلك حقيقة أتخبت عنك .

طبعا أبويا حاول يخلي الشاب يطرد البياع بكل الطرق، لكن منهج أبويا في الحياة مكنش قائم على الإقناع بقدر ما كان قائم على حاجات انتهت بحكم الزمن، يعني الخواطر والجماليات والتجار ميزعلوش بعض واللذي منه، وفعلا أيام أبويا ما كان بياع كان المعلم صاحب المحل لو غضب على بياع عنده ورفده يبقى ممنوع على كل محلات الوكالة تعيد توظيفه عندها تحت أي سبب، اكراما لزميلهم صاحب المحل .

كلام أبويا مع الشاب اللي كان البياع بيشتغل عنده كان متضارب وغير مقنع بالمرة، وحقك أجزء منه عشان تبقي في الصورة وكأنك كنت معاهم :

- أبويا: يا ابني أنت أبوك الله يرحمه كان أعز أصحابي، ويقولك أرفت البياع ده لأنه مش أمين .

-الشاب: ليه يا عمي؟ هو كان سرق منك حاجة؟

- أبويا: لا مش بالضبط، لكن يعني ده واد ملاوع وأنا عارفه، وأنت أبوك موصيني عليك وأخاف بيوظلك شغلك.

- الشاب: متخفش يا عمي، أنا واخد بالي على مالي، بس البياع ده رفع لي نسبة المبيعات، ده أنا حتى بفكر أدخله معايا شريك بالمجهود.

بصي يا رحاب، مافيش كلام ممكن يقدر يعبر عن حالة أبويا بعد المناقشة دي كانت إيه، لكن كلمة جحيم ممكن تكون مناسبة، الولد البياع اللي أبويا كان بيعتبه غلبان، حبيقي شريك في محل من محلات الصف في الوكالة. المهم أبويا حاول يجمع باقي أصحاب المحلات ضد محل الشاب لكن مقدرش، لأن المحلات الثانية نشاطها مش ملابس، فقالوا سيبوا بتوع الهدوم مع بعض وملناش إحنا دعوة. هما يعني كانوا بيخدمونا في شغلنا لما إحنا نخدمهم في شغلهم، وبصراحة هو ده السوق كل واحد بيشفو مصلحته .

المهم حصلت مفاجأة، محل الشاب قفل! يوم اثنين ثلاثة. لا حس ولا خبر أبويا رجعله نشاطه وحيويته تاني وبقى يروح يفتح المحل الصبح بدرى ويطلب شاي من القهوة وكأنه اشترى المحل امبارح بالكثير، كان عارف ومتوقع من الأول أن شركة بين اثنين عيال، على حد وصفه، عمرها ما تنفع مهما طالت، لكن يومها بليل وأثناء ما أبويا بيقتل محله بعد العصر وكان مروح، شاف عمال داخلين المحل، ومعاهم معدات كثير، متعرفيش بقى الظاهر أن أبويا كان بيحب يغني ويرد على نفسه ولا إيه، لأنه بدل ما يروح يسأل العمال بتعملوا إيه، ضحك واتبسط اعتقادًا منه أن المحل فلس واتباع وصاحبه الجديد جايب عمال ويعملوا فيه تجديدات .

تاني يوم، أبويا صحي متأخر لأن نومه كان هادئ وخذ راحته في النوم على الآخر، عمال يحلم ويتبسط بفشل أكثر مشروع كان بيمثله مشكلة على مستويين، مستوى التجارة، ومستوى ثاني إنساني ليه علاقة بظروف حياة أبويا نفسه والأيام الصعبة اللي خلته يعمل خده مداس لناس كثير، ولما بقي في وضع قوة يمكنه من حرية التصرف، مقدرش يرجع إنسان عنده عزة نفس وكبرياء، وإنما كان بيتنذل قصاد أي زبون حتى لو كان زبون مش ناوي يشتري حاجة! أنا بكلمك بصراحة وبكشفتلك كل حاجة لأن ابوكي خلفك على كبر، وفيه مواقف كثير أنت محضرتيهاش ومتوعيش عليها، أنت أبوك بالنسبة لك في حكم الجد أكثر من كونه أب، فخليني أحكيك التفاصيل وتفصيل التفاصيل كمان عشان تعرفي

حياتك اللي اتولدتني لاقتيها اترسمت على أي أساس. صحيح كلام جه متأخر، لكن كان أحسن ما مييجيش أبدًا و الحياة تنسينا نقوله.

المحل بتاع الشاب فتح ثاني. ويا ريتته ما فتح. المحل عمل قلبان في الوكالة كلها، لبس شبابي وتي شيرتات مطبوع عليها بمكينات طباعة، وبنطلونات بيتلنزق عليها بادجات، ودنيا جديدة وكبيرة قوي أبويا كان واقف بيتفرج عليها من برة، و ياما أبويا وقف مستحمل وشاف بضاعة بتنزل المحل وتتباع في نفس اليوم. وتيجي طلبيات ثانية قبل اليوم ما يكون خلص .

حاول أبويا يعمل محاولة أخيرة، وأنه يحرض الشاب صاحب المحل على البائع باستخدام ذكرى والده المتوفى، فقال له

- بقي كده يا أبني تشيل صورة أبوك من المحل!

فرد الشاب: المحل مش بيتي عشان أعلق صور عائلية جواه، اللي بينا وبين الزبائن شغل فقط لا غير، والشغل هات وخذ، وكمان أسم المحل اتغير ومقاش متسمي باسم عائلتنا. الدنيا بتطور وإحنا كمان لازم نتطور .

لما محل أبويا فلس وقفل، عرفت أن عمي كان مشغل نصف فلوسه مع أبويا ولما عمي باع محله للشباب وشريكه البياع كان أبويا بيعتبرها خيانة لأن المحل اتباع لمنافس كان بيتوسع على حسابه لكن الخسارة كانت لازم تتعوض بأي طريقة، وأبويا رجع وتفهم الأمر وعرف أنه ما باليد حيلة. لكن اللي في القلب في القلب لولا الناس دول كان زمانني أنا وأنتِ نسمة ورحاب هوانم. مش عايشين ظروف حياتنا اللي أنتِ أدري بيها من أي حد .

طبعا عرفنا بعد كده أن فيه حاجة اسمها بيع خد مداس، وبياع سوم فاسو واحد يشد الحبل مع الزبون والثاني يرخييه، لكن ظهور البائع سوم فاسو في الوكالة كان سبب في موجة تغيير، وأول واحد الموجة بلعته كان أبويا وثاني واحد كان عمي، وغيرهم كثير ...

أنتِ رايحة لواحد كان السبب في زوال ثقافة بأكملها وظهور ثقافة ثانية. السبب في شعور أهاليينا أنهم كبروا وعجزوا قبل الأوان، واحد يبيلبس فانلة أو تي شيرت مش قميص ابيض بكرانيش زي بتوع زمان و يقف يبيع بيه. صورة المعلم مؤسس المحل بتتشال وبيتحط مكانها شعار و لوجو دعائي بعلامة بتميز المحل ، عايزة تتجوزي راجل كان أشبه بأعصار يقلع ورد جناينا، شوفي أنا دلوقت متغربة مع جوزي في آخر بلاد الدنيا عشان لقمة العيش، وأنتِ جهازك لو مكنش اشتروه من صغرك كان زمانك اتجوزتي من غير جهاز، وفي الآخر رايحة تتجوزي إنسان كان السبب في كل ده. طبعا دلوقت بقي عنده بدل المحل عشرة ونجاحه اتأسس على حطام أحلام أهاليينا. آخر كلامي ليك، اختاري يا بنت عمي ، اختاري بين كل الناس اللي عرفتهم في حياتك، وبين واحد بقيتي أدري الناس بتاريخه مع عائلتنا. سلام

بنت عمك

تعليق السماسر البوسطجي على رسالة البائع ساو فاسو

أصعب أنواع المشكلات هي مشكلات كل طرف فيها مخطئ ومصيب بنفس القدر في حق الآخر، وهي نسبة لا بأس بها من مشاكل الحياة . في الحقيقة أنا احترت حيرة شديدة في تسمية الصراع اللي كان ما بين صاحب المحل والبيع. وكان قصادي عدة اختيارات لكنها لم تكن دقيقة بالقدر الكافي، يعني مثلاً صراع خير و شر؟ لا، الوصف أكبر من الموضوع بمراحل والتنافس طبع في البشر وبما أن طرفي الصراع بشر فقي كل منهما الخير و الشر .

صراع أجيال ؟ لا أعتقد، لأن كاتبة الرسالة قالت إن صف المحلات في الوكالة كان يضم سبع محلات، والقصة حدثت مع محل واحد فقط، رغم أنها اعترفت بأن باقي أصحاب محلات الصف في سن والدها وامتلكوا المحلات بذات طريقة امتلاكه لها !

هل هو صراع نفوذ ؟ لا؛ لأنه لا يتصور صراع للنفوذ بين صاحب محل ومستخدم عنده مهما علا شأن هذا الأخير، يظل صاحب المال هو صاحب اليد العليا في الصراع لدرجة أن بمقدوره انهائه حتى قبل أن يبدأ .

اعتقد أنه صراع انماط. أنماط كان صعب تواجدها مجتمعة أو حتى قريبة من بعضها البعض، انماط ترفض التعايش، وإذا فرضنا جدلاً بأن هناك ناس مخطئين يحاولوا إرجاع عقارب الساعة للوراء بهدف العيش للماضي. واخرين يحاولوا تثبيت العقرب كي يتوقف معه الزمن أو هكذا يتصوروا، فهناك نوع آخر من المخطئين يمثله البائع وهو الدفع بعقارب الساعة للأمام للعبور لزمن مستقبل قبل أوانه .

أكثر ما اندهشت له في قصة البائع سوم فاسوا، أنه بتظهر الأحتياج للمال في كفة، واحتياج الإنسان للراحة النفسية ونمط الحياة المريح عصبياً وذهنياً في كفة أخرى، رغم أن الشائع في الحياة هو أن من ملك المال ملك معه راحة البال. صاحب المحل كان في بادئ الأمر بيتريج من وراء البياع الساو فاسو، لكن البائع لديه فكرة الاستباحة، فأنت كبائع تجاوزت وتعديت مهام وظيفتك بكثير واتخذت من شغلك حقل تجارب لأفكارك، واتخذت قرارات في تغيير سياسة التعامل مع الزبائن بدون مصارحة صاحب العمل بها، اوليس كل هذا نوع من التجاوز! يعني الدخول في مغامرة وبعد الفوز بها يكون الزعم بأن قرار خوضها كان حكيم، الا يعد هذا مزايدة بأي حال من الأحوال! وهل لو السياسة الجديدة كانت فشلت، هل كنت حتتحمل نتائجها مناصفة مع صاحب المحل وأنت امكانياتك المادية لا تتجاوز مرتب بتتقاضه كل شهر منه صغر المرتب أو كبير؟

أما مشاهداتي المتعلقة بالقصة فهي أغرب من القصة نفسها . أنا طلب مني بواسطة أحد المعارف الذهاب لشقة مملوكة لسيدة مسنة وكانت زيارة بهدف تقييم سعر الشقة والتوسط في بيعها بأسرع وقت ممكن وبالفعل ذهبت للشقة وقابلت سيدة ليست مسنة كما ادعى الوسيط بيني وبينها وقابلت فتاة تدعى رحاب وافترضت جدلاً أنها بنتها !

وفي لحظة توقيع العقد ولما احتدم الخلاف بيني وبين تلك السيدة بخصوص مقدم السعر ومؤخره ، فوجئت برجل يدعى حاتم راضي يتدخل! أنا بالفعل قابلته في المرة الأولى للتعارف لكنه كان بمعزل عن الخوض في أي نقاش من أي نوع، بالتالي كان مستحيل أعرف هويته ومليش حق أسأل بطبيعة الحال. لكن لما أحتدم الخلاف في المرة الثانية فوجئت به يتدخل وعلى وشه مرسوم ضحكة صفراء جميلة متعارف عليها! وفوجئت به منحاز إلى صفتي بصورة أنا شخصياً أصفها بأنها فجأة، وكان نفسي أقوله: مش للدرجة دي يا أستاذ ! لكنه قال للبت اللي مكتتش أعرف وقتها أن اسمها رحاب،خلي خالتك تبيع وأنا حعوضها عن باقي المبلغ، لازم نمشي من هنا بسرعة! ولما سألته أحب أعرف مين

السماار البوسطجى - برىء كان مسءعجل

ءضرك؟ زاء ابءسامءه وقال: -صءىق العائلاء- ، وقتها أءءقءء بأء طالما نءءنا فى الءوصل لاءفاق بىقى أءءفى بهذا القءر .

رسالة إلى نفسى: آءر الكلام

* معضلة النهاية

* مطلوب نتيجة

* ماذا لو؟

معضلة النهاية :

يفترض بل جرت العادة على أن المؤلف يضع نهاية لما ألفه، لكن فى حالتى أنا أعتقد أن الأمر أصعب من أن يتم تناوله بهذه البساطة، فأنا بمنتهى الصراحة لا أملك نهاية واضحة لما سبق طرحه، بل فشلت فى تخيل واحدة، ومن غير المنطقى وجود نهاية واحدة لخمس عشرة قصة مختلفة! ولا أعلم هل من الجائز ترك رواية بلا نهاية أم لا! أشار على بعض المقرئين باستخدام ما يسمى بالنهاية المفتوحة، و لكن حتى كم التأليف المطلوب لعمل رواية مفتوحة يتم حسمها وفقاً لخيال كل مطلع، أنا لا أملكه! و وسط حالة من الفراغ والشروء، وفى فترة توصف بأنها كانت شءىءة الاضطراب فكراً، حصلت على عدد من الاستشارات تخص موضوع عدم وجود نهاية، ورغم اختلاف أساليب الإجابة فإنها أجمعت على جملة محورية واحدة، وهى : أكتب ما يجول فى عقلك و كفى! وهو ما قد كان .

مطلوب نتيجة :

بعد مراجعة خمس عشرة رسالة، ومحاولة إكمال ما بها من نقص في التفاصيل عبر الإتيان بمشاهدات مقتطفة ذات صلة بأشخاصها أو أماكن حدوثها، عبر تعليق يتبع كل رسالة على حدا ، يمكن إجمال العوامل المشتركة بين جميع الرسائل في بعض النقاط الموجزة :

- ما بعد مرور الوقت .

بالفعل تلك الرسائل ما هي إلا بريد كان مستعجل ، ولكن بعد مرور بضع سنوات وهو ملقى في صندوق بريد لشقة تعاقب عليها العديد من السكان العابرين بعد سكانها الأوائل، أصبح السؤال عن جدوى الحديث عنه موضع جدل، فجميع الرسائل كانت تحتوي على ما يشبه رد الفعل المتأخر والآتي بعد فوات الأوان، وأما محاولة إحياء ما بها من موضوعات فهو أشبه بالوصول بعد فوات الأوان ... بزمان ! ، فقط نقطة وحيدة وشريدة لفتت انتباهي، إن كانت تلك العلاقات التي تناولتها الرسائل تؤمن بمبدأ التوقيت المناسب لفعل الأشياء، هل كان سيجري ما جرى؟ وهل كانت لتكتب هذه الرسائل ثم يهجر أصحاب الحق في قراءتها مساكنهم بغير إبلاغ عناوينهم الجديدة لمرسليها ! هل كانت لتتكشف حقائق بعد مرور الزمان لدرجة يصبح معها الكشف عن الحقيقة والاعتراف بها ليس سوى شيء أدبي لا يغير في الواقع شيئاً سوى أنه يجعل شخصاً ما يتذكر لحظة في الماضي ليقول: "لم أكن أعلم بأنه هكذا سار الأمر وقتها"، ثم يتابع مجرى حياته من جديد؟

- عدم القدرة على المصارحة اللحظية بين كثير من الناس .. تقريباً !

المصارحات المؤجلة، المؤجلة إلى وقتها، والتي حتى مؤجلها لا يعلم متى يكون وقتها المزعوم هذا، المؤجلة كي لا تشير البلبلة، ولا تجرح المشاعر، وكأن الفراق والهجر والنسيان والذكريات المبتسرة والأحلام المبتورة لا تشير المشاكل إطلاقاً. كم اتضح لي أن أغلب الناس يتقبلون الحدث إذا ما حدث بالتدرج مهما كانت نتيجته ، ويفزعون من أي حدث يحدث

دفعة أو جملة واحدة حتى إن كان بسيطًا .

- من بعد الحرية، للقرارات ثمن .

كثَّاب بعض الرسائل ذكروا في رسائلهم أكثر من مرة أنهم كانوا يعيشون في ظروف حياة بها شيء من سلب الحرية والتكبير، سواء لظروف أسرية أو لظروف شخصية بحتة ناتجة عن أنفسهم، وكم من الأمانى والأغاني التي تمنوها وتغنوا بها في أنه لو كان الأمر بأيديهم لكانوا فعلوا وفعلوا، ولكن من قال إن الشخص الذي نال حرية التصرف سوف يسلك بالضرورة عكس كل طريق كان يسير على خطاه مجبرًا ! على العكس، هذا الشخص بات يعلم أنه لم يعد هناك وجود لآخر ليلومه سوى نفسه، انتهت الشماعة التي يتم تعليق الأخطاء عليها بلا عودة، بات يدرك أن كل الاختيارات لها ثمن وسيدفع عاجلاً أم آجلاً ، سواء أكانت اختيارات بمحض الإرادة أو حتى بالإجبار، لا عجب إذن أن تجد أحبة بعد الفراق بسنين، وعندما أتحت لهم الفرصة ليكونوا أخيراً سويًا، يقولون: "دعنا لا نكرر التجربة"، "دعنا لا نبدأ من جديد"، دعنا نسلك الطريق الذي بتنا نعرفه. دع الحياة تسير ! بينما إذا استمعوا إلى أغنية تذكرهم بما مضى قالوا يا ليت الماضي يعود يومًا، ويرد الصدى عليهم قولهم بأن الماضي قد عاد، وقد تركتموه يذهب من جديد.

- نماذج متكررة في السر .

هؤلاء كتبوا رسائل وبالصدفة البحتة اطلعت عليها واكتشفت أمرهم، فترى كم غيرهم لم يكتبوا ولا يؤمنون بالكتابة أصلاً؟ وكم قصة في حياتي وحياتك وحياتها لن ندرك تفاصيلها بالكامل سوى عبر رسالة قد تأتينا بعد سنوات من أناس كنا نظنهم طي النسيان بالرغم من أننا ننفق يوميًا عدد ساعات لا بأس به نتذكرهم ونفكر في شكل حياتهم الحالي الذي لا نراه، وبرسالة واحدة نعرف أنهم كانوا بالمثل يفكرون .

- ماذا لو؟

بعض الروايات يتم نشرها على جزأين أو على عدة أجزاء، وفي الحقيقة أنا وضعت كل ما أملك من محتوى في هذا الكتاب الوحيد بلا أجزاء، ولكنني أعترف وحيث إنني أدركت أن الراحة النفسية لها علاقة بكتابة ما يجول في خاطر ونقل التفكير إلى الورق عمومًا، أنه قد راودتني أكثر من مرة فكرة إيصال الرسائل لأصحابها! هي بالطبع مغامرة غير محسوبة العواقب بالمرّة، وهناك عدة أسباب تجعلها مخاطرة على كل المستويات، أذكر منها فكرة اضطراري إجابة السؤال المؤكد طرحه عن كيفية امتلاك هذه الرسائل! وبأي حق فتحت أظرفها واطلعت على محتواها! ثم وضعي كشخص غريب أصبح على اطلاع على كمية أسرار كان يفترض ألا يعرف عنها شيئًا ومن باب أولى أن يفشي منها شيئًا، بالإضافة إلى كونها وصلت متأخرة، وهي في الحقيقة بريد كان مستعجل، ومعنى وصوله متأخرًا أنه قد تعاد حسابات الكثير من الناس وفقًا لوصوله! بمعنى أن حامل هذه الرسائل سيكون السبب في قلب الماضي وإلقاء حجر في الماء الراكد، وإحياء ما كان يفترض أنه انتهى بسبب عدم وصول الرسائل لأصحابها، فهل أنا عاشق للأدب لدرجة تجعلني في مواجهة كل هؤلاء؟

قضيت السنين الفائتة أتساءل في السر عن جدوى وجودي في الحياة، كلما حققت إنجازًا أتساءل في صمت، هل هذا هو كل شيء! هل ستبدأ حياتي وتنتهي بتلك البساطة! والآن بينما أبحث لنفسي عن دور جديد في الحياة، أتساءل: هل الأناثية هي محركي الوحيد لإيصال تلك الرسائل إلى أصحابها؟ هل أنا قادر على مساومة أصحاب الرسائل أو الذين كانت موجهة إليهم في الأساس على شيء ما بحيث يحملونني الرد، فأحمله بدوري إلى مرسلها؟ هل أنا الشخص الذي طالما عرفته محدود الدور و الإمكانيات، أم شخص جعلته الصدفة يعيد تشكيل حياة آخرين كثر بإكمال الجزء الناقص لديهم من حياتهم ويجهلونه حتى لحظتنا هذه؟ لا تزال تلك الأسئلة تراودني على هيئة أفكار تملكني ولا تتركني لحالي، وكل ما أجنبي هو أن أجد نفسي أمام أمور تدفعني إلى المزيد مما أجهله .

تمت